من خطب المسجد الحرام

# توجيهات وذكرى

تأليف

صالح بن عبد الله بن حميد

"المجموعة الثانية"

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤





# توجيهات وذكرى

الطبعة الثالثة

١٤١٩ هـ.

دار التربية والتراث
مكّة المكرّمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضّياء
جدّة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

# المقدمـــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن شر الشيطان وشركه.. من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعص الله ورسوله فقد ضل وغوىٰ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فتح الله به قلوباً غلفاً، وأعيناً عميا، وآذاناً صُمّا، صلى الله عليه وآله وصحابته ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الدين.

**أما بعد:**

فهذه هي المجموعة الثانية من (توجيهات وذكرى.. من خطب المسجد الحرام) وأسأل الله أن ينفعني بها وسابقتها وإخواني ـ وحسبي منهم دعوة صالحة ونصيحة صادقة ـ كما أسأله سبحانه أن يجعلها خالصة لوجهه موافقة لمرضاته وأن يسدد الجميع للعلم النافع والعمل الصالح إنه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

**صالح بن عبدالله بن حميد**

مكة المكرمة

الجمعة ٢٥ من صفر الخير ١٤١٤هـ



# اتبعو ولا تبتدعوا

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ، أكملَ لنا الدينَ، وأتمَّ علينا النعمةَ، ورضي لنا الإسلامَ دينا، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، أنزلَ الكتابَ نوراً مبيناً، يهدي به اللهُ من اتَّبعَ رضوانَه سُبلَ السلامِ، ويخرجُهم من الظلماتِ إلى النورِ، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَنا محمداً عبدُه ورسولُه، بعثَه بالهُدىٰ ودينِ الحقِّ، فبلَّغَ الرسالةَ، وأدَّىٰ الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وجعلنا على المحجةِ البيضاءِ، ليلُها كنهارِها لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وصحبِه، ارتفعتْ بهم راياتُ السنةِ، وانقمعت بهم البدعةُ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ، واهتدىٰ بهديِهم، واستنَّ بسنَّتِهم إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستمسكوا من الإسلام بالعروةِ الوثقىٰ، والزموا سنةَ نبيِّكم محمدٍ ﷺ تمسكوا بها، وعَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

أيها المؤمنون، لقد أكملَ اللهُ هذا الدينَ ورضيَه وأتمَّ به

نعمتَه... كتابُ الله، وسنةُ رسولِه محمدٍ ﷺ لم يتركا في سبيل الهدايةِ قولاً لقائلٍ، ولم يَدَعا مجالاً لمتشرِّعٍ، العاقدُ عليهما بكلتا يديه؛ مستمسكٌ بالعروةِ الوثقىٰ، ظافرٌ بخيري الدنيا والأخرىٰ: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

روى الطبرانيُّ بإسنادٍ صحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**ما تركتُ شيئاً يقرِّبُكم إلى اللهِ إلا وقد أمرتُكم به، وماتركتُ شيئاً يبعدكم عن اللهِ إلى وقد نهيتكم عنه**»[1].

كلُّ عباداتِ المتعبدين يجبُ أن تكونَ محكومةً بحكم الشرع في أمرِه ونهيه، جاريةً على نهجِه، موافقةً لطريقتِه، وما سِوىٰ ذلك فمردودٌ على صاحبِه: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ، ومن أحدثَ في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[2]. بذلك صحَّ الخبرُ عن الصادقِ المصدوقِ عليه أفضل الصلاةِ والسلامِ.

يقولُ عمرُ بنُ عبدِالعزيزِ رحمه اللهُ في السننِ الراشدةِ: سنَّ رسولُ الله ﷺ وولاةُ الأمر من بعدِه سُنناً الأخْذُ بها تصديقٌ لكتابِ

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ١٥٥ ـ ح١٦٤٧)، وعبدالرزاق في المصنف (١١/ ١٢٥ ـ ح٢٠١٠٠) وقال الهيثمي: ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة. انظر المجمع (٨/ ٢٦٤) والجميع بلفظ «يقرب من النار ويباعد من النار».

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٥ ـ ح٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣ ـ ح١٧١٨).

اللهِ واستعمالٌ لطاعةِ اللهِ وقوةٌ على دينِ اللهِ، ليس لأحدٍ تغييرٌ فيها، ولا النظرُ في رأيٍ يخالفُها، من اقتدىٰ بها فهو مهتدٍ، ومن خالَفها واتَّبعَ غيرَ سبيلِ المؤمنين ولاهُ اللهُ ما تولىٰ، وأصلاه جهنَّمَ وساءتْ مصيراً.

أيها المؤمنون: إن غيرَ سبيلِ المؤمنين نزعاتٌ وأهواءٌ، وضلالٌ عن الجادةِ، وشقٌ لعصا الطاعةِ، ومفارقةٌ للجماعةِ.

لقد رسمَ الشرعُ للعباداتِ والتكاليفِ طرقاً خاصةً على وجوهٍ خاصةٍ زماناً ومكانا، وهيئةً وعدداً، وقصَرَ الخلقَ عليها أمراً ونهياً، وإطلاقاً وتقييداً، ووعداً ووعيداً، وأخبرَ أن الخيرَ فيها، والشرَّ في تجاوزِها وتعدِّيها ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

والرسلُ برحمةِ الله إلى خلقه مرسلون، ومن رامَ غيرَ ذلك، وزعمَ أنَّ ثَمَّتَ طُرقاً أُخرَ، وعَبَدَ الله بمستحسناتِ العقولِ؛ فقد قدَح في كمالِ هذا الدين، وخالفَ ما جاءَ به المصطفىٰ الأمين، عليه أفضل الصلاةِ وأزكىٰ التسليم. وكأنَّه يستدركُ على الشريعةِ نقائصَ.

يقول ابنُ الماجشون: سمعتُ مالكاً رحمه الله يقولُ: من ابتدعَ في الإسلام بدعةً يراها حسنةً؛ فقد زعمَ أن محمداً ﷺ خانَ الرسالةَ؛ لأنَ اللهَ يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ فما لم يكن يومئذٍ ديناً؛ فلا يكون اليومَ ديناً.

الابتداعُ وتلمُّسُ المسالك والطرقِ معاندةٌ للشرعِ ومشاقةٌ له. وهو محضُ اتباعِ الهوىٰ فليسَ ثمَّتَ إلا طريقان:

إما طريقُ الشرعِ، وإما طريقُ الهوىٰ: يقول الله عز وجل: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [القصص: ٥٠].

لقد حصرتْ الآيةُ الكريمةُ الحكمَ في أمرين لا ثالثَ لهما: إما الاستجابةُ للمصطفىٰ، وإما اتباعُ الهوىٰ.

ولئن قصدَ صاحبُ البدعةِ ـ أيها الأخوةُ ـ ببدعتِه التقربَ إلى اللهِ والمبالغةَ في التعبدِ؛ فليعلمْ أن في هذا مداخلَ للشيطانِ عريضةً في مسالكَ ملتويةٍ ووسوساتٍ مميلةٍ، ولم يرضَ هذا المُبتلىُ بما حدَّه الشارعُ وقدَّرَه؛ فخرجَ عن هذه الضوابطِ وتَفَلَّت من هذه القيودِ، وقد يصاحبُ ذلك عُجْبٌ وحبٌّ في الظهورِ مع ميولِ النفسِ بطبعِها إلى قبولِ الجديدِ الذي لم تعهْدهُ قطعاً للسآمةِ والمللِ.

إن القيامَ بالتكاليفِ الشرعيةِ فيه كُلفةٌ على النفسِ؛ لأن فيه مخالفةً للهوىٰ، ومنازعةً للرغبات، فيثقلُ هذا علَى المبتدِع، والنفسُ إنما تنشَطُ بما يوافقُ هواها.

وكلُّ بدعةٍ فإن للهوى فيها مدخلاً؛ لأنها راجعةٌ إلى رغباتِ مخترِعِها ومبتدِعها، ومتمشيةٌ مع هواه وميولِ نفسِه... ليست نابعةً من الشرعِ وأحكامِه وأدلتِه.

ومن هنا فإنه قد يظهرُ من صاحبِ البدعةِ اجتهادٌ في العملِ والعبادةِ، وما هذا إلا لخفةٍ يجدُها، ونشاطٍ يشعرُ به لما فيه من موافقةِ الهوىٰ. ولقد كان الرهبانُ من النصارىٰ ينقطعون في

صوامعهم وأديرتهم على غير طريق الحقِّ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الغاشية: ٢ ـ ٣] ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٤] ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [فاطر: ٨].

وإنَّ قصداً في سنةٍ خيرٌ من اجتهادٍ في بدعةٍ.

وبسببِ البدعِ وأهلِها ـ أيها المؤمنون ـ يكثرُ الجدلُ بغيرِ الحقِّ، وبغيرِ التي هي أحسنُ، وتحصلُ الخصومةُ في الدين. وقد قال قتادةُ رحمه اللهُ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٥] قال: هم أهلُ البدعِ.

وقال بعضُ أهلِ العلمِ: كلُّ مسألةٍ حدثتْ في الإسلام واختلفَ الناسُ فيها، ولم يورثْ ذلك الاختلافُ بينهم عداوةً ولا بغضاءَ ولا فرقةً؛ فهي من مسائلِ الإسلامِ.

وكلُّ مسألةٍ حدثتْ أو طرأتْ؛ فأوجبتْ العداوةَ والبغضاءَ والتدابرَ والقطيعةَ ليستْ من أمرِ الدينِ في شيءٍ.

وأصحابُ البدعِ يتَّبعونَ المتشابهَ، ويتعسَّفُون في التأويلِ حتى فُسِّرَ قولهُ تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٧] بأنهم أهلُ البدعِ والأهواءِ.

وحينما قال أهلُ التحكيم لعليٍّ رضي الله عنه: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] قال: كلمةُ حقٍّ أُريدَ باطلٌ.

وقد تأكَّدَ في الأخبارِ النبويةِ أنه ما قامتْ بدعةٌ إلا وأميتتْ سنةٌ.

أخرجَ أحمدُ والبزارُ من حديثِ غُضَيفِ بن الحارثِ مرفوعاً: «**ما أحدثَ قومٌ بدعةً إلا رُفع مثلُها من السنةِ، فَتَمَسُّكٌ بسنةٍ خَيْرٌ من إحداثِ بدعةٍ**»[1].

وأخرجَ أحمدُ أيضاً والطبرانيُّ والبزارُ من حديث غُضيفٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «**ما من أمةٍ ابتدعتْ بعد نبيِّها في دينها بدعةً إلا أضاعتْ مثلَها من السنةِ**»[2] فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا أن في ظهورِ البدعِ انطماساً للسننِ، فالسعيدُ من عضَّ على السنةِ بالنواجذِ، فأحيَاها ودعا إليها، فردَّ الله بها مبتدِعاً، وهدىٰ به زائغاً، وأنقذَ به حائراً.

كتب عمرُ بنُ عبدالعزيز رحمه الله إلى عديِّ بن أرطاةٍ بشأنِ بعضِ القدريةِ: «أوصيك بتقوىٰ اللهِ، والاقتصادِ في أمره، واتباعِ سنةِ نبيِّه ﷺ، وتركِ ما أحدثَ المُحدِثون فيما قد جرتْ به سنةٌ، فعليك بلزوم السنةِ، فإن السنةَ إنما سنَّها من قد عرفَ ما في خلافِها من الخطأ والزللِ والحمقِ والتعمقِ، فارضَ لنفسِك بما رضِي به القومُ لأنفسِهم، فإنهم على علمٍ وقفوا، وببصرٍ ناقدٍ كفُّوا، وهم كانوا على كشفِ الأمورِ أقوىٰ، وبفضلٍ كانوا فيه أحرىٰ، إنهم هم السابقون، تكلَّموا بما يكفي، ووصفوا

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ١٠٥)، وانظر مجمع الزوائد (١/ ١٨٨).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٨/ ٩٩ ـ ح١٧٨)، والبزار (١/ ٨٢ ـ ح١٣١).

ما يشفي، فما دونهم مُقَصِّرٌ، وما فوقهم مُحَسِّرٌ، لقد قصَّرَ فيهم قومٌ فَجَفَوْا، وتجاوز آخرون فَغَلوْا، وإنهم بين ذلك لعلىٰ هدىً مستقيمٍ»[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦].

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٠٢، ٢٠٣ ـ ح٤٦١٢).

# اتبعوا ولا تبتدعوا

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ، له الحمدُ في الأولىٰ والآخرةِ، أحمده وأشكره على نعمه الباطنةِ والظاهرةِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، هدىٰ بإذن ربِّه القلوبَ الحائرةَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه نجومِ الدجىٰ والبدورِ السافرة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، واعلموا أن أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النارِ.

اتبعوا رحمكُم اللهُ ولا تبتدعوا، فقد كُفيتم. يقولُ حذيفةُ رضي الله عنه: كلُّ عبادةٍ لم يتعبدْها أصحابُ رسولِ الله ﷺ فلا تعبَّدوها فإن الأولَ لم يَدَعْ للآخِرِ مقالاً.

أخرجَ الدارميُّ بسندٍ صحيح أن أبا موسى الأشعريَّ قال لابن مسعودٍ رضي الله عنهما جميعاً: «إني رأيتُ في المسجدِ قوماً حِلَقاً جُلوساً ينتظرون الصلاةَ، في كلِّ حلقةٍ رَجُلٌ، وفي أيديهم حصىً فيقولُ: كبِّروا مائةً فيكبرونَ مائة، فيقول: هلِّلوا مائةً

فيهللون مائةً، فيقول: سبِّحوا مائةً فيسبحونَ مائةً. قال: أفلا أمرتَهم أن يعدُّوا سيئاتِهم وضمنتَ لهم أن لا يضيعَ من حسناتِهم شيءٌ؟؟ ثم أتى حلقةً من تلك الحِلَقِ فوقفَ عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبدالرحمن، حصىً نعدُّ به التكبيرَ والتهليلَ والتسبيحَ والتحميدَ، قال: فعدُّوا سيئاتِكم فأنا ضامنٌ أن لا يضيعَ من حسناتِكم شيءٌ، ويحكم يا أمةَ محمدٍ، ما أسرعَ هلَكَتكم؛ هؤلاء أصحابُه متوافرون. وهذه ثيابُه لم تْبلَ، والذي نفسي بيدِه أنتم لعلى ملةٍ هي أهدى من ملةٍ محمدٍ أو مفتتحوا بابِ ضلالةٍ؟! قالوا: واللهِ يا أبا عبدالرحمن ما أردنا إلا الخيرَ، قال: وكم من مريدٍ للخيرِ لن يصيبَه؟؟؟»[1].

ورُوي أن رجلاً قال لمالكِ بن أنس: من أين أحرم؟ قال: من حيثُ أحرمَ رسولُ الله ﷺ. قال الرَّجلُ: فإن أحرمتُ من أبعدَ منه؟ قال: فلا تفعلْ فإني أخاف عليك الفتنةَ. قال: وأي فتنةٍ في ازدياد الخير؟؟ فقال مالك: فإن الله تعالى يقولُ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣] وأيُّ فتنةٍ أعظمُ من أن ترى أنك خُصِصْتَ بفضلٍ لم يُخَصَّ به رسولُ الله ﷺ؟؟؟.

فاتقوا اللهَ ـ يرحمْكم الله ـ وخذوا بالنهجِ الأولِ، وعليكم بالاتباعِ وابتعدوا عن الابتداعِ.

---

(١) أخرجه الدارمي (١/ ٦٠ ـ ح٢١٠)، وانظر مجمع الزوائد (١/ ١٨١).

# سورة (ق) ويوم النشور

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المبدىءِ المعيدِ، الفعالِ لما يريدُ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وهو على كلِّ شيءٍ شهيدٌ، علا بذاته، وقهرَ بقدرته، وهو أقربُ إلى عبدهِ من حبلِ الوريدِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أدخرُها ليومٍ يشيبُ لهوله الوليدُ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بشَّر وأنذرَ، وحذَّر يوم الوعيد. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا اللهَ عباد الله، اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله، يومَ يُنفخُ في الصورِ، ويبعثُ من في القبورِ، ويظهرُ المستورُ، يوم تُبلى السرائرُ، وتُكْشَفُ الضمائرُ، ويتميزُ البرُّ من الفاجرِ.

أيها الأخوةُ في الله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧].

المكلَّفون مؤاخَذون بأعمالِهم، تُكتبُ ألفاظُهم، وتُسجَّلُ ألحاظُهم في كتابٍ لا يغادرُ صغيرةً ولا كبيرةً إلا أحصاها، يشهدُ

عليهم سمعُهم وأبصارُهم وجلودُهم.

أيها المسلمون والمسلمات: البعثُ والنشورُ والجزاءُ والحسابُ أحدُ أركانِ دينِ الله، جاءتْ به جميعُ رسلِ اللهِ، والغريبُ العجيبُ أنه ما من شيءٍ في دعوةِ هؤلاءِ الرسلِ عليهم الصلاةُ والسلامُ استبعدَه الكفارُ واستغربوه، وتعجبوا منه وأنكروه مثلُ إنكارِهم لليومِ الآخرِ.

والقرآن الكريم قد سجلَ على هذه الأجيالِ الكافرةِ جيلاً بعد جيلٍ إصرارَها وإنكارَها ﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩] ﴿أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد: ٥] ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾﴾ [مريم: ٦٦] ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون: ٣٥ ـ ٣٧] ﴿بَلْ قَالُواْ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون: ٨١ ـ ٨٣].

أيها الإخوةُ، وبين أيدينا سورةٌ عظيمةٌ كأنَّها قد خُصصتْ لمعالجةِ هذه القضيةِ، سورةٌ ذاتُ دلالاتٍ عظيمةٍ وآياتٍ عميقةٍ، تخاطبُ العقولَ، وتُطبِّبُ أمراضَ الشكوكِ لا بالجدلِ العقليِّ العقيمِ؛ ولكن بالطريقةِ القرآنيةِ الفريدةِ الصالحةِ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ. إنها السورةُ التي كان يقرؤُها ﷺ، ويخطبُ بها على المنابرِ في الجُمَعِ والأعيادِ والمجامعِ الكبارِ، كما يقولُ الحافظُ ابن كثير ـ رحمه الله ـ لاشتمالها على ابتداءِ الخلقِ، والبعثِ

والنشورِ، والمعادِ والقيامةِ والحسابِ، والجنةِ والنارِ، والثوابِ والعقابِ، والترغيبِ والترهيبِ.. تلكم هي سورةُ ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ۝١﴾ [ق: ١].

أخرجَ مسلمٌ وأحمدُ من حديثِ أمِّ هشامِ بنت حارثةَ قالت: «لقد كان تنورُنا وتنورُ النبيِّ ﷺ واحداً سنتَين أو سنةً أو بعضَ السنة، وما أخذتُ (ق والقرآن المجيد) إلا على لسانِ رسولِ الله ﷺ كان يقرؤها كلَّ يومِ جمعةٍ على المنبرِ إذا خَطبَ الناسَ»(١).

سورةٌ عظيمةٌ، جليةٌ بحقائِقها، ظاهرةٌ في حُججِها، واضحةٌ في بيانِها، تأخذُ على النفوسِ أقطارَها، وتلاحقُ القلوبَ في خطراتِها وحركاتِها، تبرهنُ على عقيدةِ البعثِ والنشورِ؛ من المولدِ والوفاةِ، والمحشرِ الحسابِ، والثوابِ والعقابِ، إيضاحٌ عجيبٌ، وبسطٌ دقيقٌ لصورةِ المحيا والمماتِ، وصورةِ البلىٰ والقيامِ لربِّ العالمين.

تبتدىءُ السورةُ الكريمةُ بتعجُّبِ الكفارِ واستبعادِهم للمعادِ بعدَ الهلاكِ، وتلك سذاجةٌ في التفكيرِ، وقصورٌ في النظرِ. إنهم ينكرون إعادةَ الخلقِ، وقد خُلِقوا أولَ مرةٍ. ويأتي الردُّ عليهم سهلاً سريعاً يسيراً، فالله الذي خلقَهم وأماتَهم لا يعزبُ عنه مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرضِ، يعلم أجزاءَهم وأشلاءَهم وذرَّاتِهم، وكلَّ ما تَنتَقِصُه الأرضُ منهم، وكلُّ ذلك في كتابٍ حفيظٍ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٥ ـ ح٨٧٣).

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ١ ـ ٥].

إن كلَّ من كذَّب بالحقِّ فهو في أمرٍ مريجٍ. السائرُ في غيرِ دربِ الحقِّ حالُه مختلطٌ، وأمرُه متخبِّطٌ، تتقاذفُه الأهواءُ، وتتخطَّفُه الهواجسُ، وتمزِّقُه الحيرةُ، وتُقلقُه الشكوكُ، يضطربُ سعيُه، وتتأرجحُ مواقفُه ذاتَ اليمينِ وذاتِ الشِّمال، فقلبه في اضطرابٍ، ونفسُه في خلجاتٍ. وهذا هو حالُ الكثيرين من الفلاسفةِ المتقدمينَ، والماديّين المتأخرينَ، والشيوعيينَ والعلمانيين؛ كلُّ هؤلاءِ وأولئكَ في أمرٍ مريجٍ، وليس ثمةُ معالجةٌ لهذه الشكوكِ، ولا طريقٌ يوصلُ إلى الحقِّ إلا طريقُ القرآن، إنه التدبُر في خلقِ الإنسانِ ومخلوقاتِ الأرضِ والسماءِ، والنباتِ والماءِ، وكلِّ مبثوثٍ من الجمادِ والأحياءِ، ينضمُّ إلى ذلك النظرُ في أحوالِ الغابرينَ، وعاقبةِ المكذبين، ومصائرِ المتشككين ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ۝١٢ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ۝١٣ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝١٤ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٥﴾ [ق: ٦ ـ ١٠].

ومن بعد ذلك تنتقلُ الآياتُ إلى طريقٍ في البرهانِ آخرَ،

ومشهدٍ مألوفٍ؛ ولكن كثيراً ما تغفلُ عنه النفوسُ، إنها لحظةُ الموتِ وسكراتُه، ويسبقُ ذلك بيانُ الرقابةِ الإلهيةِ والإحاطةِ الربانيةِ بهذا الإنسانِ، فهو في قبضةِ مولاه، النَّفَسُ معدودٌ، والهاجسُ معلومٌ، واللفظُ مكتوبٌ، واللحظُ محسوبٌ. رقابةٌ رهيبةٌ لا يفوتُ فيها ظنٌّ، ولا يفلتُ منها وَسْواسٌ.

يُذكر ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ مصحوباً بوصفٍ عجيبٍ لحالةِ الموتِ والسكراتِ التي تمرُّ على كلِّ إنسانٍ؛ برّاً كان أو فاجراً، مؤمناً كان أو كافراً. والموتُ هو أشدُّ ما يحاولُ المخلوقُ البشريُّ أن يروغَ منه، أو يبعدَ شبَحَه عن خاطِره ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾ [ق: ١٩]. ولكنَّ الموتَ طالبٌ مدركٌ، لا يُبطيءُ ولا يخطيءُ ولا يتخلَّفُ له موعدٌ، وهاهي سكراتُ الموتِ قد جاءتْ بالحقِّ الذي كان ينكره المنكرون، ولكن لا ينفعُ الاعترافُ بعد فواتِ الأوانِ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٩].

وبعد الموتِ وسكراتِه يأتي هولُ المحشرِ، ورهبةُ الحسابِ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢٠ ـ ٢٢] إنه تصويرٌ حيٌّ، وشاهدٌ قائمٌ، يقولُ فيه الرسولُ ﷺ: **«كيف أَنعْمُ وصاحبُ القَرْنِ قد التقمَ القرنَ، وحنىٰ جبهتَه، وانتظرَ أن يُؤذَنَ له»**. قالوا: يا رسول الله ، كيف نقول؟ قال ﷺ: **«قولوا حسبُنا اللهُ ونِعمَ الوكيلُ»**[1]. فقالوا حسبنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ.

---

(١) أخرجه الترمذي(٤/ ٥٣٦ـ ح٢٤٣١)، وقال: حديث حسن، وأحمد(٣/ ٧٣).

لقد جاءَ الشهداءُ، ونُشِرتْ السجلاتُ، وفُصِل بين الفريقين، وتبيَّن أصحابُ الجنةِ وأصحابُ السعيرِ. وبدأ الخاسرون يتحاجُّون، ورجعوا إلى أنفسهم يتلاومون. ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٢٣ ـ ٣٥].

هذه هي عاقبةُ الفريقين فيالسعادةَ من رُزِقَ القلبَ المنيبَ، وخشي ربَّه بالغيبِ.

فاتقوا الله، وآمنوا بلقاءِ ربّكم؛ يَصلُحْ لكم أمرُ دينكم ودنياكم وآخرتِكم، حياةٌ طيبةٌ، وطمأنينةٌ إيمانيةٌ، وعاقبةٌ خيِّرةٌ، فما عند اللهِ خيرٌ وأبقىٰ، وأغلىٰ وأنقىٰ.

# سورة (ق) ويوم النشور

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ خلقَ فسوىٰ، وأعادَ أبدىٰ، أحمده سبحانه قادرٌ على أن يُحيي الموتىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صاحبُ المقامِ المحمودِ، والحوضِ الموردِ في اليومِ المشهودِ، فأعظِمْ به رسولاً وأكرِمْ به عبداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واهتدى.

أما بعدُ: معاشرَ الأحبةِ: فتأتي خواتيمُ هذه السورةِ العظيمةِ؛ لتوجزَ ما سبق من طُرُقِ إثباتِ البعثِ ومراحلِ الخلقِ، ومصيرِ الخلائقِ، ومصارعِ الغابرين، وأهوالِ المحشرِ. في كلِّ ذلك ذكرىٰ وتذكرةٌ، واعتبارٌ وتبصرةٌ، ومن لا يتذكرُ بوقائعِ الدهرِ ولا يستدلُّ من الشاهدِ على الغائبِ، ولا يستبصرُ بأحوالِ الأممِ، فلا حياةُ له ولا ذكرىٰ في قلبه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ۝٣٩ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ۝٤٠ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۝٤١ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ

﴿ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾ [ق: ٣٦ ـ ٤٥].

وإن كان من وقفةٍ أخيرةٍ فهي عند قولِ الله عزَّ وتبارك: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٣٩] ذلك أيها الإخوةُ ـ إن الهدايةَ بيدِ اللهِ غيرُ خاضعةٍ لقوة برهانٍ، أو بلاغةِ بيانٍ، فاصبر على ما يقولون، فما عليك إلا البلاغُ، وليس عليك هداهم. وذكِّرْ بالقرآنِ فهو يهزُّ القلوبَ، ويزلزلُ النفوسَ، ولا يتذكرُ إلا من يخافُ وعيدَ الله، ويخشى سوءَ عاقبةِ أمره.

فاتقوا الله ربكم ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: ٣٣].

# الشيطان: مداخل ومكائد

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يليقُ بحمدِ ربِّنا وتعظيمِه، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله المزيد من كمالِ إحسانِه وجميلِ تكريمِه، وأعوذ بالله من شرورِ أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، ومن شرِّ الشيطانِ وتوهيمِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن سيدَنا ونبيِّنا محمداً عبده ورسوله. شرَّفه ربُّه وكرَّمه وخصَّه بإدنائِه وتقديمِه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ، فإن لكل شيءٍ حساباً، ولكل أجلٍ كتاباً، وأنتم بأعمالكم مجزيون.

أيها المسلمون، يقول الله عزَّ وتباركَ: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ (٢٧) ﴾ [الأعراف: ٢٧].

مارسَ الشيطانُ كيدَه وفتنتَه مبتدئاً بالأبوين الكريمين. ولقد كان بلاءً عظيماً، دافعهُ الغيظُ والحسدُ: ﴿ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ

عَلَيَّ﴾ [الإسراء: ٦٢] دافعهُ الكبرُ والخيلاءُ: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [البقرة: ٣٤] ووسيلتهُ الأيمانُ الكاذبةُ: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ [الأعراف: ٢١] والمقاييسُ الفاسدةُ: ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١٢].

فتنةٌ عُظمىٰ، وبليةٌ كبرىٰ حين يعظمُ سلطانُ إبليسَ فيستفزُّ القلوبَ والعقولَ والمشاعرَ في معركةٍ صاخبةٍ. تُزمجرُ فيها الأصواتُ، وفيها إجلابُ الخيلِ والرجالِ للمبارزاتِ: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ [الإسراء: ٦٤].

أيها الإخوةُ في اللهِ، إن تبيُّنَ صورِ هذا الكيدِ الإبليسي، والتأملَ في هذا المكرِ الشيطاني، أمرٌ من الأهميةِ بمكانٍ من أجلِ النظرِ في سبيلِ الخلاص، وطريقِ النجاةِ. فالله قد هدىٰ النجدين، وأوضح الطريقين.

معاشرَ الأحبةِ، مداخلُ الشيطانِ تأتي من قبلِ صفاتِ الإنسانِ، فلئن كان الشيطانُ خرجَ من الجنةِ بالحسدِ، فإن آدم خرجَ منها ـ كما يقول العلماء ـ خرجَ بالحرصِ والطمعِ.

وتترقىٰ خطواتُ الشيطانِ التي يستدرجُ فيها ابنَ آدمَ حتى يتَّخذَه معبوداً له من دون اللهِ عياذاً باللهِ: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾﴾ [يسٓ: ٦٠] ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾﴾ [مريم: ٤٤].

ويقعُ العبدُ في ذلك حين يُسْلِمُ قيادَه لعدوِّه، ويُفْلِتُ الزمامَ لشهواتِه، فيتَّبعُ كلَّ شيطانٍ مريدٍ ﴿كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ

﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ۝٤﴾ [الحج: ٤] وفي الحديثِ: «**إن الشيطانَ قعدَ لابن آدمَ بأَطْرُقِه، فقعدَ له بطريقِ الإسلامِ فقال: تسلمُ وتذرُ دينَك ودينَ آبائك، وآباء أبيك؟** . . . »[(١)].

ويأتي من بعدِ الكفرِ مسالكُ أخرىٰ في خَطواتِ البدعِ والأهواءِ والشبهاتِ. فكم روَّجَ الزَغَلَ على بعضِ العارفين، وكم سحَرَ ببَهْرَجِه بعضَ المتعبدين، حتى ألقاهم في تشعُّباتِ الآراءِ، ومسالكِ الضلالِ. منتقلاً بهم إلى حالةٍ يقولون فيها على الله ما لا يعلمون: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝١٦٨ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٨ ـ ١٦٩].

نعم أيها الإخوةُ، القولُ على اللهِ بلا علمٍ خُطوةٌ من خُطُواتِ الشيطانِ، وهو الأصلُ في فسادِ العقائدِ، وتحريفِ الشرائعِ، ويُخشىٰ من ذلك على أقوامٍ يخوضون في علومٍ لا يحسنونَها، ويتجرءَون على فتاوىٰ لا يحيطون بها، وقد يجرُّهم في خطواتِهم إلى الإفكِ والإثمِ، والتزويرِ والكذبِ، وحينئذٍ تتنزلُ عليهم الشياطينُ تنزلاً ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ۝٢٢١ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٢٢٢﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢] وحينئذٍ لا يَدْعونَ إلى هدىٰ، ولا يأمرون بتقوىٰ، ولا يدلُّون على حقٍّ، وبريدُ الشيطان في ذلك الطيشُ والعجَلَةُ كما جاء في حديثِ أنس بن مالكٍ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ قال: «**التأنيِّ من اللهِ، والعجلةُ من الشيطانِ**»[(٢)]، ورواتُه رواةُ الصحيح، وتأتي خُطُواتٌ من بعدِ ذلك في أهواءِ

---

(١) أخرجه النسائي (٦/ ٢١ ـ ح٣١٣٤)، وأحمد (٣/ ٤٨٣).

(٢) رواه أبويعلى (٧/ ٢٤٧، ٢٤٨ ـ ح٤٢٥٦)، والبيهقي (١٠/ ١٠٤).

النفوس وطبائِعها، فالبخلُ وخوفُ الفقرِ سلاحٌ شيطانيٌّ. يقول فيه سَفيانُ الثوريُّ: ليس للشيطانِ سلاحٌ للإنسانِ مثلَ خوفِ الفقرِ. فإذا وقعَ في قلبِ الإنسانِ منعَ الحقَّ، وتكلَّم بالهوىٰ، وظنَّ بربِّه ظنَّ السَّوءِ. وأصدقُ من ذلك وأبلغُ قول ربِّنا عزَّ وتبارك: ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

والغضبُ أيها الإخوةُ تمردٌ شيطانيٌّ على العقلِ العاقلِ، وحالةٌ من الخروجِ عن جادةِ ذوي الرجاحةِ، والأسوياءِ. روي عن بعضِ الأنبياءِ أنه قال لإبليسَ: بمَ غلبتَ ابنَ آدمَ؟ قال: عند الغضبِ وعند الهوىٰ. وأغلظَ رجلٌ من قريشٍ لعمرَ بنِ عبدِالعزيز القول، فأطرَقَ عمرُ بُرهةً. ثم قال: أردت أن يستفزني الشيطانُ بعزِّ السلطانِ. فأنال منك اليومَ ما تنالُ مني غداً!!!.

أما الأمانيُّ وحصائدُ الغرورِ... فذلكم هو السلاحُ الشيطانيُّ المَضَّاءُ ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[النساء: ١٢٠] ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٤٨] يعدُهم هذا الغرَّارُ بحسَبِ طبائِعهم، يجرُّهم إلى حبائِله بحسبِ ميولِهم ومشتهياتِهم. يخوفُ الأغنياءَ بالفقرِ، إذا هم تصدَّقوا وأحسنوا. كما يزينُ لهم الغنىٰ وألوانُ الثراءِ بالأسبابِ المحرمةِ والوسائل القذرةِ.

يزينُ لأصحابِ المللِ والنِّحلِ التعصبَ وتحقيرَ المخالفين، ويصورُ لهم ذلك طريقاً إلى الحرصِ على العلم وحبِّ أهله. وينقضي عمرُ ابنِ آدمَ وهو في بحرِ الأمانيِّ يسبحُ، وفي سبيلِ

الغوايةِ يخوضُ. يعدهُ الباطلَ، ويمنِّيه المُحالَ، والنفسُ الضعيفةُ المهينةُ تغتذي بوعدِه، وتلتذُّ بأباطيلِه، وتفرحُ كما يفرحُ الصبيانُ والمعتوهون.

والخروجُ عن الوسطِ ومجاوزةِ حدِّ الاعتدالِ خَطْوٌ إبليسيٌّ، ومسلكٌ شيطاني. يقولُ بعضُ السلفِ: ما أمر اللهُ تعالىٰ بأمرٍ إلا وللشيطانِ فيه نزعتان: إما إلى تفريطٍ وتقصيرٍ، وإما إلى مجاوزةٍ وغلوٍّ، ولا يبالي إبليسُ بأيِّهما ظَفِرَ.

وإن حبائلَ الشيطانِ بين هذين الواديين. تُحبَكُ وتُحاكُ. غلا قومٌ في الأنبياءِ وأتباعِهم حتى عبدُوهم، وقصَّرَ آخرون حتى قتلوهم، وقتلوا الذين يأمرونَ بالقسطِ من الناس، وطوائفُ غَلَوْا في الشيوخِ وأهلِ الصلاحِ، وآخرون جفْوهم وأعرضوا عنهم.

وإذا نظرتَ في فروع الأحكام. فإنك سترىٰ أناساً قصَّروا بواجباتِ الطهارةِ، وتجاوز آخرون إلى الوسواسِ، وفئامٌ من الناس جعلوا تحصيلَ العلم غايَتهم، وأهملوا العَمل. وآخرون تركوا فروض الأعيانِ المتعينةَ فلم يتعلَّموها. وأما أعمال القلوبِ من الخشية والانكسارِ والإخباتِ وأمثالِها. فقد أهملَها بعضُ من استحوذَ عليهم الشيطانُ، ولم يلتفتوا إليها، وظنُّوها من فضولِ العملِ، واستحوذَ على آخرين في الجانبِ الآخرِ حتى أهملوا أعمالَ الجوارحِ، وقالوا بسقوط التكاليفِ عن بعض العارفين. ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ [محمد: ٢٥] ﴿وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾﴾ [النساء: ٣٨] ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٣٧] إن أسوأْ مايصنعُه القرينُ من الشيطانِ أن يصدَّ قرينَه عن سبيلِ الحقِّ. ثم لا يدَعُه يفيقُ ولا يستبينُ، بل

يوهمه أنه سائرٌ على الطريقِ المستقيم... حتى يُفجأ بالمصيرِ الأليم: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأعراف: ٣٠].

أيها المسلمونَ، لقد أخذَ هذا اللعينُ الميثاقُ على نفسِه لَيَقْعُدَ لابنِ آدمَ كلَّ طريقٍ: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧] لئن كان هدَّدَ بذلك وتوعَّدَ؛ فإن كيدُه ضعيفٌ، ومكرَه يبورُ. إذا تسلَّحَ العبدُ بسلاحِ الإيمانِ، والعقيدةِ النقيةِ، وحَسُنَ للهِ تعبُّدُه، وصحَّ على ربِّه توكُّلُهُ ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [النحل: ٩٩] ليس له سلطانٌ على أهلِ التوحيدِ والإخلاصِ، ولكنه ذو تسلطٍ عظيمٍ على من تولاه وكفرَ باللهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾ [مريم: ٨٣] ولئن انطلقَ عدوُّ اللهِ يُنْفِذُ وعيدَه، ويستذلُّ عبيدَه، فليس له طريقٌ إلى عبادِ اللهِ وحزبِ الرحمنِ ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٢٤]، [الإسراء: ٦٥].

أيها الإخوةُ، وعلى الرغمِ من وضوحِ ذلك وجلائِه، فقد يَزِلُّ المؤمنُ أو يخطىءُ، وقد يصيبُه نزغٌ من الشيطانِ، أو يمسُّهُ طائفٌ منه، وقد يُران على قلبِه من وَسْواسِه، لكنه سرعانَ ما يلوذُ بربِّه ويلجأُ إلى ذكره، ويتوبُ إليه من قريبٍ، فينخنسُ شيطانهُ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] صلتُهم باللهِ الوثيقةُ تعصِمُهم من أن ينساقوا مع عدوِّ اللهِ وعدوِّهم، يتخلصُ المؤمن بذكرِ اللهِ ـ لجوءاً إلى ربِّه، واستعاذةً به ـ من نزواتِ الشيطان ونزغاتِه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ

ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٦﴾ [فصلت: ٣٦]

**«أعوذ بوجهِ اللهِ الكريم، وكلماتِ التاماتِ اللاتي لا يجاوزُهنَّ برٌّ ولا فاجرٌ، ومن شرِّ ما ينزلُ من السماءِ، وشرِّ ما يعرجُ فيها. وشرِّ ما ذَرأَ في الأرضِ، وشرِّ ما يخرجُ منها، ومن فِتَنِ الليلِ والنهارِ، ومن طوارقِ الليلِ والنهارِ، إلا طارقاً يطرقُ بخيرٍ يا رحمنُ»**(١).

أيها الإخوةُ، حقٌّ على من أراد الخيرَ لنفسِه، والسلامةَ لدينِه، ودحرِ شيطانِه. أن ينظرَ بعينِ البصيرةِ لا بهوىٰ الطبعِ والطمعِ، وليسلكْ مسالكَ التقوىٰ والعلمِ المكينِ.

ولقد قال الحسنُ رحمه الله: إنما هما همَّان يجولانِ في القلبِ. همٌّ من الله تعالىٰ، وهمٌّ من العدوِّ، فرحم اللهُ عبداً وقفَ عند همِّه فما كان من اللهِ تعالىٰ أمضاه، وما كان من عدوِّه جاهده وتوقاه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦﴾ [فاطر: ٥ ـ ٦].

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٥٠، ٩٥١) وهو مرسل، وأحمد (٣/ ٤١٩).

# الشيطان: مداخل ومكائد

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله المتعالي في مجدِه ومُلكِه، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، ومن شرِّ الشيطان وشركِه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ؛ ليظهرَه على الدين كلِّه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبِه وأزواجِه وذريتِه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، هذه بعضُ التوجيهاتِ المحمديةِ، والإرشاداتِ المصطفويةِ، تحذِّرُ من مسالكِ الشيطانِ وعوائدِ إبليسَ.

عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يأكلنَّ أحدٌ منكم بشمالِه، ولا يشربنَّ بها فإن الشيطانَ يأكلُ بشمالِه ويشربُ بها**»[1].

وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ما من ثلاثةٍ في قريةٍ ولا بدوٍ لا تقامُ فيهم الصلاةُ؛ إلا قد**

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١٥٩٨، ١٥٩٩ ـ ح٢٠٢٠).

**استحوذَ عليهم الشيطانُ، فعليكم بالجماعةِ، فإنما يأكلُ الذئبُ القاصيةَ»**[1].

وعن قتادة ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: **«الرؤيا الصالحةُ من اللهِ، والحُلْمُ من الشيطانِ، فمن رأى شيئاً يكرهُهُ فلينفثْ عن شِمالِه ثلاثاً، وليتعوذْ من الشيطان، فإنها لا تضرُّه وإن الشيطانَ لا يتراءى بي»**[2]، وفي حديث عند مسلم عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه مرفوعاً: **«إذا تثاءبَ أحدُكم، فليمسكْ بيده على فيه، فإن الشيطانَ يدخلُ»**[3].

وفي الخبر الآخر **«المؤمنُ القويُّ خيرُ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خيرٌ، احرصْ على ما ينفعُك واستعنْ باللهِ ولا تعجزْ، وإن أصابَك شيءٌ فلا تقلْ لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قَدرُ اللهِ وما شاءُ فعلَ. فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ»**[4].

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، واستعيذوا بالله ربِّكم من الشيطانِ، ومن شرِّه وشركِه، ومن همزِه ونفثِه ونفخِه.

---

(١) أخرجه أبوداود (١/ ١٥٠ ـ ٥٤٧)، والنسائي (٢/ ١٠٦ ـ ح٨٤٧)، وأحمد (٥/ ١٩٦).

(٢) أخرجه البخاري (١٢/ ٤٠٠ ـ ح٦٩٩٥) واللفظ له، ومسلم (٤/ ١٧٧١ ـ ح٢٢٦١).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٩٣ ـ ح٢٩٩٥)، والبخاري بمعناه (١٠/ ٦٢٦ ـ ح٦٢٢٦).

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢ ـ ح٢٦٦٤).

# الذين هم في صلاتهم خاشعون

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله نحمدُه ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه. يجبرُ الكَسْرَ، ويغفرُ الذنب، ويعفو عن السيئاتِ، ويُقيلُ العاثرَ من العثراتِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهُ الأولين والآخرين، وأشهدُ أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه، عبدَ ربَّه حقَّ عبادِته، ودعا إلى دينِه، فكان أتباعُه بالحقِّ هم الظاهرين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه، نجومُ في الدُّجىٰ زاهرةً، وكواكبُ على الهدىٰ سائرين، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ، واعبدوه حقَّ عبادتِه، وأخلصوا له، تقربوا إليه خوفاً وطمعاً.

أيها المسلمون، العباداتُ والقرباتُ تتفاضلُ عند اللهِ بتفاضلِ ما في القلوبِ من الإيمانِ والإخلاصِ والمحبةِ والخشيةِ والخشوعِ والإنابةِ.

والعابدُ حقاً والمتقربُ لربِّه صِدقاً، هو الذي تحقَّقَ في قلبِه صدقُ الامتثال للأوامرِ على وجهِها، وابتعدَ عن المخالفاتِ بجميعِ وجوهِها، يجمعُ بين الإخلاصِ والحبِّ والخوفِ وحُسنِ الطاعةِ.

ومن أجل تبيُّنِ هذا التفاضلِ وإدراكِ هذا التمايزِ، هذه وقفةٌ مع أعظمِ فرائضِ الإسلامِ بعد الشهادتين؛ مع الصلاةِ عمادِ الدين.

صفاتُ المؤمنين المفلحين مبدوءةٌ بها، واستحقاقيةُ ميراثِ الفردوس مختتمةٌ بالمحافظةِ عليها: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١] وفي استعراضٍ آخرَ من كتابِ اللهِ للمُكْرَمين من أهلِ الجنةِ تأتي المداومةُ على الصلاةِ في أولِ الصفاتِ، وتأتي المحافظةُ عليها في خاتمتها ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ . . . إلى قوله: وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٣٥].

أيها الإخوةُ، إنه ثناءٌ على هؤلاءِ المصلين ما بعدَه ثناءٌ، وإغراءٌ ما بعده إغراءٌ، لكنَّ هذه الصلاةَ التي أقاموها صلاةٌ خاصةٌ، ذاتُ صفاتٍ خاصةٍ، صلاةٌ تامةٌ كاملةٌ، صلاةٌ خاشعةٌ في هيئةٍ دائمةٍ، ومحافظةٍ شاملةٍ.

إنها صفاتٌ وعناصرُ إذا حصلَ خللٌ فيها أو نقصٌ؛ فقد حصل في صلاةِ العبدِ نقصٌ بقدرِ ذلك القصورِ، بل قد يتحولُ الوعدُ إلى وعيدٍ، وينقلبُ رجاءُ الثوابِ إلى عُرضةٍ للعقابِ، اقرأوا إن شئتم: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون: ٤ ـ ٥] واقرأوا في صفات المنافقين ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء: ١٤٢]

﴿. . . وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ . . ﴾[التوبة: ٥٤].

أيها الإخوةُ: إن روحَ الصلاةِ ولبَّها هو الخشوعُ وحضورُ القلبِ، حتى قال بعضُ أهلِ العلمِ: صلاةٌ بلا خشوعٍ ولا حضورٍ جثةٌ هامدةٌ بلا روحٍ.

إن الخشوعَ ـ أيها الأحبةُ ـ حالةٌ في القلبِ تنبُعُ من أعماقِه مهابةً لله وتوقيراً، وتواضعاً في النفس وتذللاً. لينٌ في القلبِ، ورقةٌ تُورثُ انكساراً وحُرقةً.

وإذا خشعَ القلبُ خشعَ السمعُ والبصرُ، والوجهُ والجبينُ، وسائرُ الأعضاءِ والحواسِّ. إذا سكنَ القلبُ وخشعَ، خشعتْ الجوارحُ والحركاتُ، حتى الصوتُ والكلامُ: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨].

وقد كان من ذكرِ النبيِّ ﷺ في ركوعِه: «**خشعَ لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعصبي**» وفي رواية لأحمد: «**وما استقلَّتْ به قدمي للهِ ربِّ العالمين**»[(١)].

وحينما رأى بعضُ السلفِ رجلاً يعبثُ بيدِه في الصلاةِ قالَ: لو خَشعَ قلبُ هذا لخشعتْ جوارحُه.

ويبين عليٌّ ـ رضي الله عنه ـ خشوعَ الصلاةِ فيقولُ: هو خشوعُ القلبِ، ولا تلتفتْ في صلاتِك، وتُلينُ كنَفَك للمرءِ المسلم. يعني: حتى وأنت تسوي الصفوفَ مع إخوانِك، ينبغي أن يعلوَك الخُشُوعُ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/٥٣٤، ٥٣٥ ـ ح٧٧١)، وأبوداود (١/٢٠١، ٢٠٢ ـ ح٧٦٠)، وأحمد (١/١١٩).

ويصفُ الحسنُ ـ رحمه اللهُ ـ حالَ السلفِ بقولِه: كان الخشوعُ في قلوبِهم، فغَضُّوا له البصرَ في الصلاةِ.

عبادَ الله، إن القلبَ إذا خشعَ، سكنتْ خواطرُه، وترفعتْ عن الإراداتِ الدنيئةِ همتُه، وتجرَّدَ عن اتباعِ الهوىٰ مسلكُه، ينكسرُ ويخضعُ للهِ، ويزولُ ما فيهِ من التعاظمِ والترفعِ والتعالي والتكبرِ.

الخشوعُ سكونٌ واستكانةٌ، وعزوفٌ عن التوجُّهِ إلى العصيانِ والمخالفةِ. والخاشعون والخاشعاتُ هم الذين ذلَّلوا أنفسَهم، وكسروا حدَّتَها، وعوَّدُها أن تطمئنَّ إلى أمرِ اللهِ وذكرِه، وتطلبَ حُسنَ العاقبةِ، ووعدَ الآخرةِ، ولا تغترَّ بما تزينُه الشهواتُ الحاضرةُ، والملذاتُ العابرة.

إذا خشعَ قلبُ المصلي استشعرَ الوقوفَ بين يدي خالقِه، وعظُمتْ عنده مناجاتُه، فمن قَدَرَ الأمرَ حقَّ قدرِه، واستقرَّ في جَنانِه عظمةُ اللهِ وجلالُه، وامتلأَ بالخوفِ قلبُه، خشعَ في صلاتِه، وأقبلَ عليها، ولم يشتغلْ بسواها، وسكنتْ جوارحُه فيها، واستحقَّ المديحَ القرآني: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

رُوي عن مجاهدٍ ـ رحمه اللهُ ـ في قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ۝٢٣٨﴾ [البقرة: ٢٣٨] قال: القنوتُ: الركونُ والخشوعُ، وغضُّ البصرِ، وخفضُ الجناحِ. قال: وكان العلماءُ إذا قام أحدُهم في الصلاةِ هابَ الرحمنَ ـ عزَّ وجلَّ ـ عن أن يشدَّ نظرَه، أو يلتفتَ أو يقلِبَ الحصىٰ، أو يعبثَ بشيءٍ، أو يحدِّثَ نفسَه بشيءٍ من أمرِ الدنيا مادامَ في الصلاةِ.

بالخشوعِ الحقِّ، يكونُ المصلون مخبتين لربِّهم، منكسرين لعظمتِه خاضعينَ لكبريائِه، خاشعينَ لجلالِه: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

ولْتعلموا ـ رحمكم اللهُ ـ أن الخشوعَ يتفاوتُ في القلوبِ بحسَبِ تفاوتِ معرفتِها لمن خشعتْ له، وبحسَبِ مشاهدةِ القلوبِ للصفاتِ المقتضيةِ للخشوعِ. وبمقدارِ هذا التفاوتِ يكون تفاضلُ الناسِ، في القبولِ والثوابِ، وفي رفعِ الدرجاتِ، وحطِّ السيئاتِ. عن عبدالله الصُّنابِحي ـ رضي اللهُ عنه ـ قال أشهدُ أني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**خمسُ صلواتٍ افترضهنَّ اللهُ تعالىٰ، من أحسنَ وضوءَهن، وصلاَّهنَّ لوقتِهن، وأتمَّ ركوعَهن وخشوعَهن؛ فكان له على اللهِ عهدٌ أن يغفرَ له، ومن لم يفعلْ فليس له على اللهِ عهدٌ، إن شاءَ غفرَ له، وإن شاء عذبَه**»(١).

وفي خبرٍ آخرَ عنه ﷺ أخرَجه مسلمٌ وغيرُه قال: «**ما من امرىءٍ مسلمٍ تحضرُه صلاةٌ مكتوبةٌ فيُحسِنُ وضوءَها وخشوعَها وركوعَها إلاَّ كانتْ كفارةً لما قبلها من الذنوبِ، ما لم يُؤتَ كبيرةٌ وذلك الدهرَ كلَّه**»(٢).

وعن عثمان رضي اللهُ عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «... **من توضَّأَ نحوَ وضوئي هذا ثمَّ صلىٰ ركعتين لا يحدِّثُ فيهما نفسه بشيءٍ؛ غُفِرَ له ما تقدَّمَ من ذنبِه**»(٣).

---

(١) أخرجه أبوداود (١/ ١١٥ ـ ح٤٢٥)، وأحمد (٥/ ٣١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٦ ـ ح٢٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣١١ـ ح١٥٩)، ومسلم(١/ ٢٠٤، ٢٠٥ـ ح٢٢٦).

الصلاةُ الخاشعةُ هي الراحةُ الدائمةُ للنفوسِ المطمئنةِ الواثقةِ بوعدِ ربِّها المؤمنةِ بلقائِه.

أينَ هذا من نفوسٍ استحوذ عليها الهوىٰ والشيطانُ؟؟ فلا ترىٰ من صلاتِها إلا أجسّاداً تهوي إلى الأرضِ خفضاً ورفعاً. أما قلوبُها فخاويةٌ وأرواحُها فبالدنيا متعلقةٌ، ونفوسُها بالأموالِ والأهلينَ مشغولةٌ.

لما سمعَ بعضُ السلفِ قوله تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣] قال: كم من مصلٍ لم يشربْ خمراً.. هو في صلاتِه لا يعلمُ ما يقول، وقد أسكرتْه الدنيا بهمومِها.

أيها الإخوةُ، وهناك نوعٌ من الخشوعِ حذَّرَ منه السلفُ، وأنذروا وسمَّوه: خشوعَ النفاقِ. فقالوا: استعيذوا باللهِ من خشوعِ النفاقِ. قالوا: وما خشوعِ النفاق؟ قالوا: أن ترىٰ الجسدَ خاشعاً، والقلبَ ليس بخاشع. ولقد نظرَ عمرُ ـ رضي الله عنه ـ إلى شابٍّ قد نكَّسَ رأسَه فقال له: يا هذا، ارفعْ رأسَك، فإن الخشوعَ لا يزيدُ على ما في القلبِ، فمن أظهرَ خشوعاً على ما في قلبِه فإنما هو نفاقٌ على نفاق.

وقال الحسنُ: إن أقواماً جعلوا التواضعَ في لباسِهم، والكبرَ في قلوبِهم، ولبسوا مداعِجَ الصوفِ ـ أي: الصوفَ الأسودَ ـ واللهِ لأحدُهم أشدُّ كِبْراً بمدْرَعتِه من صاحبِ السريرِ بسريره، وصاحبِ الديباجِ في ديباجِه.

فاتقو الله ـ رحمكُم الله ـ، واحفظوا صلاتكم، وحافظوا عليها،

واستعيذوا باللهِ من قلبٍ لا يخشعْ، فقد كان من دعاءٍ نبيِّكم محمدٍ ﷺ **«اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفعُ، ومن قلبٍ لا يخشعُ، ومن نفسٍ لا تشبعُ، ومن دعوةٍ لا يستجابُ لها»**[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [البقرة: ٤٥ ـ ٤٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٨٨ ـ ح٢٧٢٢).

# الذين هم في صلاتهم خاشعون

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ المتفردِ بالعظمةِ والجلالِ، المتفضلِ على خلقِه بجزيلِ النوالِ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وهو الكبيرُ المتعالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، الداعي إلى الحقِّ، والمنقذِ بإذنِ ربِّه من الضلالِ ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ المآلِ.

أما بعـدُ:

أيها المسلمونَ، يَذكرُ أهلُ العلمِ وجوهاً عدةً، يتبينُ فيها حضورُ القلبِ، ويتحققُ فيها حالُ الخشوعِ، وحقيقةُ التعبدِ.

مـن هـذه الـوجـوه: الاجتهـادُ فـي تفـريـغِ القلـبِ للعبـادةِ، والانصـرافِ عمـا سواهـا، ويقـوىٰ ذلـك ويضعـفُ بحسَـبِ قـوةِ الإيمـانِ بـاللهِ واليـومِ الآخـرِ، والـوعـدِ والـوعيـدِ. منهـا: التفهـمُ والتدبرُ لما تشتملُ عليه الصلاةُ من قراءةٍ وذكرٍ ومناجاةٍ؛ لأن حضورَ القلبِ والتخشعَ والسكونَ من غيرِ فهمٍ للمعاني لا يحققُ المقصودَ.

ومنها: الاجتهادُ بدفعِ الخواطرِ النفسيةِ، والبعدُ عن الصوارفِ

الشاغلةِ. وهذه الصوارفُ والشواغلُ عند أهلِ العلمِ نوعان: صوارفُ ظاهرةٌ وهي ما يشغلُ السمعَ والبصرَ، وهذه تعالَجُ باقترابِ المصلي من سترتِهِ وقبلتِهِ ونظرِهإلىموضع سجودِه، والابتعادِ عن المواقعِ المزخرفةِ والمنقوشةِ، والنبيُّ ﷺ لما صلّىٰ في خميصة[1] لها أعلامٌ وخطوطٌ نزعَها وقال: «**إنها ألهتني آنفاً عن صلاتي**»[2] متفق عليه من حديثِ عائشةَ.

والنوعُ الثاني: صوارفُ باطنةٌ من تَشعُّبِ الفكرِ في همومِ الدنيا، وانشغالِ الذهنِ بأوديةِ الحياةِ، ومعالجةُ ذلك بشدةِ التفكرِ والتدبرِ لما يقرأُ ويذكرُ ويناجي. ومما يعينُ على حضورِ القلبِ، وصدقِ التخشُّعِ؛ تعظيمُ المولىٰ جلَّ وعلا في القلبِ، وهيبتُه في النفسِ، ولاَ يكونُ ذلك إلا بالمعرفةِ الحقَّةِ باللهِ عزَّ شأنه، ومعرفةِ حقارةِ النفسِ وذلِّها وقلةِ حيلتِها، وحينئذٍ تتولدُ الاستكانةُ والخشوعُ والذلُّ والإنابةِ.

أمرٌ آخرُ ـ أيها الإخوةُ ـ يحسنُ التنبيهُ إليه، وهو دالٌّ على نوعٍ من الانصرافِ والتشاغلِ مع ما جاء من عِظَمِ الوعيدِ عليه، وخطرِ التهاونِ فيه، ذلكم هو مسابقةُ الإمامِ في الصلاةِ، فما جُعلَ الإمام إلا ليؤتمَّ به، فلا تتقدموا عليه، وقد قالَ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**أما يخشىٰ الذي يرفعُ رأسَه قبلَ الإمامِ أن يحوِّلَ اللهُ رأسَه رأسَ حمارٍ**»[3] متفقٌ عليه من حديث أبي هريرة. وفي رواية: «**أو صورةَ كلبٍ**».

---

(١) الخميصة: كساء مربع له علمان. انظر الفتح (١/ ٥٧٦).

(٢) أخرجه البخاري(١/ ٥٧٥، ٥٧٦ ـ ح٣٧٣)، ومسلم (١/ ٣٩١ ـ ح٥٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ٢١٤ ـ ح٦٩١)، ومسلم (١/ ٣٢٠ ـ ح٤٢٧).

وانظروا إلى حالِ الصحابةِ رضوانُ اللهِ عليهم مع نبيِّهم وإمامِهم محمدٍ ﷺ يقولُ البراءُ بن عازبٍ: «كنا خلفَ النبيِّ ﷺ فكان إذا انحطَّ من قيامِه للسجودِ، لا يحني أحدٌ منا ظهرَه حتى يضعَ رسولُ اللهِ ﷺ جبهتَه على الأرضِ»(١). متفقٌ عليه، وكانوا يلبَثونَ خلفه قياماً حتى ينحطَّ النبيُّ ﷺ ويكبرَ، وكان يستوي قائماً وهم لا يزالون سجوداً بعدُ. ورأىٰ ابنُ مسعودٍ ـ رضي الله عنه ـ رجلاً يسابق إمامَه فقال له: لا وحدَك صليتَ، ولا أنت بإمامِك اقتديتَ.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ، وأحسنوا صلاتكم، وأتمُّوا ركوعَها وسجودَها، وحافظُوا على أذكارِها، وحُسنِ المناجاةِ فيها، رزقنا اللهُ وإياكم الفقهَ في الدينِ وحسنَ العملِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢١٢ ـ ح٦٩٠)، ومسلم (١/ ٣٤٥ ـ ح٤٧٤).

# المشتغلون بالذكر

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ وسِعتْ رحمتُه كلَّ شيءٍ وعمَّتْ، وتوالتْ نِعمُه على عبادِه وتمتْ. أحمدهُ سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، لهجتْ بذكرِه النفوسُ المؤمنةُ فاطمأنتْ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قام بواجبِ الذكرِ والشكرِ، وجاهد في سبيل الدعوةِ حتى ارتفعتْ رايةُ الملة واستتمتْ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ، وازدهرتْ النجومُ واستكنتْ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدينِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ وعظموا أمرَه، واجتنبوا زواجرَه.

أيهـا المسلمـونَ، يقـول الله عـز وجـل: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ ـ ٢٠٢].

لكل أمةٍ من الأممِ ما تفاخرُ به في مفاهيمَ ضيقةٍ، وأهدافٍ

محددةٍ، وهمم قاصرةٍ... فلا رسالةَ كبرىٰ ولا غاياتٍ عُليا.. لم يكنْ لهم رسالةُ في الأرضِ ولا ذكرٌ في السماء.

وأمةُ العربِ كانت من هذا القبيلِ.. يجتمعونَ بعد حجِّهم في أسواقِهم ومنتدياتِهم؛ ليفاخروا بآبائهم، ويتعاظموا بأنسابِهم. جاءَ الإسلامُ فرفعَ الهممَ، وأنارَ الفكرَ، وأنشأهم إنشاءً جديداً. سلك بأتباعِه مسلكَ عزٍّ لا يَطاولُ، وقادَهم إلى مجدٍ لا يُضاهىٰ، جاءَهم الكتابُ، وتنزلُ عليهم الوحيُ؛ فكان لهم الذكرُ والخلودُ: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنبياء: ١٠]. ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤] في هذا الذكرِ، وهذا الكتابِ أعطاهم الميزانَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣]. فميزانُ الرفعةِ والتكريمِ، ومقياسُ المفاخرةِ والذكرِ، التقوىٰ والصلةُ بالله، والتلبسُ بذكرِه وشكرِه، والعملُ الصالحُ.

إذا كان الأمرُ كذلكَ، فمن أحقُّ بالذكرِ والشكرِ من أهلِ الإسلامِ، الذين أتمَّ الله عليهم نعمتَه وأكملَ لهم دينَه، وجعلَه مهيمناً على الدين كلِّه. ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

وحقُّنا ـ نحن أهلَ الإسلامَ ـ أن نقفَ مع مفهوم الذكرِ، لنتبينَ معناه؛ لعلنا أن نقومَ بحقِّه ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠].

الذكرُ هنا ـ أيها الأحبةُ ـ ذو دائرةٍ واسعةٍ.. لا تُحدُّ

مجالاتُها. . في ميادينُ عريضةٍ من القولِ والعملِ، والفكرِ والاعتقادِ. الذكرُ ليس ساعةَ مناجاةٍ محدودةً في الصباحِ أو المساءِ، في المسجدِ أو في المحرابِ. . لينطلقَ العبدُ بعدَها في أرجاءِ الأرضِ يعبثُ كما يشاءُ ويفعلُ ما يريدُ. الذاكرُ الحيُّ والمتدينُ الحقُّ يرقُبُ ربَّه في كلِّ حالٍ، وحيثما كان، وينضبطُ مسلكُه ونشاطُه بأوامرِ ربِّه ونواهيه. . يشعرُ بضعفِهِ البشري، فيستعينُ بربِّه في كلِّ ما يعتريه أو يُهِمُّه.

وفي هذا يقول سعيدُ بن جبيرٍ ـ رحمه الله ـ: كلُّ عاملٍ للهِ بطاعةٍ فهو ذاكرٌ للهِ تعالىٰ.

ويقولُ عطاءُ: مجالسُ الذكرِ: الصلاةُ والصيامُ والحجُ، ومجالسُ الحلالِ والحرامِ: البيعِ والشراءِ، والنكاحِ والطلاقِ.

المسلمُ الذاكرُ يصحو وينامُ، ويقومُ ويقعدُ، ويغدو ويروحُ، وفي أعماقِه إحساسٌ بأن دقاتِ قلبِه، وتقلباتِ بصرِه، وحركاتِ جوارحِه كلِّها في قبضةِ اللهِ وتحت قدرتِه، في أعماقِه إحساسٌ وإيمانٌ بأن إدبارَ الليلِ وإقبالَ النهارِ، وتنفسَ الصبحِ وغسقَ الليلِ، وحركاتِ الأكوانِ، وجريانَ الأفلاكِ. . كلُّ ذلك بقدرةِ اللهِ وأقدارِه ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١].

لا يهنأُ بالعيشِ، ولا يتذوقُ السعادةَ إلا امرؤٌ أحبَّ اللهَ، وأحبَّ في اللهِ، وأحب للهِ، واطمأنَّ بذكرِه، وهشَّ لمصالحِ خلقِه، وتألَّمَ لآلامِهم، وأعانَ على تحقيقِ آمالِهم، لسانُه الذاكرُ

يقولُ: «**اللهمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقِك فمنكَ وحدَك لا شريكَ لكَ، فلكَ الحمدُ ولكَ الشكرُ**»[(١)].

أيها الإخوةُ المسلمونُ: ملائكةُ الرحمنِ يسبحونَ اللهُ لا يفترُون، ولكنَّ البشرَ يأكلون وينامون، ويعملون ويفترون، غير أنَّهم يضاهئون الملائكةَ. حين يقومون إلى عباداتِهم ومعاشِهم.. حين يزرَعون ويحصِدون ويكافِحون ويكدَحون.. باسم اللهِ ومن اللهِ وإلى اللهِ. أوقاتُ البشرِ التي يصرفونَها تُعادلُ أوقاتَ الملائكةِ في التسبيحِ والتحميدِ والتمجيدِ.. إذا هم آمنوا بربِّهم، وساروا على نهجِهِ، ولحظوا قدرتَه، وتفكروا في آلائِه، واعترفوا بفضلِه في الإطعامِ، والكساءِ، والصحةِ، والإيواءِ، والأمنِ، والأمانِ.

الذاكرون المخبتون يعيشون لربِّهم مصلين، حامدين، مجاهدين، عاملين.

قَطعوا إغراءاتِ العاجلةِ، وجواذبَ الإخلادِ إلى الأرضِ، وساروا في الطريقِ إلى مراضي اللهِ... يبتغون وجهه، ويذكرون اسمَ اللهِ في جميعِ أحيانِهم وشئونِهم ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣].

ويرقى الحالُ بهم إلى أن يُباهي بهم ربُّهم ملائكتَه، كما أخرج مسلمٌ في صحيحه من حديثِ معاويةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: «إن

---

(١) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة من الكبرى (٦/ ٥ ـ ح٩٨٣٥)، وابن حبان انظر الاحسان (٣/ ١٤٢، ١٤٣ ـ ح٨٦١)، وأبوداود (٤/ ٣١٨ ـ ح٥٠٧٣)، وحسن الحافظ.

رسولَ اللهِ ﷺ خرجَ على حلقةٍ من أصحابِه فقال: «**ما أجلَسكُم؟**» قالوا: جلَسنا نذكرُ الله ونحمدُه على ما هدانا للإسلامِ ومَنَّ به علينا. قال: «**آلله ما أجلَسكم إلا ذَاكَ؟**» قالوا: ما أجلسنا إلا ذاكَ. قال: «**أما إني لم أستحلْفكم تهمةً لكم، ولكنَّه أتاني جبريلُ فأخبرني أن اللهَ عزَّ وجلَّ يباهي بكم الملائكةَ**»[1].

وقد علمتم ـ أيها الإخوةُ ـ بمباهاةِ اللهِ ملائكتَه بالحجاجِ في موقفِ عرفةِ، وما ذلك إلا لما يعيشُه أهلُ الموقفِ من ذكرٍ، ودعاءٍ، وتعبدٍ، وحُسنِ توجهٍ للهِ ربِّ العالمين.

المسلمُ الذاكرُ صاحبُ قلبٍ سليمٍ مستسلمٍ للهِ، وهو في جانبٍ آخرَ صاحبُ كدحٍ شريفٍ، قدماه مغبرتان، ويداه كالَّتانِ في ميدانِ العملِ من غير جَزَعٍ أو هوانٍ، ومن غيرِ ذلةٍ ولا استكبارٍ مبتهلٌ إلى ربِّه: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك من العجزِ والكسلِ والجبنِ والهرمِ والبخلِ، وأعوذ بك من عذابِ القبرِ، ومن فتنةِ المحيا والمماتِ**» وفي رواية للبخاري «**وضَلَعِ الدينِ وقهرِ الرجالِ**»[2] واللفظ لمسلمٍ من حديثِ أنسٍ.

أيها الإخوةُ، وهذه إلمامةٌ تطبيقيةٌ لمسيرةِ يومٍ مع المسلمِ الذاكرِ لربِّه.. المستمسكِ بالصحيحِ المأثورِ عن نبيِّه محمدٍ ﷺ.

اليومُ الإسلامي يبدأُ مع بزوغ الفجرِ أو قُبيلِ ذلك.. ليمتدَّ في النهارِ سبحاً طويلاً، متقلباً في الغدوِّ والآصالِ، والعشيِّ الإبكارِ، يستيقظُ المسلمُ مع طلائعِ الصبحِ المتنفسِ مستفتحاً بهذا الذكرِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٥ ـ ح٢٧٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٥٣ ـ ح٢٨٢٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٩ ـ ح٢٧٠٦).

**«الحمدُ لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليَّ روحي، وأَذِنَ لي بذكرِه»**[1] من حديثِ أبي هريرةَ. **«أصبَحْنا على فطرةِ الإسلام وكلمةِ الإخلاصِ، وعلى دينِ نبيِّنا محمد ﷺ وعلى ملةِ أبينا إبراهيمَ حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين»**[2].

وفي أثناءِ ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ يخترقُ حجابَ الصمتِ، ويشقُّه صوتٌ جهيرٌ جميلٌ.. واضحُ الكلماتِ.. ظاهرُ المعاني والمقاصدِ.. إنه صوتُ المؤذنِ ينادي بالتوحيدِ والفلاحِ .. في كلماتٍ كلُّها ذكرٌ.. ينادي بها بصوتِه النديِ، ويردُّدها المسلمون من بعده.

اليومُ الإسلامي يبدأُ بخطواتِ السكينةِ والوقارِ إلى المسجدِ مع غبشِ الصبحِ؛ ليقفَ المسلم متبتلاً خاشعاً بين يدي ربِّه.. خلال اليوم خمسَ مراتٍ ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤] ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

هذا المسلمُ الخاشعُ يقولُ عند خروجِه إلى الصلاةِ: **«اللهمَّ اجعلْ في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، وفوقي نوراً، وتحتي نوراً، وأمامي نوراً، وخلفي نوراً، وعظِّم لي نوراً»**[3] واللفظ لمسلم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٤٠، ٤٤١ ـ ح٣٤٠١) وقال: حديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٠٦)، والنسائي في (اليوم والليلة) من الكبرى (٦/ ٤ ـ ح٩٨٣١)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني ورجالهما رجال الصحيح. انظر المجمع (١٠/ ١١٦).

(٣) أخرجه البخاري (١١/ ١١٩، ١٢٠ ـ ح٦٣١٦)، ومسلم (١/ ٥٢٥، ٥٢٦ ـ ح٧٦٣).

وإذا ازدلفت قدماه إلى المسجد لهج بذكرٍ آخرَ، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا دخلَ أحدُكم المسجدَ؛ فليسلمْ على النبيِّ ﷺ ثم ليقل: اللهم افتح لي أبوابَ رحمتك، فإذا خرج فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك**»[1]، وعن حياة بن شريح قال: لقيت عقبة بن مسلم فقلت له بلغني أنك حدثت عن عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخلَ المسجدَ قالَ: «**أعوذُ باللهِ العظيمِ، وبوجهِهِ الكريمِ، وسلطانِه القديمِ، من الشيطانِ الرجيمِ**». قالَ: أَقَطُّ[2]؟ قلت: نعم. قال: «**فإذا قال ذلك، قال الشيطانُ: حُفظَ مني سائرَ اليومِ**»[3].

أخي المسلم: إذا تأملتَ كلَّ ذلك .. أدركتَ السرَّ في الاقترانِ بين تضييعِ الصلواتِ واتباعِ الشهواتِ.

أيها المسلمون: هذا اليومُ الإسلامي يتخلَّله في سبحِهِ الطويلِ.. أذكارٌ للطعامِ والشرابِ، والسفرِ والإيابِ، والنوم والاستيقاظِ، والمتاعبِ والمصاعبِ، والصحةِ والسقمِ.. أذكارٌ للدنيا وهمومِها، والديونِ ومغارمِها، في طلبِ المعاشِ، ومقاربةِ الأهلِ، وصلاحِ الذريةِ... أذكارٌ وتسبيحاتٌ ودعواتٌ وابتهالاتٌ، مقرونةٌ بتعاطي الأسبابِ، والكدحِ المشروعِ في هذه

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٩٤ ـ ح٧١٣) «بدون فليسلم على النبي ﷺ»، وأبوداود (١/ ١٢٦، ١٢٧ ـ ح٤٦٥) واللفظ له، وابن ماجه (١/ ٢٥٤ ـ ح٧٧٣).

(٢) أقط: الهمزة للاستفهام.. أي: انتهى الحديث الذي بلغك عني [قلت: نعم] هذا الذي بلغني عنك. انظر بذك المجهود (٣/ ٣٠٨).

(٣) أخرجه أبوداود (١/ ١٢٧ ـ ح٤٦٦).

الدنيا؛ ليقومَ المسلمُ بمهمةِ الاستخلافِ على وجهها، إيمانٌ وعملٌ، وعقيدةٌ ومنهجٌ، وانطلاقٌ خاشعٌ ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٠١].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرعد: ٢٨ ـ ٢٩].

# المشتغلون بالذكر

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حقَّ حمده، والشكرُ له حقَّ شكره. أحمده وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأسأله العونَ على حُسنِ عبادتِه وذكرِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه قام بحقِّ ربِّه في سرِّه وجهرِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى آخرِ دهرِه.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ في الله، الذين جهلوا ربَّهم، ونسوا الذكرَ، وما كانوا إلا قوماً بوراً، يتصرفون بغيرِ هدىٰ، ويتقلبون في هذهِ الإرضِ بدوافعِ الهوىٰ، يمكرون مكراً كباراً، ولا يرجون للهِ وقاراً... ماذا جَنَوا؟ وماذا كَسَبُوا؟ انظروا إلى من أجهدوا أنفسَهم.. من أذكياءِ الشرقِ ودهاةِ الغربِ... استخرجوا من كنوزِ الأرضِ ما استخرجوا.. ظاهراً وباطناً، وعلموا من علومِ الفضاءِ ما علموا، ولكن صُرفتْ نتائجُ كلِّ ذلك في أسلحةِ الدمارِ الشاملِ.. أُورثوا خوفاً ورُعباً في المستقبلِ ومن المستقبلِ. وأممُ الأرضِ تلهثُ من ورائِهم؛ تبتغي الضروريَّ من لُقمةِ العيشِ المضنيةِ.. ذلكم هو شؤمُ الغفلةِ عن اللهِ... ذلكم هو عاقبةُ نسيانِ الذكرِ مهما كان لصاحبهِ من الذكاءِ والعلمِ والدهاءِ، ومهما

اكتسبوا وتدثروا بقشورِ من مظاهرِ الحضارةِ، وتقنياتِ المادةِ.
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه: ٤٢١].

كيف يكون الحال ـ أيها الإخوةُ ـ لو أنَّ هذا الجهدَ المضنيَ، والكدَّ الكادحَ المبذولَ في تحصيلِ الأقواتِ وتأمينِ المعاشِ... ماذا لو صَاحبَه أَدَبٌ مع اللهِ، وحُسنُ قصدٍ في ابتغاءِ مراضيهِ؟ واقترنَ بحبِّ الخيرِ للناسِ؟ لو كان كذلك؛ لكسب صاحبُه سعادةَ الدنيا، وفلاحَ الآخرة، وفي الحديث: «**من كانت الدنيا همَّه، فرق اللهُ عليه أمرَه، وجعلَ فقرَه بين عينيه، ولم يأتِه من الدنيا إلا ما كُتب له، ومن كانت الآخرة نيّتَه، جمع اللهُ عليه أمرَه، وجعل غناه في قلبِه، وأتته الدنيا وهي راغمةٌ**»[1].

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ. وقوموا بحقِّ الله وذكرِه، وأمِّنوا على هذا الدعاء: «اللهم اكفنا بحلالِك عن حرامِك، وأغننا بفضلِك عمن سواك، اللهم إنا نسألُك علماً نافعاً، ورزقاً طيباً، وعملاً مُتقبلاً، اللهم باركْ لنا فيما قُدِّر لنا حتى لا نحبَّ تعجيلَ ما أخرتَ، ولا تأخيرَ ما عجلتَ، ونسألُك اللهم القصدَ في الفقرِ والغنىٰ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، ونسألُك نعيماً لا ينفدُ، وقرةَ عينٍ لا تنقطعُ، اللهم زيِّنا بزينةِ الإيمانِ، واجعلنا هداةً مهتدين».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٧٥ ـ ح٤١٠٥)، وقال البوصيري: اسناده صحيح، رجاله ثقات، والترمذي (٤/ ٥٥٤ ـ ح٢٤٦٥)، وابن حبان انظر مواد الظمآن (١/ ١٦٩، ١٧٠ ـ ح٧٢)، والطبراني في الكبير (٥/ ١٤٣ ـ ح٤٨٩١).

# مفاهيم واسعة للأعمال الصالحة

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفرُه ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، نشكرُه ولا نكفرُه.. عمَّ برحمتِه جميعَ العبادِ، وخصَّ أهلَ طاعتِه بالهدىٰ والسدادِ، ووفقهم للأعمال الصالحاتِ؛ ففازوا في الحياتينِ ببلوغِ المرادِ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده، تنزَّه عن الشركاءِ والنظراءِ والأندادِ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه ـ أكملَ اللهُ به الدينَ وأتمَّ به النعمةَ، فأقامَ أركانَ الحنيفيةِ وأشادَ. صلى اللهُ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.. آمنوا بربِّهم، وجاهدوا مع رسولِهم، وعملوا الصالحاتِ فطابتْ حياتُهم، وحسُنتْ عاقبتُهم وصاروا مناراً لمسالِك الخيرِ والإسعادِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المعادِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ، اتقوا الله وآمنوا برسولِه يؤتِكم كفلين من رحمتِه، ويجعلْ لكم نوراً تمشون به ويغفرْ لكم.

اتقوا اللهَ واعملوا صالحاً: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٧٩].

أيها المسلمون، العملُ الصالحُ في كتابِ الله قرينُ الإيمانِ، وكلُّ بني آدمَ خاسرٌ إلا من آمن وعملَ صالحاً.

العملُ الصالحُ ميدانُه واسعٌ، ومفهومهُ شاملٌ، ينتظمُ أعمالَ القلوبِ والجوارحِ، في الظاهرِ والباطنِ، في القوىٰ والملكاتِ، والمواهبِ والمدركاتِ، أعمالٌ خاصةٌ وعامةٌ، فرديةٌ وجماعيةٌ.

إن من الأعمالِ الصالحةِ ما يمتدُّ إلى ما بعدَ المماتِ.. من الصدقةِ والعلمِ والذريةِ الطيبةِ.. «**إذا ماتَ الإنسانُ انقطعَ عنه عملُه إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(1).

أيها الإخوةُ، إنّ من الأعمالِ التي يقومُ بها الإنسانُ أعمالاً يوميةً معتادةً، بل منها ما هو من لوازمِ بناءِ الحياةِ، ولكنها تكونُ أعمالاً صالحةً محسوبةً في ميزانِ العبدِ، إذا صحتْ بها النوايا، واستقامتْ على الطريقةِ، وأُتقنَ أداؤُها. احفظوا أوقاتكم، ولا تحقِروا من الأعمالِ شيئاً، فكلُّ عملٍ في الإسلام معتبرٌ، مهما قلَّ أو صَغُرَ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

العملُ الصالحُ بشتى أنواعِه وألوانِه.. يحفظُ على المرءِ دينَه وعِرضَه، ويكسبُ الحياةُ المطمئنةَ، ويقودُه إلى الخيرِ وراحةِ البالِ.

وأعمالُكم سوف يراها ربُّكم ونبيُّكم والمؤمنون: ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟

---

(1) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٥٥ ـ ح١٦٣١).

﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]. الأعمالُ واسعةٌ وميادينُها فسيحةٌ، في أعمالٍ بدنيةٍ ولسانيةٍ وقلبيةٍ.

فالشهادتانِ والصلاةُ والزكاةُ والصومُ والحجُّ في مقدمةِ الأعمالِ الصالحاتِ، وبقيةُ الفرائضِ والواجباتِ والمندوباتِ والمستحباتِ من الأعمالِ الصالحاتِ، وفي الحديثِ الصحيح: «**الطُّهورُ شطرُ الإيمانِ، والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ، وسبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ أو تملأُ ما بين السمواتِ والأرضِ، والصلاةُ نورٌ، والصدقةُ برهانٌ، والصبرُ ضياءٌ، والقرآنُ حجةٌ لك أو عليك، كلُّ الناس يغدو؛ فبائعٌ نفسَه فمعتقُها أو موبقُها**»[1] وإن شئتم مزيداً مَن الأعمالِ البدنيةِ؛ فاذكروا برَّ الوالدينِ، وصلةَ الأرحامِ، وإكرامَ الضيفِ والجارِ، والجهادَ في سبيلِ اللهِ، وعيادةَ المريضِ، واتباعَ الجنائزِ، وإجابةَ الداعي، ونصرةَ المظلومِ.

ومن الأعمالِ الجليلةِ الجميلة ـ أيها المسلم ـ أن تواسيَ فقيراً، وتكفلَ يتيماً، وتعودَ مريضاً، وتنقذَ غريقاً، وتساعدَ بائساً، وتُنظرَ معسراً، وتُرشدَ ضالاً، وتعينَ رجلاً في مركوبِه ليركبَ، وترفع متاعَه عليه ليحملَ، تسعى بشدةٍ ساقيك إلى اللهفانِ المستغيثِ، وترفعُ بقوةِ ساعديك لتعينَ المحتاجَ والضعيفَ.

ولا يقتصرُ العملُ الصالحُ على الإنسانِ وأخيهِ الإنسانِ. استمعوا إلى هذا السؤالِ الطريفِ من الصحبِ الكرام مع الجوابِ الحصيفِ من النبيِّ عليه الصلاةِ والسلامِ: فقد سألوا وقالوا: يارسولَ اللهِ، وإن لنا

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٢٠٣ ـ ح٢٢٣).

في البهائم لأجراً؟ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**في كلِّ ذاتِ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ**»[1]. من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الرفقُ بالحيوانِ عملٌ صالحٌ، ركوبُه بإحسانٍ عملٌ صالحٌ، والإحسانُ في ذبحِه عملٌ صالحٌ: «**إن اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيءٍ، فإذا قتلتُم فأحسنوا القِتلةَ، وإذا ذبحتْم فأحسنوا الذِّبحَة، وليحدَّ أحدُكم شفرتَه، وليُرِحْ ذبيحتَه**»[2]. من حديث شدادِ بن أوس رضي الله عنه.

سقيُ الحيوانِ وإطعامُه عملٌ مبرورٌ بل أكلُ الطيرِ والبهيمةِ من حقلِ الإنسانِ وزرعِه فيه صدقةٌ وأجرٌ. «**ما من مسلم يغرس غرساً، أو يزرعُ زرعاً، فيأكلُ منه طيرٌ أو إنسانٌ أو بهيمةٌ إلا كان له به صدقةٌ**»[3]. متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه. وحينما رأى الصحابةُ ـ رضوان الله عليهم ـ سعةَ دائرةِ العملِ الصالح استطردوا في السؤالِ قالوا: أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكونُ له فيها أَجر؟ فكان الجوابُ النبويُّ الكريمُ، قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزرٌ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلالِ كان له أجرٌ**»[4]. من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

أما الأعمالُ اللسانيةُ فبابُها كبيرٌ: ذكرٌ ودعاءٌ، وأمرٌ بمعروفٍ ونهيٌ عن منكرٍ، وتعليمُ العلمِ النافعِ، ناهيك بالشفاعةِ الحسنةِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٥٠ ـ ح٢٣٦٣)، ومسلم (٤/ ١٧٦١ ـ ح٢٢٤٤).
(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٤٨ ـ ح١٩٥٥).
(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٥ ـ ح٢٣٢٠)، ومسلم (٣/ ١١٨٩ ـ ح١٥٥٣).
(٤) أخرجه مسلم (٢/ ٦٩٧، ٦٩٨ ـ ح١٠٠٦).

تفكُّ بها أسيراً، وتحقِنُ بها دماً، وتجرُّ بها معروفاً وإحساناً، وتدفعُ بها مكروهاً ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣].

والتبسمُ في وجوه الإخوانِ عملٌ كريمٌ، ينضمُ إلى ذلك الإصلاحُ بين الناس، وردُّ السلام وتشميتُ العاطس، وكلُّ قولٍ جميلٍ، وكلامٍ طيبٍ.. منطوقاً ومكتوباً، ومذاعاً ومنشوراً.

أما ميدانُ الأعمالِ القلبيةِ فواسعٌ... من الإيمانِ بالغيبِ، والحبِّ والبغضِ، والغضبِ والرضا، والخوفِ والرجا، والخشيةِ والصبرِ، والتذللِ للمولىٰ جلَّ وعلا، والانكسارِ بين يديه، وتعلقِ القلبِ بالمساجدِ، ومن ذلك الأعمالُ الفكريةُ، من التخطيطِ والتفكيرِ والتأملِ والعزمِ والتصميم. بل النياتُ والمقاصدُ لها في الإسلامِ شأنٌ عظيمٌ، فإنما الأعمالُ بالنيات.

واستمعوا ـ رحمكم اللهُ ـ إلى هذا الحديثِ الجامع: سُئل النبيُّ ﷺ أي الأعمالِ أفضلُ؟ قال: «**الإيمانُ باللهِ والجهادُ في سبيلِه**» قال: قلتُ: أي الرقابِ أفضلُ؟ قال: «**أنْفسُها عند أهلِها، وأكثرُها ثمناً**» قال: قلتُ: فإن لم أفعلْ؟ قال: «**تعينُ صانعاً أو تصنعُ لأخرقَ**» قال: قلتُ: يا رسولَ اللهِ أرأيتَ إن ضعفتُ عن بعضِ العملِ؟ قال: «**تكفُّ شرَّكَ عن الناس، فإنها صدقةٌ منك على نفسِك**»[(١)]. من حديث أبي ذرٍ رضي اللهُ عنه.

معاشرَ الأحبةِ: من هذه الدائرةِ الواسعةِ للأعمالِ الصالحةِ،

---

(١) أخرجه البخاري (٥/١٧٦ ـ ح٢٥١٨)، ومسلم (١/٨٩ ـ ح٨٤).

فإن صاحبَ المالِ ينفعُ بمالِه، وذا النفوذِ يفيدُ من نفوذِه، ورَبَّ الجاهِ ينفعُ الناسَ بجاهِه.

أما العملُ للاقتياتِ، والكسبِ من أجلِ التعفُّفِ، والكدِّ على العيالِ فمن شِيمَ الأنبياءِ والمرسلين، زراعةً وصناعةً، وتجارةً وحرفةً، وإجارةً ورعياً، وهو مِنْ بَعدِهم من سماتِ المسلمين المتَّبِعين، وعلامةٌ من علاماتِ الاستجابةِ للفطرةِ التي فطرَ اللهُ الناسَ عليها، ومظهرٌ من مظاهرُ العزةِ والكرامةِ، ومسلكٌ من مسالكِ الفقهِ في الدينِ والحياةِ.

أعمالٌ نزيهةٌ شريفةٌ محكومةٌ بإطارٍ متينٍ من العفةِ والصدقِ، والعدلِ والرحمةِ. مرَّ عمرُ بنُ الخطابِ ـ رضي الله عنه ـ على زيدِ بنِ مسلم وهو يغرِسُ في أرضِه فقال له عمر: أصبتَ. استغنِ عن الناس يكُنْ أصونَ لدينِك، وأكرمَ لك عليهم. ومن مقولاتِ عليٍّ ـ رضي الله عنه: التجارةُ ثلثُ الإمارةِ.

مكاسبُ طيبةٌ، وأعمالٌ صالحةٌ، ودروبٌ خيِّرةٌ مُبرَّأةٌ من الحرام بعيدةٌ عن المتشبهاتِ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨]. نفعني الله وإياكم بهدي كتابِه بسنةِ نبيه محمد ﷺ وألهمنا الدعاءَ والتسبيحَ والاستغفارَ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين، ومن كلِّ ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفورُ الرحيمُ.

# مفاهيم واسعة للأعمال الصالحة

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ جلَّ جلالُه، وعَظُمَ ثناؤُه، وتقدَّست أسماؤهُ، سبحانه وبحمده، لا تُحصىٰ نعماؤُه. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله، المبعوثُ بالهدىٰ ودينِ الحق، ارتفعتْ به أعلامُه، وعلا ضياؤُه ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ـ هم بدورُ الدجىٰ وسناؤُه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ اللهِ ـ، واعملوا صالحاً.

عبادَ اللهِ، شريفُ النفس عظيمُ الهمةِ من أَحسَّ في نفسِه القدرةَ على العملِ، وقضى أعمالَه بنفسِه، وباشرَ حاجاتِه بيدِه، ليس من الأعمالِ المباحةِ شيءٌ يُزْدَرَىٰ، فلأنْ يأخذَ الرجلُ الحبلَ.. فيحتطبَ على ظهرِه.. خيرٌ له من أن يأتيَ رجلاً أعطاه أو منَعه. والبطالةُ تُلْبِس ثوبَ الحقارَةِ، والعملُ يكسو رِدَاءَ العزةِ والكرامةِ. وما يصيرُ إلى العجزِ والكسلِ إلا ساقطُ الهمةِ.. فاترُ العزيمةِ، ولا يقعدُ عن العملِ إلا ضعيفُ الإرادةِ، قد هانَ على نفسه ينتظرُ إحسانَ المحسنين، وصدقاتِ المتصدقين، أَلِفَ الراحةَ، وأَنِسَ

البطالةَ، هانَ عليه أن يجعلَ من الاستجداءِ والسؤالِ حرفةً. إن هذا وأمثالَه ممن اعتادوا التردد على أبوابِ الناس، يَمدُّون أيديَهم، ويُذِلُّون أنفسَهم، يستجدون ويسألون، مُنذَرُون بسوءِ العاقبةِ والخزي يومَ البعثِ: «**ما يزال الرجلُ يسألُ الناسَ، حتى يأتي يومَ القيامةِ وليسَ في وجهِهِ مزعةُ لحمٍ**»(١).

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ، واستعيذوا مما استعاذَ منه نبيُّكم محمدٌ ـ ﷺ ـ استعيذوا من العجزِ والكسلِ، والجبنِ والبخلِ.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٣٩٦ ـ ح١٤٧٤)، ومسلم (٢/ ٧٢٠ ـ ح١٠٤٠).

# قصة يوسف عليه السلام وآيات السائلين

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

عبادَ الله، فأوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عزَّ وجلَّ، فاتقوا اللهَ يا أولي الألبابِ، اتقوا الله أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

أيها الإخوةُ في اللهِ، لقد أنزلَ اللهُ القرآنَ العظيمَ على قلبِ محمدٍ ﷺ؛ ليُخرجَ الناسَ من الظلماتِ إلى النورِ، ليبنيَ أمةً، ويقيمَ نِظاماً، وينشىءَ حضارةً.

تتربى الأجيالُ على مائدةِ القرآنِ؛ لتكونَ أهلاً لحَملِ أمانةِ هذا الدينِ، والدعوةِ إليه، وقيادةِ البشريةِ إلى صراطِ اللهِ.

والقرآنُ الكريمُ في منهجه التربويِّ ـ كما يخاطبُ العقلَ، ويسلكُ مسالكَ الإقناعِ ـ يخاطبُ الفطرةَ، ويحركُ الشعورَ، ويستثيرُ الوجدانَ.

يطوفُ بالقلبِ أقطارَ السمواتِ والأرضِ؛ يدعو إلى التأمُّلِ في النفسِ، والتفكيرِ في جوانبِ الحياةِ، يوجُه النظرَ إلى التاريخِ، وعبرِ الغابرين، يقصُّ القَصصَ، ويحدِّثُ الأخبارَ، فكان في منهجِه أعجبَ أسلوباً، وأبدَع طريقةً، وأصدقَ أنباءً، وأحسنَ قصصاً، وأجمعَ عِبرا.

حوىٰ من الحِكم أعجبَها، ومن وسائلِ التربيةِ أنجَعها، ومن القَصصِ والأحاديثِ أصدقَها وأعذبَها.

في قَصصِ القرآن عبرٌ وعظاتٌ يتجلىٰ فيها عِظَمُ البلاءِ، وحسنُ العاقبةِ، ويتبيَّنُ من خلالِها سنةُ اللهِ في الصراعِ بين الحقِّ والباطلِ، والتنازعِ بين الخيرِ والشرِّ.

في قَصصِ القرآنِ دعوةٌ إلى الإيمانِ باللهِ وحدَه، وإفرادِه بالعبادةِ، وبيانٌ لمصيرِ الصراعاتِ في الدنيا، والعواقبِ في الأخرى. وفي ثناياها يستبينُ طريقُ أهلِ الجنة، وطريقُ أصحابِ السعيرِ.

ولقد أدركَ مشركو مكةَ ما لبيانِ القرآن من عظيم الأثرِ، وما لقَصصِه من بليغ التأثيرِ، فسعوا إلى ردِّ ذلك، ومقاومتِه بقَصصٍ يأتون بها من أخبارِ فارسَ والرومِ، وما حولهم من القرىٰ، فالنَّضْرُ بنُ الحارثِ من أعظم المناوئينَ للدعوةِ المحمديةِ، تعلَّم في بلادِ الحيرةِ أحاديثَ ملوكِ فارسَ وأخبارَ أقوامِها. فإذا جلسَ رسولُ الله ﷺ مجلساً يُذكِّرُ فيه بالله، ويقصُّ عليهم القَصصِ، ويحذِّرُهم ما أصابَ الأممَ قبلهم؛ خلَفَه النضرُ بن الحارثِ في مجلسِه؛ فقصَّ من أساطيرِ الأولين قَصصًا، وافترىٰ على اللهِ كذباً

ثم قال: أنا واللهِ يا معشرَ قريشٍ أحسنُ حديثاً من محمدٍ، فهلمَّ إليّ فأنا أحدِّثكم، وهو الذي قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣] وقال: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١].

أيها الإخوةُ، إن شأنَ القصصِ في القرآنِ عظيمٌ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [هود: ١٢٠] ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ [يوسف: ٣].

وهذه وقفةٌ مع قصةٍ من قصصِ كتابِ ربِّنا، قصةٍ حوتْ التوحيد والأحكامَ، والسيرَ والسياسةَ، وتدبيرَ المعاشِ، وعلاقاتِ الناسِ، ضمَّتْ دروساً وعِبراً يصلُح بها الدينُ والدنيا.

اشتملتْ على صنوفِ المحنِ والابتلاءاتِ، ابتلاءاتِ الضراءِ، وابتلاءاتِ السراء.

تلكم هي قصةُ الكريم بنِ الكريمِ بنِ الكريمِ؛ يوسفَ بنِ يعقوبَ؛ عليه وعلى آبائه من الله الصلاةُ والتسليمُ.

إن فيها آياتٍ للسائلين. فيها أنواعٌ من الدلائلِ على قدرةِ الله وأقدارِه، وحكمتِه وأحكامِه، ولطفِه وتدبيرِه، وحسنِ توفيقِه لمن اصطفى من عبادِه.

في هذه القصةِ لا دافعَ لقضاءِ اللهِ، ولا مانعَ من قدَرِه، إذا قضى لإنسانٍ بسعادةٍ ومَكرُمةٍ ثم اجتمعَ العالمُ كلُّه ليمنعوا ما قدَّرَ، فلن يجدوا إلى ذلك سبيلاً.

في دروسها مغبةُ الحسدِ خذلانٌ، وجزاءُ الصبرِ الفرجُ، الحسدُ لا يكون طريقاً إلى المجدِ والرفعةِ، ولا يكون طريقاً للمسابقةِ في المفاخرِ والفضائلِ، ومن يركبُ مطيةَ الحسدِ والكيدِ ليفتكَ بالمحسودِ، أو يضعَ العراقيلَ في طريقهِ فما عملُه إلا وبالٌ عليه وضلالٌ.

لقد جرىٰ على يوسفَ عليه السلامُ محنٌ ومكرٌ ومكايدٌ، محنةُ الجبِّ والخوفِ، وبلاءُ الاسترقاقِ والسجنِ. ثم فتنةُ السراءِ في بيوتِ الكبراءِ وإغراءاتِ الشهوةِ والفحشاءِ، ثم الابتلاءُ بالسلطانِ والجاهِ، والحكم في أمورِ الناسِ، وتدبيرِ معاشِهم وأقواتِهم في كلِّ ذلك آياتٌ للسائلين.

ولكنَّ تدبيرُ اللهِ اللطيفِ الخبيرِ جعلَ له في كلِّ محنةٍ منحةٍ، ومع كلِّ عُسرٍ يُسراً، نجَّاه من كلِّ ابتلاءٍ سالماً مُعافىٰ في نفسِه ودينِه، فكانت له المننُ في ثنايا المحنِ، مكرَ به الإخوةُ الأقربون فألقوه في غَيابةِ الجبِّ، وبعد غيابةِ الجبِّ جاءَ الأمنُ والأمانُ والعيشُ والرغدُ ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ . .﴾ [يوسف: ٢١].

ثم تعرَّضَ للبلاءِ العظيمِ في فتنةِ النساءِ، وكيدِ النساءِ بلاءٌ عظيم، لتظهرَ نزاهةُ الفتىٰ، وعفةُ الشابِ، وصدقُ الالتجاءِ على الرغمِ من قوةِ الداعي من الفتُّوةِ والشبابِ، والأمنِ وغلقِ الأبوابِ.

ومن عظيمِ البلاءِ أن النزاهةَ والطهرَ والعفافَ تقودُ إلى السجنِ، ولكنَ السجنَ عند أصحابِ الأعراضِ الطاهرةِ خيرٌ وأحبٌ من الوقوعِ في الخنا والخيانةِ. فما كان من الشابِّ إلا أن

ابتهلَ إلى ربِّه متضرعاً، وفرَّ إليه ملتجئاً ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يوسف: ٣٣].

ودخلَ السجنَ وعاشَ مع السجناءِ، ولكنه كان القدوةَ العليا والنموذَجَ الأمثلَ ﴿ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يوسف: ٣٦] وبلاءُ السجنِ وآثارُ الكيدِ والمكرِ والأذىٰ لم تشغلْه عن مهمةِ وراثةِ الأنبياءِ من آبائِه، ولم تصرفِه عن وظيفةِ الدعاةِ في كلِّ ظرفٍ وفي كلِّ حينٍ:

﴿ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَيْءٍۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يوسف: ٣٨ ـ ٤٠].

أيها الإخوةُ، ومن خلالِ علمِه وفضلِه، ونزاهتِه وبراءتِه، وفقهِه وحُسنِ تأويلِه، عرَفه الملكُ فاستخلَصه لنفسِه، وجعلَه على خزائنِ الأرضِ مكيناً أميناً.

وحين تبوأ هذه المكانةَ، وحكم في الناس، وآلتْ إليه مقاليدُ البلادِ، وصارَ فيها الآمرَ الناهي، عفا عن أصحابِ المكيداتِ، وأضافَ إلى الصفح إحساناً في إخوانه وأهله فتحققتْ نبوةُ أبيه يعقوبَ حين قالَ: ﴿ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ [يوسف: ٦].

أيها الإخوةُ، ولنا وقفةٌ أخيرةٌ مع قصةِ هذا النبيِّ الكريمِ، إنها وقفةُ الثباتِ، وعزةِ النفسِ، وإباءِ الطبعِ، وكَرَمِ الخلقِ.

لقد تعرَّضَ الصدِّيقُ لابتلاءاتٍ، وتنقَّلَ بين إهاناتٍ وإغراءاتٍ؛ غيابةُ جبٍّ ثم دهاليزُ قصرٍ، غياهبُ سجنٍ، ثم مقاليدُ حكمٍ.

وكلُّ ذلك لم يغيرْ من خُلُقِ الفتىٰ الصِّدِّيقِ.

أحبَّه عزيزُ مصرَ وهو رقيقٌ: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١] وفي السجنِ كان موضعَ الإجلالِ والإكبارِ: ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ﴾ [يوسف: ٤٦] والكائداتِ من نسوةِ المدينةِ ﴿وَقُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ٣١﴾ [يوسف: ٣١].

وفي مجلسِ المحاكمةِ والتحقيقِ: ﴿قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖ﴾ [يوسف: ٥١].

أما الملكُ فيقول: ﴿قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ٥٤﴾ [يوسف: ٥٤] وتبلغ قوةُ النفسِ غايتَها، والحفاظُ على السمعةِ والكرامةِ ذروتَها حين يأبىٰ دعَوةَ الملكِ وهو سجينٌ، ويمتنعُ من الخروجِ حتى تثبتَ براءَتُه.

ولقد أكبرَ نبيُّنا محمدٌ ﷺ هذا الموقفَ لأخيه يوسفَ ـ على نبينا وعليه وعلى آبائِه الصلاة والسلام ـ حين قال: «**رحم اللهُ أخي يوسفَ لو لبثتُ في السجنِ ما لبثَ لأجبتُ الداعي**»[1]، جزءٌ من حديثِ أبي هريرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧٣ ـ ح٣٣٧٢)، ومسلم (١/ ١٣٣ ـ ح١٥١).

وأخيراً فهو كريمُ النفس، البارُّ بالأهلِ، الصافحُ عن الإخوان ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩٢].

وصدق الله العظيم.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ [يوسف: ١١١].

# قصة يوسف عليه السلام وآيات للسائلين

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله على إحسانه، والشكر له على عظيم امتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها الإخوةُ، إن في قصةِ يوسفَ عليه السلام آياتٍ للسائلين، وعبراً للمتأملين. آياتٌ لا تنتهي، وعبرٌ لا تنقطعُ، لقد كان من عبادِ الله المُخلَصين، وكان أُنموذجَ الدعاةِ المُحتذىٰ، ودليلَ الصدقِ لأهلِ البلاء.

لقد كان مرتبطاً بربِّه في جميع أدوارِ المحنِ، وأنواع الفتنِ، عند فتنةِ المراودة استعاذَ بالله، قال: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف: ٢٣].

وحينما اشتدتْ المكيدةُ النسائيةُ، وعَظُمَ البلاءُ، كان المفزعُ إلى ربِّ الأرض والسماء: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

حينما كان في قمةِ المجدِ ودَفَّةِ الحكمِ كان أشدَّ التصاقاً بربِّه

﴿ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف: ١٠١].

ودوامُ اللجوءِ وصدقُ التوجه لا ينافي الأخذَ بالأسبابِ، فقد قال يوسف لمن ظنَّ أنه ناج منهما: ﴿ ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ ﴾ [يوسف: ٤٢].

وهكذا فقد خرجَ الصديقُ عليه السلامُ من هذه البلايا؛ سرائِها وضرائِها وهو أصلبُ عوداً، وأقوى عزيمةً، وأكثرُ تجربةً، وأعظمُ احتمالاً، وأعرفَ بالناسِ وبالحياةِ.

ومن أجلِ هذا قيل لنبيِّنا محمدٍ ﷺ في خواتيم هذه القصةِ: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، وتأملوا كتابَ ربِّكم، واعتصموا به، وتدبروا آياتِه، واعرفوا حِكَمه وأحكامَه.

# المؤمـن القوي

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله ذي القوةِ المتين، أحمدُه سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، الصادقُ الأمين. وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها المسلمون ـ، ففي تقوىٰ اللهِ الفرجُ من كلِّ همٍّ، والمخرجُ من كلِّ ضيقٍ، وفيها صلاحُ أمرِ الدنيا والآخرةِ.

أيها الأحبةُ، أخرج الإمامُ مسلمٌ رحمه اللهُ في صحيحِه وابنُ ماجه من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنِ الضعيفِ، وفي كُلٍّ خيرٌ. احرصْ على ما ينفُعك، واستعنْ باللهِ ولا تعجزْ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقلْ: لو أني فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قلْ: قَدَرُ اللهِ، وما شاءَ فعلَ. فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ»**[1].

إنه حديثٌ عظيمٌ من كلمِهِ ﷺ يرسمُ فيه جانباً من منهاجِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢ ـ ح٢٦٦٤)، وابن ماجه (١/ ٣١ ـ ح٧٩).

القوةِ، وحرصِ المؤمنِ على ما ينفعُ، واقتران ذلك بالبعدِ عن العجزِ مع صدقِ التوكلِ والرضا بما يجري به القضاءُ.

أيها الإخوةُ في الله، ومن أجل مزيدِ تعليقٍ على هذا التوجيه النبويِّ الكريم.. فلتعلموا أن العقيدةَ حين تتمكنُ من القلوبِ فهي معينٌ لا ينضبُ للنشاطِ المتواصلِ، والعملِ الدؤوبِ، والحماسِ الذي لا ينقطعُ.

إن صدقَ العقيدةِ وصحتَها تُضفي على صاحبِها قوةً تظهرُ في أعمالِه كلِّها، فإذا تكلمَ كان واثقاً، وإذا عمل كان ثابتاً، وإذا جادلَ كان واضحاً، وإذا فكرَ كان مطمئناً. لا يعرف الترددَ ولا تُميله الرياحُ. يأخذُ تعاليم دينِه بقوةٍ لا وهْنَ معها: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [البقرة: ٦٣، ٩٣] ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥] إنه أخذٌ بعزيمةٍ لا رخاوةَ معها، لا قبولَ لأنصافِ الحلولِ، ولا هُزالَ ولا استهزاءَ.

هذا هو عهدُ الله مع أنبيائِه والمؤمنين.. جدٌّ وحقٌّ، وصراحةٌ وصرامةٌ.

هذا جانبٌ من القوةِ في رجلِ الإيمانِ، وجانبٌ آخر يتمثلُ في ثباتِ الخطىٰ. حين يكون المؤمنُ مستنيرَ الدربِ يعاشرُ الناسَ على بصيرةٍ من أمرِه، إذا رآهم على الحقِّ أعانهم، وإن رآهم على الخطأ جانبهم، ونأى بنفسِه عن مسايرتِهم، متمثلاً التوجيه النبوي: «**لا تكونوا إمَّعةً تقولون: إن أحَسنَ الناسُ أحسنَّا، وإن ظلموا ظلمنا. ولكن وطِّنوا أنفسَكم إن أحسنَ الناسُ أن تحسنوا،**

**وإن أساءوا فلا تظلموا»**[1] .

إنه توطينٌ للنفس، وقسرٌ لها على المسارِ الصحيح، وإذا أردتَ أن تمتحنَ قَوةَ الرجلِ في هذا فاستخبْره أمامَ الأعرافِ والتقاليدِ التي لا تستندُ إلى شرعٍ: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزخرف: ٢٣].

ينضمُّ إلى ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ القوةُ في الحقِّ، والقوةُ في المصارحةِ فيه. حين يبتعدُ المؤمنُ القويُّ عن المداهنةِ والمجاملةِ المذمومةِ؛ فتراه يواجهُ الناسَ بقلبٍ مفتوحٍ، ومبادىءَ واضحةٍ، لا يصانعُ على حسابِ الحقِّ. ومن يحيا بالحقِّ لا يتاجرُ بالباطلِ. المؤمنُ القويُّ غنيٌّ عن التسترِ بستارِ الدَّجَلِ والاستغلالِ. سيرتُه مبنيةٌ على ركائزَ ثابتةٍ من القوةِ والفضيلةِ والكمالِ.

ومن أجلِ هذا.. فإن الصدعَ بالأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ ينبثقُ من هذا السموِّ النفسي والقوةِ الإيمانيةِ، وقوةِ الاستمساكِ بالحقِّ والرضا به ولو كره الكارهون لـ «**تأخذُنَّ على يدي الظالمِ فتأطِروه على الحقِّ أطْراً»**[2] من حديثِ أبي عبيدةَ واللفظ للترمذي.

إنها قوةٌ في مصارحةِ المخالفين وتنبيهِ الخاطئين، إنها نقدٌ للعيوبِ المعلنةِ، لا خوفَ من وجيهٍ، ولا حياءَ من قريبٍ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٢٠ ـ ح٢٠٠٧) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ١٢١، ١٢٢ ـ ح٤٣٣٦)، والترمذي (٥/ ٢٣٥، ٢٣٦ ـ ح٣٠٤٧، ٣٠٤٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧، ١٣٢٨ ـ ح٤٠٠٦)، وله شاهد عن أبي موسى رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح انظر المجمع (٧/ ٢٦٩).

ولا خجلَ من صديقٍ. وبعبارةٍ جامعةٍ مانعةٍ: لا تأخذُه في الله لومةُ لائمٍ.

هذا ضربٌ من القوةِ محمودٌ في معاصي معلنةٍ، ومذنبين مجاهرين. ولا تكونُ قوةً بصدقٍ، خالصةً بحق، إلا حين تبتعدُ عن مشاعرِ الشماتةِ، وحبِّ الأذى، وقصدِ التشهيرِ.

ويقترنُ بذلك ـ أيها الإخوةُ ـ نوعٌ من القوةِ آخرُ، إنه القوةُ في ضبطِ النفسِ والتحكم في الإرادةِ التي تنشأ من كمالِ السجايا وحميدِ الخصالِ. كإباءِ الضيم، وعزةِ النفس، والتعففِ، وعلوِّ الهمةِ، وإنك لترى فقيراً قليلَ ذاتِ اليدِ ولكنه ذو إرادةٍ قويةٍ، ونفسٍ عازمةٍ. شريفُ الطبعِ، نزيهُ المسلكِ، بعيدٌ عن الطمعِ والتذّللِ.

إن القوةَ في ضبطِ النفسِ. . آخذةٌ بصاحبِها بالسيرِ في مسالكِ الطهرِ، ودروبِ النزاهةِ، والاستقامةِ على الجادةِ. أما الرجلُ الخربُ الذمةِ، الساقطُ المروءةِ فلا قوةَ له ولو لبسَ جلودَ السباعِ، ومشى في ركابِ الأقوياءِ.

وقد قال هودٌ عليه السلامُ لقومه آمراً لهم بالاستغفار، والبعدِ عن مزالقِ الخاطئين: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [هود: ٥٢] وابنُ آدمَ إذا انحرفَ؛ فقد يتعرضُ للعنةِ أهلِ الأرضِ والسماءِ، ويكونُ في ضَعفِه وحقارتِه أقلَّ من الذرِّ والهباءِ.

ولمثل هذا جاءَ الحديثُ الصحيحُ: «**ليس الشديدُ بالصُّرَعةِ.**

**إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عند الغضبِ»**[1] .

وقد قال بعضُ أهلِ العلمِ في هذا البابِ: إن مجاهدةَ النفس أشدُّ من مجاهدةِ العدوِّ، وإذا ملكَ الإنسانُ نفسَه فقد قسَرَ شيطانَه.

أما القوةُ العسكريةِ فمطلبٌ في الشريعةِ معلومٌ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

إنه القوةُ التي تحفظُ الإسلامَ وأهلَ الإسلامِ، فلا يُصَدُّون عن دينِ اللهِ ولا يُفْتَنون. قوةٌ تُرهِبُ أعداءَ اللهِ فعلَى ديارِ الإسلامِ لا يعتدون. قوة تُرهِب أعداءَ اللهِ فلا يقفون في وجهِ الدعوةِ والدعاةِ. وهي قوةٌ كذلك من أجل الاستنصارِ للمستضعفين والمغلوبِ على أمرِهم؛ ليظهر أمرُ اللهِ، ويحقَّ الحقُّ ويبطلَ الباطلُ.

وفي جميعِ مجالاتِ القوةِ ـ أيها الإخوةُ ـ يكونُ الخيرُ والمحبةُ الإلهيةُ: «**المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ من المؤمنُ الضعيف**».

أما قولهُ ﷺ: «**استعنْ باللهِ ولا تعجزْ**». فإنه يمثلُ صورةً أخرى من صورِ القوةِ. إنه قوةُ العزمِ والأخذِ بالأسبابِ على وجهِها، يستجمعُ المؤمنُ في ذلك كلَّ مَا يستطيعُ في سبيلِ تحقيقِ غاياتِه، باذلاً قصارى جهدِه في بلوغِ مآربِه، غير مستسلمٍ للحظوظِ:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣٥ ـ ح٦١١٤)، ومسلم (٤/ ٢٠١٤ ـ ح٢٦٠٩).

**«استعنْ باللهِ ولا تعجزْ»**.

إن المرءَ مكلفٌ بتعبئةِ قواه وطاقاتِه؛ لمغالبةِ مشكلاتِه إلى أن تنزاحَ عن طريقِه، فإذا استطاعَ تذليلَها فذلك هو المرادُ. وما وراءَ ذلك فَيَكِلُه إلى ربِّه ومولاه.

أما الترددُ والاستسلامُ للهواجسِ، وتغليبُ جوانبِ الريبِ والتوجُّسِ. فهذا مجانبٌ للقوةِ، وصدقِ العزيمةِ، فالقوةُ في الجزمِ، والحزمِ والأخذِ بكلِّ العزمِ.

ولهذا كان من أعظمِ المصائبِ الهدامةِ العجزُ، والكسلُ، والجبنُ، والبخلُ، إنها صورٌ من صورِ الضعفِ والخورِ، وقد استعاذ منها جميعِها نبيُّكم محمدٌ ﷺ في دعاءٍ رفعه إلى مولاه، قائلاً: «**اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحَزَنِ، والعجزِ والكسلِ، وأعوذُ بك من الجبنِ والبخلِ، وأعوذُ بك من غلبةِ الدينِ وقهرِ الرجالِ**»[1]. إنها كلَّها تصبُّ في مصابِّ الضعفِ، والانهزامِ النفسيِّ والعمليِّ.

أما استعادةُ الأحزانِ، والتحسرُ على ما فاتَ، والتعلقُ بالماضي، وتكرارُ التمني بـ (ليت) والتحسرُ في الزفراتِ بـ (لو) فليس من خُلقِ المؤمنِ القويِّ؛ فإن لو تفتحُ عملَ الشيطانِ، وما عملُه إلا الهواجسُ، والوساوسُ، فهو الوسواسُ الخناسُ. فلا التفاتَ إلى الماضي إلا بقدرِ ما ينفعُ الحاضرَ ويفيدُ المستقبلَ.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ، واستمسكوا بعرىٰ دينكم، وخذوا

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٨٢ ـ ح٦٣٦٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٩ ـ ح٢٧٠٦) بنحوه.

أمرَكم بقوةٍ، وسيروا في دربِ الحقِّ بعزيمةٍ، متوكلين على ربِّكم، معتصمين بحبلِه؛ تكونوا من الراشدين. نفعني اللهُ وإياكمِ بهدي كتابِ اللهِ وبسنةِ محمدٍ رسولِ الله ﷺ، وهدانا الصراط المستقيمَ، وأقولُ قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم.

# المؤمـن القوي

## الخطبة الثانية

الحمـدُ لله، لـه الحمـدُ في الأولـى والآخـرةِ، أحمـدُه سبحـانـه وأشكرُه، على نعمِه الباطنةِ والظاهرةِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحـده لا شـريـك لـه، وأشهـد أن سيـدنـا ونبينـا محمـداً عبـده ورسوله، جمع اللهُ به القلوبَ المتنافرةَ، صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه نجومِ الدجىٰ والبدورِ السافرةِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ

أيها الإخوةُ في اللهِ، لازلنا مع هذا الحديثِ العظيم وهو يرسمُ جانباً آخرَ من جوانبِ القوةِ إلى جانبِ قوةِ الأخذِ بالأسبابِ وشدِّ العـزائـم. إنهـا قـوةُ اليقيـنِ، المتمثلـةُ فـي عقيـدةِ المسلـم أمـامَ الأحداثُ والغِيَرِ، «**وإن أصابك شيءٌ فلا تقلْ لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا**».

ثقةٌ بالله واعتمادٌ عليه حين تتوالىٰ الظروفُ المحرجةُ، وتنعقدُ الأجواءُ المُدلَهمةُ، ويلتفتُ المرءُ يمنةً ويسرةً فلا يرىٰ عوناً ولا أملاً ولا ملجأً ولا ملاذاً إلا إلى اللهِ وباللهِ وعلى اللهِ. ذلكم هو مسلكُ النبيين والمرسلين والصالحين من بعدهم: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَاۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم: ١٢].

وجماعُ ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ أن القوةَ هي عزيمةُ النفس، وإقدامُها على الحقِّ في أمورِ الدنيا والآخرةِ. إنها إقدامٌ عَلى العدوِّ في الجهادِ، وشدُّ عزمٍ في الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ، وصبرٌ على الأذىٰ فيٍ الدعوةِ إلى اللهِ، واحتمالُ المشاقِّ في ذاتِ اللهِ، واصطبارٌ على إقامِ الصلاةِ وإيتاءِ الزكاةِ وسائرِ المفروضاتِ، ونشاطٌ ودأبٌ في طلبِ الخيراتِ، والمحافظةِ عليها، وهي بعد ذلك قوةٌ في القيام بمهمةِ الاستخلافِ في هذه الأرضِ واستعمارِها كما طلب ربُّنا الَذي أنشأنا فيها.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ، وخذوا بعزائمِ الأمورِ، واعتصموا بحبلِ الله وتوكلوا عليه.

# لا تدخلوا حتى يؤذن لكم

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله أكملَ لنا الدينَ، وأتمَّ علينا النعمةَ، ورضي لنا الإسلامَ دينا. أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، ذو الأدبِّ الجمِّ، والخُلُقِ الرفيعِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، وعظِّموا أمرَ ربِّكم، واستغفروه ثم توبوا إليه ﴿وَاتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥].

عبادَ اللهِ، لقد جعلَ الله البيوتَ سكناً يأوي إليها أهلُها، تطمئنُّ فيها نفوسُهم، ويأمَنون على حرماتِهم، يستترون بها مما يؤذي الأعراضَ والنفوسَ، يتخفَّفُون فيها من أعباءِ الحرصِ والحذرِ.

وإن ذلك لا يتحقَّقُ على وجهه إلا حينَ تكونُ محترمةً في حرمتِها لا يستباحُ حماها إلا بإذنِ أهلِها. في الأوقاتِ التي يريدون، وعلى الأحوالِ التي يشتهون: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن

قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾

[النور: ٢٧ ـ ٢٨].

إن اقتحامَ البيوتِ من غيرِ استئذانٍ؛ هتكٌ لتلكِ الحرماتِ، وتطلعٌ على العوراتِ، وقد يُفضي إلى ما يثيرُ الفتنَ، أو يهيءُ الفرصَ لغواياتٍ تنشأُ من نظراتٍ عابرةٍ.. تتبعُها نظراتٌ مريبةٌ.. تنقلبُ إلى علاقاتٍ آثمةٍ، واستطالاتٍ محرمةٍ.

وفي الاستئذانِ وآدابِه ما يدفعُ هاجسَ الرِّيبَةِ، والمقاصدِ السيئةِ.

أيها الإخوةُ المؤمنون: إن كلَّ امرئٍ في بيتِه قد يكون على حالةٍ خاصةٍ، أو أحاديثَ سريةٍ، أو شئونٍ بيتيةٍ فيفجأه داخلٌ من غير إذنٍ قريباً كان أو غريباً، وصاحبُ البيتِ مستغرقٌ في حديثِه، أو مطرقٌ في تفكيرِه، فيزعجَه هذا أو يخجلَه، فينكسرُ نظرُه حياءً، ويتغيظُ سَخَطاً وتبرماً.

ولقد يقصِّرُ في أدبِ الاستئذانِ بعضُ الأجلافِ ممن لا يُهمُّه إلا قضاءُ حاجتِه، وتَعَجُّلُ مرادِه، بينما يكون دخولُه مُحرجاً للمزورِ مُثقلاً عليه.

وما كانت آدابُ الاستئذانِ وأحكامُه إلا من أجلِ ألا يفرِّطَ الناسُ فيه أو في بعضِه، معتمدين على اختلافِ مراتبِهم في الاحتشامِ والأنفةِ، أو معولين على أوهامِهم في عدمِ المؤاخذةِ، أو رفعِ الكلفةِ.

تأمَّلوا أيها المؤمنون قوله سبحانه: ﴿ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ ﴾

[النور: ٢٧].

إنه استئذانٌ في استئناس، يعبرُ عن اللطفِ الذي يجبُ أن يكونَ عليه الزائرُ والطارقُ مراعاةً لأحوالِ النفوسِ وتهيؤاتِها، وإدراكاً لظروفِ الساكنين في بيوتاتِهم وعوراتِهم.

وهل يكونُ الأنسُ والاستئناسُ إلا بانتفاءِ الوحشةِ والكراهيةِ؟؟؟.

أدبٌ رفيعٌ يتحلىٰ به الراغبُ في الدخولِ لكي يطلبَ إذناً لا يكونُ معه استيحاشٌ من ربِّ المنزلِ، بل بشاشةٌ وحسنُ استقبالٍ.

ينبغي أن يكونَ الزائرُ والمزورُ متوافقَيْنِ مستأنسَيْنِ، فذلك عونٌ على تأكيدِ روابطِ الأُخوَّةِ الإسلاميةِ.

ولقد بسطتْ السنةُ المطهرةُ هذا الأدبَ العالي، وازْدان بسيرةِ السلفِ الصالحِ تطبيقاً وتبييناً.

فكان نبيُّكم محمدٌ ﷺ إذا أتى بابَ قوم، لم يستقبلْ البابَ من تلقاءِ وجهِهِ، ولكن من ركنِه الأيمنِ، أو الأيسرِ، ويقول: «**السلام عليكم، السلام عليكم**»[1].

ووقفَ سعدُ بنُ عبادةَ مقابلَ البابِ فأمره النبيُّ ﷺ أن يتباعدَ. وقال له: «**وهل الاستئذانُ إلا من أجلِ النظرِ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٤٧٣، ٤٧٤ ـ ح١٠٧٨)، وأبوداود (٤/ ٣٤٨ ـ ح٥١٨٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٦/ ٢٢ ـ ح٥٣٨٦) واللفظ له، وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح. انظر المجمع (٨/ ٤٤)، وأبوداود (٤/ ٣٤٤ ـ ح٥١٧٤) بنحوه.

وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعدٍ الساعديِّ رضي اللهُ عنه، اطَّلعَ رجلٌ من جُحْرٍ في حُجَرِ النبيِّ ﷺ ومع النبيِّ ﷺ مِدْرىٰ (أي: مشط) يحكُّ به رأسه، فقال النبيُّ ﷺ: **«لو أعلم أَنك تنظرُ؛ لطعنتُ به في عينِك، إنما جُعلُ الاستئذانُ من أجلِ البصرِ»**[1].

والمستأذِنُ ـ أيها الإخوةُ ـ يستأذنُ ثلاثَ مراتٍ فإن أُذنَ له وإلا رجعَ. وقد قيلَ: إن أهلَ البيتِ بالأولىٰ. يستنصتون، وبالثانيةِ يستصلحون، وبالثالثةِ يأذنون أو يردُّون، لكن قال أهلُ العلم: لا يزيدُ على ثلاثٍ إذا سُمع صوتُه وإلا زادَ حتى يعلَم أو يظنَّ أنه سُمعَ.

ويقول في استئذانِه: السلامُ عليكم أأدخلُ. فقد استأذنَ رجلٌ على النبيِّ ﷺ وهو في بيته «فقال: أَلِجُ؟ فقال النبيُّ ﷺ لخادمه: **«اخرج إلى هذا! فعلِّمه الاستئذانَ فقل له: قلْ: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟»** فسمَعه الرجلُ، فقال: السلامُ عليكم، أأدخلُ؟ فأذن له النبيُّ ﷺ، فدخلَ»[2].

وله أن يستأذنَ بنداءٍ أو قرعٍ أو نحنحةٍ أو نحو ذلك.

تقول زينبُ امرأةُ عبدالله بنِ مسعود رضي الله عنهما: كان عبدُالله إذا دخلَ تنحنحَ وصوَّتَ.

ويقولُ الإمامُ أحمدُ: يُستحبُّ أن يحرِّكَ نعلَه في استئذانِه عند

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٢٦ ـ ح٦٢٤١)، ومسلم (٣/١٦٩٨ ـ ح٢١٥٦).
(٢) أخرجه أحمد (٥/٣٦٩)، وأبوداود (٤/٣٤٥ ـ ح٥١٧٧) واللفظ له.

دخولِه حتى إلى بيتِه؛ لئلا يدخلَ بغتةً. وقال مرةً: إذا دخلَ يتنحنحُ.

ومن الأدبِ أن الطارقِ، إذا سُئل عن اسمه فليبينْه، وليذكرْ ما يُعرفُ به. ولا يجيبُ بما فيه غموضٌ أو لبسٌ. يقولُ جابرٌ رضي الله عنه: «أتيتُ إلى النبيِّ ﷺ في دَيْنٍ كان على أبي، فدققتُ البابَ، فقال: «**من ذا؟**» فقلت: أنا، فقال النبيُّ ﷺ: «**أنا أنا!!!**» كأنه كرهها»[1].

وإذا قرعَ البابَ فليكن برفقٍ ولينٍ من غيرِ إزعاجٍ أو إيذاءٍ ولا ازديادٍ في الإصرارِ، ولا يفتحُ البابَ بنفسِه، وإذا أُذِنَ له في الدخولِ فليتريثْ، ولا يستعجلْ في الدخولِ، ريثما يتمكنُ صاحبُ البيتِ من فسحِ الطريقِ وتمامِ التهيؤ، ولا يرمِ ببصرِه هنا وهناك، فما جعل الاستئذانُ إلا من أجلِ النظرِ.

والاستئذانُ حقٌّ على كلِّ داخلٍ من قريبٍ أو بعيدٍ من الرجلِ والمرأةِ، ومن الأعمىٰ والبصيرِ.

عن عطاءِ بن يسارٍ، أن رسولَ اللهِ ﷺ سأله رجلٌ فقال: يا رسولَ الله، أستأذنُ على أمي؟ فقالَ: «**نعمْ**» قال الرجلُ: إني معها في البيتِ؟؟ فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**استأذنْ عليها**». فقال الرجلُ: إني خادمُها. فقالَ له رسولُ اللهِ ﷺ: «استأذنْ عليها، أتحبُّ أن تراها عريانةً؟» قال: لا. قال: «**فاستأذنْ عليها**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٣٧ ـ ح٦٢٥٠)، ومسلم (٣/ ١٦٩٧ ـ ح٢١٥٥).
(٢) أخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٦٣) قال ابن عبدالبر: مرسل صحيح.

ويقولُ أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه: إذا دخلَ أحدُكم على والدتِه فليستأذنْ.

والأعمىٰ يستأذنُ كالبصيرِ، فلربما أدرَك بسمعِه ما لا يدركُه البصيرُ ببصرِه.

**«ومن استمع إلى حديثِ قومٍ وهم له كارهون أو يفِرُّون منه، صُبَّ في أذنِه الآنكُ يومَ القيامةِ. والآنكُ هو الرصاصُ المذابُ»**[1].

أيها الإخوةُ في اللهِ، وهناك أدبٌ قرآنيٌّ عظيمٌ، لا يكادُ يفقهُه كثيرٌ من المسلمين. إنه قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ﴾ [النور: ٢٨].

إن من حقِّ صاحبِ البيتِ أن يقولَ بلا غضاضةٍ للزائرِ والطارقِ: ارجعْ، فللناس أسرارُهم وأعذارُهم، وهم أدرىٰ بظروفهم، فما كان الاستكنَانُ في البيوتِ إلا من أجلِ هذا.

وعلى المستأذنِ أن يرجعَ من غيرِ حرجٍ، وحسبه أن ينالَ التزكيةَ القرآنيةَ.

قال بعضُ المهاجرين: لقد طلبتُ عُمُرِي كلَّه هذه الآيةَ فما أدركتُها. لقد طلبتُ أن أستأذنَ على بعضِ إخواني ليقولَ لي: ارجعْ، فأرجعْ وأنا مغتبطٌ. لقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ﴾ [النور: ٢٨]. ذكره الحافظُ ابنُ كثيرٍ في تفسيرِه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢/٤٤٦ ـ ح٧٠٤٢).

إن من الخيرِ لك ولصاحبكِ أيها الطارقُ، أن يُعتذرَ عن استقبالِك بدلاً من الإذنِ على كراهيةٍ ومضضٍ، ولو أخذ الناسُ أنفسَهم بهذا الأدبِ، وتعاملوا بهذا الوضوحِ؛ لاجتنبوا كثيراً من سوءِ الظنِّ في أنفسِهم وإخوانِهم.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، والتزموا بدينِكم، واستمسكوا بآدابِه، وحافظوا على مشاعرِ الأُخُوَّةِ، وتخيَّروا في أوقاتِ الزياراتِ، وقدِّروا لإخوانِكم أحوالَهم وظروفَهم، والتمسوا لهم الأعذارَ، ودعوا الأعرافَ والتقاليدَ الخاطئةَ.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابِه وبسنةِ نبيهِ محمدٍ ﷺ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

# لا تدخلوا حتى يؤذن لكم

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله معزٍّ من أطاعه واتقاه، ومذلٌّ من خالف أمرَه وعصاه، أحمده سبحانه وأشكره، من توكلَّ عليه كفاه. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اصطفاه واجتباه، وقرَّبه إليه وأدناه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، اتقوا اللهَ واعلموا أن الإسلامَ كما شرعَ آداباً للاستئذانِ من خارجِ البيوتِ؛ فقد أوضحَ آداباً خاصةً أدَّبَ بها الصغارَ الذين لم يبلغوا الحلمَ في أوقاتٍ خاصةٍ في عوراتٍ ثلاثٍ: من قبل صلاةِ الفجرِ، وفي أثناءِ الظهيرةِ، ومن بعدِ صلاةِ العشاءِ، أوقاتٌ يخلو بهاالمرءُ في نفسِه، أو مع زوجِه يتخففُ فيها من كثيرٍ من القيودِ فللعملِ وقتُه، وللراحةِ وقتُها، فيعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه.

أيها الإخوةُ في اللهِ، إن هذه التفاصيلَ الدقيقةَ في آدابِ الاستئذانِ تؤكِّدُ فيما تؤكدُ حرمةَ البيوتِ، ولزومَ حفظِ أهلِها من حرجِ المفاجآتِ، وضيقِ المباغتاتِ، والمحافظةِ على سترِ العوراتِ. عوراتٌ كثيرةٌ تعني كلَّ ما لا يُرغبُ الاطلاعُ عليه من

أحوالِ البدنِ، وصنوفِ الطعامِ واللباسِ وسائرِ المتاعِ، بل حتى عوراتِ المشاعرِ والحالاتِ النفسيةِ، حالاتِ الخلافِ الأسري، حالات البكاءِ والغضبِ والتوجعِ والأنينِ. كلُّ ذلك مما لا يرغبُ الاطلاعُ عليه لا من الغريبِ ولا من القريبِ، إنها دقائقُ يحفظُها ويسترُها أدبُ الاستئذانِ. فهل يدركُ هذا أبناءُ الإسلامِ؟؟.

# الحجاب والجلباب

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله، نحمدُه ونسعتينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا. من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ، فلا هاديَ له. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين، ومن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها المؤمنون، أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عز وجل؛ فمن اتقىٰ الله حفِظَه، ويسَّرَ له أمرَه، وهداه إلى رشدِه.

عبادَ اللهِ، لقد بعثَ الله نبيَّه محمداً ﷺ بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، لا خيرَ إلا دلَّ الأمةَ عليه، ولا شرَّ إلا حذَّرَها منه. فشمِلَ دينُه أحكاماً ووصايا، وأوامرَ وتوجيهاتٍ في نظامٍ متكاملٍ مربوطٍ برباطِ الفضيلةِ بجميع أنواعِها وشتى كمالاتِها ووسائِلها.

وإن من أعظمِ مقاصدِ هذا الدينِ؛ إقامةَ مجتمعٍ طاهرٍ، الخلقُ سياجُه، والعفةُ طابعُه، والحشمةُ شِعارُه، والوقارُ دِثارُه، مجتمعٌ لا تُهاجُ فيه الشهواتُ، ولا تثارُ فيه عواملُ الفتنةِ، تضيقُ فيه فرصُ الغوايةِ، وتقطعُ فيه أسبابُ التهييجِ والإثارةِ.

ولقد خُصَّتْ المؤمناتُ بتوجيهاتٍ في هذا ظاهرةٍ، ووصايا جليلةٍ.

فعفةُ المؤمنةِ نابعةٌ من دينِها، ظاهرةٌ في سلوَكها، ومن هنا كانتْ التربيةُ تفرضُ الانضباطَ في اللباسِ سُترةً واحتشاماً، ورفضاً للسيرةِ المتهتكةِ والعبثِ الماجنِ.

فشُرِعَ الحجابُ ليحفظَ هذه العفةَ ويحافظَ عليها، شُرِعَ ليصونَها من أن تخدشَها أبصارُ الذين في قلوبِهم مرضٌ.

وأحكامُ الحجابِ في كتابِ اللهِ، وفي سنةِ رسولِه ﷺ صريحةٌ في دعوتِها، واضحةٌ في دلالتِه، ليست مقصورةً على عصرٍ دون عصرٍ، ولا مخصوصةً بفئةٍ دونَ فئةٍ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥٩﴾ [الأحزاب: ٥٩].

تقولُ أمُّ سلمةَ وعائشةُ رضي الله عنهما: «لما نزلتْ هذه الآيةُ خرجَ نساءُ الأنصارِ كأنَّ على رؤوسِهنَّ الغربانُ من الأكسيةِ»[١].

والجِلبابُ: كلُّ ساترٍ من أعلىٰ الرأسِ إلى أسفلِ القدمِ، من مِلاَءةٍ وعباءةٍ، وكلُّ ما تلتحفُ به المرأةُ فوق دِرْعِها وخمارِها.

وإدناءُ الجلبابِ يعني: سدَله وإرخاءَه على جميعِ بدنِها، بما في ذلك وجهُها. وفي تفسيرِ ابنِ عباس رضي الله عنهما: هو

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٦١ ـ ح٤١٠١).

تغطيةُ الوجهِ من فوقِ رأسِها، فلا يبدو إلا عينٌ واحدة.

وما خوطبَ به أمهاتُ المؤمنين أزواجُ النبيِّ ﷺ مطالبٌ به جميعُ نساءِ المؤمنين.

﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ ﴾ [الأحزاب: ٣٢ ـ ٣٣].

فنهىٰ عن الخضوعِ بالقولِ والتبرجِ تبرجَ الجاهليةِ الأولى، وأمرَ بالمعروفِ من القولِ، ولزومِ القرارِ في البيوتِ.

نساءُ المؤمنين في ذلك كنساءِ النبي ﷺ، بل هو في حقِّ نساءِ المؤمنين آكدُ وأولىٰ كما لا يخفىٰ.

وما قولُه سبحانه: ﴿ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ [الأحزاب: ٣٢] إلا تأكيداً لهذا، إذ المقصودُ بيانُ: أنهنَّ محلُّ الأسوةِ والامتثالِ الأولِ، ومَنْ بَعدَهنَّ أُسوتُهن.

وفي هذا يقولُ أبوبكرٍ الجصاصُ: وهذا الحكمُ وإن نزلَ خاصاً في النبيِّ ﷺ وأزواجِه، فالمعنى فيه عامٌّ فيه وفي غيرِه.

وفي مقامٍ آخر ـ أيها المؤمنون والمؤمنات ـ يقولُ اللهُ عز وجل: ﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١].

ولقد ذُكرَ في الآية زينتان: إحداهما لا يمكن إخفاؤها ﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ ﴾ ولم يقلْ إلا ما أظهرْنَ منه، فعُلم

بهذا: أن المرادَ بالزينة الأولى زينةُ الثيابِ، أما الزينةُ الثانيةُ، فزينةٌ باطنةٌ يباحُ إظهارُها لمن ذَكَرتْهم الآيةُ: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ﴾ إلخ الآية وأنتَ خبيرٌ أيها المؤمنُ وخبيرةٌ أيتها المؤمنةُ بأن ممن رخَّصَ في إبداءِ الزينةِ أمامَهم: الأطفالُ وغيرُ أولي الإربةِ من الرجالِ. والوجهُ مَجمعُ الحُسْنِ ومحطُّ الفتنةِ، فهل يُرَخصُّ كشفه للبالغين وأولي الإربةِ من الرجال. الأمرُ في هذا جليٌّ ظاهرٌ.

وفي نفس الآيةِ الكريمة: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وهو ما يُتحلى به في الأرجلِ من خلخالٍ وغيرِه، فإذا كان صوتُ الخلخالِ بريداً إلى فتنةٍ، فكيف بالوجه الذي يحكي الجمالَ والشبابَ والنضارةَ. وصوتُ الخلخالِ يصدرُ من فتاةٍ وعجوزٍ، ومن الجميلةِ والدميمةِ.

أما الوجهُ فلا يحتملُ إلا صورةً واحدةً.

يقولُ صاحبُ الدرِّ المختارِ في فقهِ أبي حنيفةَ رحمه الله: وتُمنعُ المرأةُ الشابةُ من كشفِ الوجهِ بين الرجالِ لخوفِ الفتنةِ كمسِّه، وإن أُمنَ الفتنةُ. ويقولُ عليه الشارح ابنُ عابدين رحمه الله: المعنى أنها تُمنعُ من الكشفِ لخوفِ أن يرىٰ الرجالُ وجهَها فتقعَ الفتنةُ؛ لأنه مع الكشفِ قد يقعُ النظرُ إليها بشهوةٍ، وأما قوله: (كمسه) أي: كما يمنعُ من مسِّ وجهِها وكفيها، وإن أَمِن الشهوة؛ لأنه سبيلٌ إلى الشهوةِ والفتنةِ فكذلك يُغطىٰ الوجهُ؛ لأنه طريقٌ إلى الفتنةِ.

وقبلَه قال أبوبكرٍ بنُ الجصاصِ: والمرأةُ الشابةُ مأمورةٌ بسَترِ وجهِها، وإظهارِ السترِ والعفافِ عند الخروجِ؛ لئلا يطمعُ فيها أهلُ الرَيْبِ.

وفي السنةِ أيها المؤمنون والمؤمناتُ حينَ أبيحَ للخاطبِ النظرُ من أجلِ الخِطْبةِ فغيرُ الخاطِب ممنوعٌ من النظرِ. والمقصودُ الأعظمُ من النظرِ هو الوجهُ؛ ففيه يتمثلُ جمالُ الصورةِ.

وحينما قالَ عليه الصلاة والسلامُ: «**من جرَّ ثوبَه خُيلاءُ لم ينظرِ اللهُ إليه يومَ القيامةِ**» قالتْ أمُّ سلمةَ رضي الله عنها: فكيفَ يصنعُ النساءُ بذيولِهن؟ أي: الأطرافِ السُّفلىٰ من الجلبابِ والرداءِ ـ قال: «**يُرخين شِبراً**» قالت: إذاً تنكشفُ أقدامُهنَّ. قال: «**فيرخينه ذِراعاً، ولا يزدنَ عليه**»[1].

فإذا كان هذا في القَدم فالوجهُ أكثرُ فتنةً فلا يعدو أن يكون تنبيهاً بالإدنىٰ على الأعلىٰ. والحكمةُ والنظرُ تأبيان سترَ ما هو أقلُّ فتنةً، والترخيصَ في كشفِ ما هو أعظمُ فتنةً.

أيها الإخوةُ والأخواتُ:

ومهما قيل في الحجابِ، في كيفيتِه وصفتِه، فما كان يوماً ما عثرةً تمنعُ من واجبٍ، أو تَحولُ دونَ الوصولِ إلى حقٍّ، بل لقد كان ولا يزالُ سبيلاً قويماً يُمكِّنُ المرأةُ من أداءِ وظيفتِها بعفةٍ

---

(١) الحديث أصله في الصحيحين أخرجه البخاري (١٠/٢٦٦ ـ ح٥٧٨٤)، ومسلم (٣/١٦٥١، ١٦٥٢ ـ ح٢٠٨٥)، والحديث بتمامه أخرجه الترمذي (٤/١٩٥، ١٩٦ ـ ح١٧٣١) وقال: حديث حسن صحيح.

وحشمةٍ وطُهرٍ ونزاهةٍ على خيرِ وجهٍ وأتمِّ حالٍ.

وتاريخُ الأمةِ شاهدُ صدقٍ لنساءٍ فُضْلَياتٍ جَمعْنَ في الإسلام أدباً وحشمةً وستراً ووقاراً وعَملاً مبروراً، دون أن يتعثَّرنَ بفضولِ حِجابهنَّ، أو سابغِ ثيابِهن.

وإن في شواهدِ عصرنا من فتياتِنا المؤمناتِ، متحجباتٍ بحجابِ الإسلامِ، متمسكاتٍ بهدي السنةِ والكتابِ قائماتٍ بمسئولياتِهن، خيرٌ ثم خيرٌ ثم خيرٌ من قريناتٍ لهنَّ، شارداتٍ كاسياتٍ، عارياتٍ مائلاتٍ مُميلاتٍ لا يدخلنَ الجنةَ، ولا يجدنَ ريحَها متبرجاتٍ بزينتهن تبرُّجَ الجاهليةِ الأولىٰ.

وليعلم دعاةُ السفورِ، ومن وراءَهم أن التقدمَ والتخلفَ له عواملُه وأسبابُه، وإقحامُ السِّترِ والاحتشام والخلقِ والالتزام عاملاً من عواملِ التخلفِ، خدعةٌ مكشوفةٌ، لا تنطلي إلا على غُفُلٍ ساذجٍ، في فكرِه دَخَلٌ، أو في قلبِهِ مرضٌ.

ودعاةُ السفورِ ليسوا قدوةً كريمةً في الدينِ والأخلاقِ، وليسوا أسوةً في الترفُّعِ عن دروبِ الفتنِ، ومواقعِ الرِّيَبِ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٥ ـ ٥٦].

أيها الإخوةُ، إن وظيفةُ المرأةِ الكبرىٰ، ومهمتَها العُظمىٰ في بيتِها وأسرتِها وأولادِها، وكلُّ ما تتحلىٰ به من علمٍ ووعيٍ يجبُ أن يكونَ موَّجهاً لهذه المهمةِ وتأهيلاً لهذه الوظيفةِ.

الرجلُ هو الكادحُ في الأسواقِ والمسئولُ عن الانفاقِ، والمرأة هي المربِّي الحاني، والظلُّ الوارفُ للحياةِ، كلَّما اشتدَّ لفحُها،

وقسا هجيرُها.

وإن انسلاخَ أحدِ الجنسين عن فطرتِه من أجلِ أن يلحقَ بجنسٍ ليس منه؛ تمردٌ على سنةِ اللهِ، واعوجاجٌ عن الطريقِ المستقيم. ولن يفيدَ العالمَ من ذلك إلا الخللُ والاضطرابُ، ثم الفسادُ والدمارُ. وما لعنُ المتشبهون من الرجالِ بالنساءِ ولا المتشبهاتُ من النساءِ بالرجالِ، إلا من أجلِ هذا.

وسوف تَحيقُ اللعنةُ، ويتحققُ الإبعادُ عن مواقعِ الرحمةِ في كلِّ من خالفَ أمرَ الله، وتمَّرد على فطرةِ اللهِ.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ. وأقولُ قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كلِّ ذنب، فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

# الحجاب والجلباب

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ على جزيلِ النعماءِ، والشكرُ له على ترادفِ الآلاءِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إمامُ المتقين، وسيدُ الأولياءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياءِ، وأصحابِه الأتقياءِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، كما أُمرتْ المؤمنةُ بلزومِ الحجابِ عند خروجِها ومقابلِة غيرِ المحارمِ فقد أمرتْ أن تقرَّ في بيتِها فبيتُها خيرٌ لها، ووظيفتُها في بيتِها من أشرفِ الوظائفِ في الوجودِ، وما يُحسنُها ولا يتأهلُ لها إلا من استكملَ أزكىٰ الأخلاقِ، وأنقىٰ الأفكارِ.

إن من الخطأِ في الرأيِ والفسادِ في التصورِ، الزعمَ بأن المرأةَ في بيتِها قعيدةٌ لا عملَ لها، فما هذا إلا جهلٌ مركبٌ، وسوءُ فهمٍ غليظٍ، سوءُ فهمٍ بمعنى الأسرةِ، وجهلٌ بطبيعةِ المجتمعِ الإنسانِي، والتركيبِ البشريِّ.

والأشدُّ والأنكىٰ: الظنُّ بأن هذه الوظيفةَ قاصرةٌ على الطهي والخدمةِ، إنها تربيةُ الأجيالِ والقيامُ عليها؛ حتى تنبتَ نباتاً

حسناً، ذكوراً وإناثاً، إنها في الإسلام تعدلُ شهودَ الجُمَعِ والجماعاتِ في حقِّ الرجالِ، وتعدلُ حجَّ التطوعِ والجهادِ.

جاءت أسماءُ بنتُ السكنِ الأنصاريةُ الأشهليةُ رضي الله عنها الملقبةُ بخطيبةِ النساءِ. جاءتْ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقالت: «يا رسولَ اللهِ، بأبي أنت وأمي، إن الله بعثك للرجالِ والنساءِ كافةً فآمنَّا بك وبإلٰهك، وإنَّا معشرَ النساءِ محصوراتٌ، مقصوراتٌ مخدوراتٌ، قواعدُ بيوتِكم، وحاملاتُ أولادِكم، وإنكم معشرَ الرجالِ فُضِّلتُم علينا بالجُمَعِ والجماعاتِ، وفُضِّلتُم علينا بشهودِ الجنائزِ، وعيادةِ المرضىٰ، وفُضِّلتُم علينا بالحجِّ بعد الحجِّ، وأعظمُ من ذلك الجهادُ في سبيلِ اللهِ. وإن الرجلَ منكم إذا خرجَ لحجٍّ أو عمرةٍ أو جهادٍ؛ جلسنا في بيوتكم نحفظُ أموالَكم، ونربي أولادَكم، ونغزلُ ثيابَكم، فهل نشاركُكم فيما أعطاكما اللهُ من الخيرِ والأجرِ؟ فالتفتَ النبيُّ ﷺ بجملته[1] وقال: «**هل تعلمون امرأةً أحسنَ سؤالاً عن أمورِ دينِها من هذه المرأةِ؟**» قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما ظنَّنا أن امرأةً تسألُ سؤالَها، فقال النبيُّ ﷺ: «**يا أسماءُ، افْهَمِي عنى أَخبْري من وراءَكِ من النساءِ أن حُسنَ تبعُّلِ المرأةِ لزوجِها، وطلَبَها لمرضاتِه، واتباعَها لرغباتِه يعدلُ ذلكَ كلَّه**» فأدبرتْ المرأةُ وهي تهلِّلُ تكبرُ وترددُ: «يعدلُ ذلك كلَّه، يعدل ذلك كلَّه»[2].

فهل يفقه هذا نساء المؤمنين؟؟.

---

(١) أي بجسده كله.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٢٠، ٤٢١ ـ ح٨٧٤٣).

# رأي في العنوسة وتأخير الزواج

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وجعلَ لكلِّ شيءٍ قدراً. خلقَ من الماءِ بشراً فجعله نسباً وصهراً. أحمده سبحانه وأشكره. كرمُهُ يتوالى، ونعُمه علينا تترىٰ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدهُ ورسولُه. اصطفاه ربَّه واجتباه. فكان أشرفَ البريةِ وأعلاهم ذِكراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها المسلمون ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ۝١﴾ [النساء: ١].

عبادَ اللهِ: اقتضتْ حكمةُ ربِّنا جلَّ وتبارك بقاءُ النسلِ البشريِّ، وحِفْظَ النـوعِ الإنسـانيِّ.. مـن أجـلِ إعمـارِ الكـونِ، وإصـلاحِ الأرضِ، وإقامةِ الشرعِ، والقيامِ بشئونِ الحياةِ.

فشرَعَ بحكمته ما ينظِّمُ العلاقةَ بين الجنسين الذكرِ والأنثىٰ من بني آدمَ. سنَّ الزواجَ بأحكامه وآدابِه.. علاقةٌ شرعيةٌ تدعو إليها الفطرةُ السليمةُ، وتنظمُها أحكامُ الشرعِ القويمِ.

بقيامِه تنتظمُ الحياةُ، ويُحفظُ الحياءُ، ويَنعُمُ البالُ، ويستقيمُ الحالُ. بالزواجِ المشروعِ يتحققُ العفافُ والحَصَانُ.. الذي يضمنُ وِفاقَ العَلاقاتِ وأَمنَ البيوتاتِ، النسلُ الصالحُ والجيلُ الخيِّرُ لا ينبتُ ولا يتربىٰ إلا في أحضانِ زوجيةٍ شرعيةٍ.. بين أبوةٍ كادحةٍ، وأمومةٍ حانيةٍ.

في الذريةِ الصالحةِ، والاستكثارِ منها في الأمةِ... العزُّ والفخارُ للدينِ والأسرةِ والمجتمعِ: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾﴾ [النساء: ٦].

إن نعيمَ الحياةِ ومتعتَها لا تكونُ إلا في بيتٍ سعيدٍ، وسعادةُ البيتِ لا يحققُها إلا دينٌ صحيحٌ، وخلقٌ سَمْحٌ، وأدبٌ رفيعٌ. ينضمُّ إلى ذلك صفاءُ الودِّ، والحفظُ المتبادلُ بين القرينين في الحضورِ والغَيْبةِ. بيتٌ سعيدٌ ظاهرُه الحشمةُ والمهابةُ، وباطنُه العفافُ والصيانةُ.

الزواجُ السعيدُ تتجاوزُ السعادةُ فيه حدودَ الزوجين. لتمتدَّ إلى أسرتيهما، فتكونُ حلقةً واسعةً من الموداتِ والصلاتِ بين الأقاربِ والأصهارِ. تتأكدُ بين الآلِ والأرحامِ وشائجُ القربىٰ وعلائقُ المصاهرةِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: إذا كانتْ هذه بعضُ حِكَمِ الزواجِ وأسرارِهِ ومنافعِهِ وآثارِهِ.. فما بالُ الناس تشكو وتتبرمُ؟؟ تشكو من العنوسةِ وتأخرِ سنِّ الزواجِ في الفَتيانِ والفتياتِ؟ تتقدمُ السنونَ بهم، والعراقيلُ تزدادُ أمامَهم، والمشكلاتُ تتفاقمُ في وجوهِهم.

وكأن الطرقَ قد سُدَّتْ أمامَ كثيرٍ من الشبابِ، والحُجُبَ قدغَلُظتْ أمامَ جموعِ الراغبين.. حتى ظهرَ الحالُ بمظهرٍ ينذرُ بسوءِ المنقلبِ.

إن تضييقَ فُرصِ الزواجِ علةُ خرابِ الديارِ.. به يُقتلُ العفافُ، وتُوأَدُ الفضيلةُ. وهو طَريقُ الفسادِ، وهتكِ حجابِ السَّترِ والصيانةِ. إنها سَوْءاتٌ وخبائثُ... لا تظهرُ إلا إذا اُفتعلتْ الحواجزُ، وتنوعتْ العوائقُ أمامَ الراغبين من البناتِ والبنينِ.

هل هناك للأعداءِ ـ ياتُرى ـ خططٌ ماكرةٌ لنشرِ المسالكِ الداعرةِ؟

جديرٌ بذوي الرأي وأولياءِ أمورِ النشءِ، وحقٌّ على العلماءِ والمربينِ أن يولوا الأمرَ عنايتَهم الجادةَ، هل المشكلةُ مشكلةُ مهورٍ؟. أم المشكلةُ تعلمٌ وترقٍ في سُلَّمٍ التعليم لنيل شهاداتٍ ودرجاتٍ؟.

الأمرُ فيما يبدو ـ أيها الفضلاءُ ـ أكبرُ من ذلك وأوسعُ. إن الناظرَ في أحوالِ المجتمعاتِ، والمراقبَ لمتغيراتِها في هذا العصرِ؛ يحسُّ بأشياءَ كثيرةٍ وكبيرةٍ.. يدرُك أموراً مخيفةً ومهولةً.

إن هذه المشكلاتِ وهذه العوائقِ راجعةٌ إلى خللٍ في التصورِ، وزعزعةٍ في الفكرِ. ولا مبالغةَ إذا قيل إنها راجعةٌ إلى ضعفٍ في العقيدةِ، وخللٍ في تطبيقِ الشريعةِ.

إنه التفكيرُ المشوَّشُ حولَ المستقبلِ، والتخوفُ الذي لا مسوغَ له. ثم ما يرتبطُ بهذا التخوفِ من الاعتمادِ على الشهاداتِ، والتعلقِ بالوظائفِ، وتأمينِ فرصِ العملِ، والاشتغالِ بالترقي في

سلَّم التعليمِ... حتى يفوتَ الجميعَ قطارُ الزواجِ. ومشاركةُ الوالدين في هذا التخوفِ، وقبولُ المجتمع له، والرضا عن هذا المسلكِ يؤكدُ هذا الخللَ في التفكيرِ، والانقلابَ في الموازين، وتزعزعَ الثقةِ باللهِ، وضعفَ النظرِ المتعقلِ. ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢] ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧] اضطربتْ المقاييسُ، وطاشتْ الموازينُ.. فالمستقبلُ مادةٌ، والتخطيطُ مادةٌ، وشريكةُ الحياةِ وزوجُ المستقبلِ يقوِّمان بالمادةِ وشبهِ المادةِ. الوظيفةُ والشهادةُ، والمرتبُ والوجاهةُ.. هي السوقُ الرائجةُ. يستوي في ذلك الشابُّ وأهلُه، والشابَّةُ وأهلُها إلا ما رحمَ ربيّ.

ما يتلقفُه الناسُ والشبابُ من معلوماتٍ وأخلاقياتٍ في المقالاتِ والمسلسلاتِ والصحفِ والإذاعاتِ بطريقٍ مباشرٍ أو غير مباشرٍ؛ له أثرُه البينُ في اختلالِ النظرةِ إلي الحياةِ. هذا الزخمُ من الثقافاتِ، وهذا الطرحُ من التصوراتِ؛ قلبَ المفاهيمَ وأفسدَ الأمزجةَ، وجعلَ علاقاتِ الناسِ وروابطَها منافعَ ذاتيةً وماديةً بحتةً.

أيها الآباءُ، أيها الأمهاتُ، أيها المربون: إذا انحدرَ الناسُ في هذه المقاييس، وحكَّمُوها في علاقاتِهم.. فقد فسد الزمانُ، وبطلَ دليلُ العَقلِ، وتعطلَ أمرُ الشرعِ. يُعيِّرون بالفقرِ، ويكلِّفون ما يخرجُ عن الطَّوق؟؟ ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾ [الطلاق: ٧]. لقد انبنىٰ على فسادِ التصورِ هذا أنْ ساءتْ الأفكارُ، وارتفعتْ المروءاتُ في كثيرٍ من البيئاتِ.. فاشتطَّ الناسُ في النفقاتِ، وسرتْ بينهم في الحُطامِ المنافساتُ،

وتوجهوا نحو الدراهمِ والمراكزِ واللذائذِ الحسيةِ والجسديةِ، حتى ولو تعارضتْ مع العَفةِ وحفظِ الأعراضِ والاستمساكِ بالخلقِ العالي. فزادتْ الحواجزُ ارتفاعاً، وامتدتْ السدودُ طولاً.. فتطلع النساءُ وأشباهُ النساءِ إلى صنوفِ الملابسِ والمساكنِ، وألوانِ الفرشِ والمآكلِ. والمفتِّشُ عن الزواجِ من الفضلاءِ والصالحين يخشىٰ أن يُبتلىٰ بأصهارٍ وأنسابٍ يتجاوزون في مطالبِهم حدودَ المعروفِ، فيكلِّفونه في حياتِه عسراً، ويزيدونه من أمرِه رَهقاً.

لماذا كلُّ هذا أيها الناسُ؟ إن جميلَ الخُلُق أبقىٰ من جَمال الخَلْق، وغِنىٰ النفسِ مقدَّمٌ على غِنىٰ المال، والعبرةُ كلُّ العبرةِ في كريم الخصالِ.. لا في زَيْنِ الأجسامِ وكثرةِ الأموالِ.

سُئلَ سعيدُ بن المسيَّبِ ـ رحمه الله ـ عن حديثِ: «**خيرُ النساء أيسرُهن مهوراً**»[1] كيفَ تكونُ حسناءَ ورخيصةَ المهرِ؟ فقال سعيدٌ: يا هذا، انظرْ كيف قلت؟ أهم يساومون في بهيمةٍ لا تعقل؟ أتراها بضاعةً طَمَعُ صاحبِها يغلبُ على مطامعِ الناس ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩]. إنه إنسانٌ مع إنسانةٍ، وليس متاعاً يطلبُ مُبْتاعاً.

(١) أخرجه ابن حبان انظر الاحسان (٩/ ٣٤٢ ـ ح٤٠٣٤)، والطبراني في الكبير (١١/ ٧٨ ـ ح١١١٠٠، ١١١٠١) قال في المجمع(٤/ ٢٨١) فيه رجاء بن الحارث ضعفه ابن معين وغيره وبقية رجاله ثقات، وله شواهد تقويه منها (خير النكاح أيسره) و (خير الصداق أيسره) أخرجه ابن حبان انظر الاحسان(٩/ ٣٨١ ـ ح٤٠٧٢)، وأبوداود (٢/ ٢٣٨ ـ ح٢١١٧).

أمـا الحمقـاءُ وأهـلُ الحمقـاء... فيتمسكـون بـالجمـالِ والمنصبِ، والمالِ والمركزِ، ليزايدوا في الثمنِ. أتُرىٰ هؤلاء من الشرارِ أم من الخيارِ؟ إن المرأةَ للرجلِ نفسٌ لنفس، وليست بضاعةً لتاجرِ. إن ميزانَ الرجالِ لا يوزنُ بمالٍ، ولكنَّ المهرَ يوزنُ بالمعاملةِ، وحسنِ التبعلِ، ورعايةِ المسئوليةِ.

إن صاحبَ الجمالِ والجاهِ قليلَ الدينِ والخلقِ من الرجالِ والنساءِ لا يغني عنه كثرةُ المالِ شيئاً. أرأيت لو كان مع الجبانِ مائةُ سيف؛ أكان ذلك يُغني عن ضعفِه وجبنِه وخَوَرِه؟ فاستكثارُ المالِ وموازينُ المادةِ لا تسترُ خيبةَ الزوجين، وصفاقتَهما وسوءَ خلقهما، ولو كان ذلك قناطيرَ الذهبِ والفضةِ.

إن نِسَبَ الطلاقِ والفراقِ، وأسبابَ الانفصالِ والشقاقِ في متقدِّمةِ هذا العصرِ.. أعلى منها في مجتمعاتٍ سَلِمتْ من رياحِ هذا التقدمِ البائسِ وغبارِه الخانقِ. وكلَّما دخلتْ أمةٌ في هذا النوعِ من المعاصرةِ والمقاييسِ ارتفعت فيها نِسَبُ الطلاقِ والشقَاقِ.

أيها الإخوة في الله:

حقٌّ على أصحابِ القدوةِ من الأمراءِ والوجهاءِ والعلماءِ، والأغنياءِ وشيوخِ القبائلِ والعشائرِ، أن ينشروا في الناس خُلقِ القناعةِ بما يسرَ اللهُ ورزقَ. ويرسموا ذلك بفعالِهم قبل أقوالِهم.

لا يكونُ الاغتباطُ إلا بالدينِ وحسنِ الخلقِ، والاهتمام بغرس المودةِ ونعمةِ البالِ... غيرَ ناظرين إلى ما تعجَزُ عنه أيدي الشبابِ، ولا مالا تبلغُه طاقاتُهم. يجب أن يكونَ التوجيُه وصرفُ

الهَمِّ والهمةِ إلى الفتى المهذب والفتاةِ المهذبةِ من أجلِ أن تُستجلبَ راحةُ الضميرِ والإعانةُ على نوائبِ الحياةِ، والتهيئةَ لكسبٍ شريفٍ وسعيٍ كريم. الصلاحُ والتقىٰ والعفةُ والأمانةُ، وكَرمُ العنصرِ وطيبُ الأرومة[1].. كلُّ أولئك تورثُ حسنَ الطباعِ، وعزةَ النفس ، واحترامَ البعلِ، والعرقُ دساسٌ، والطبعُ غالبٌ. وقد قال أكثمُ بن صيفي لبنيه: يا بَنيَّ لا يحملَّنكم جمالُ النساءِ عن صراحةِ النسبِ، وكرمِ العنصرِ فإن المناكحَ الكريمةَ مدرجةُ الشرفِ.

أيها الأخُ المسلمُ: إن الجمالَ ونضارةَ الشبابِ تزيلهما السُّنونُ، وإن المالَ غادٍ ورائحٌ، ولا يبقى إلا الدينُ والخلقُ الكريمُ. فاظفرْ بذاتِ الدينِ تربتْ يداكَ.

(١) الأرومة: الأصل.

# رأي في العنوسة وتأخير الزواج

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً كما أمرَ. وأشكرُه على إنعامِه وإفضالِه، وقد تأذَّنَ بالزيادةِ لمن شكرَ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أرجو بها الزلفىٰ لديه يومَ العرضِ الأكبرِ. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الشافعُ المشفعُ في المحشرِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، السادةِ الغررِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما اتصلتْ عينٌ بنظرٍ، وأذنٌ بخبرٍ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون:

عبادَ الله: إن الجدلَ حولَ المادياتِ، وتكاليفِ الزواجِ، ونفقاتِ البيتِ، لا ينقطعُ، ومتطلباتُ الأسرةِ لا تنقضي. والإسلامُ يكره أن تكونَ أمورُ النفقةِ، وحوائجُ الدنيا سبباً في تعريضِ الأسرةِ للمتاعبِ، وتهديدِ مستقبلِها بالأخطار والمصاعبِ: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ﴾ [الطلاق: ٧].

وإن مسالكَ العقلِ والحكمةِ تقتضي التوجهَ إلى حُسنِ المعاشرةِ، وفقهِ إدارةِ المنزلِ، وما يوثِّقُ العلاقةَ بين الزوجينِ

الجديدين. واسمعوا إلى حكماءِ العربِ وهي تخاطب المرأةَ حين تزفُّ إلى زوجِها، وهي وصايا ينبغي أن يتحلى بها الرجالُ والنساءُ، كل حسَبَ طبيعتِه وموقعِه.

قالت الحكماءُ: كوني له أرضاً ذليلةً يكنْ لك سماءً ظليلة، وكوني مِهاداً يكن لك عِماداً، وإن كنت له أمةً كان لك عبداً، ولا تُكثري من الإلحاحِ فيقلاكِ[1]، ولا تتباعدي عنه فينساكِ. فإن من بَعُدَ عن العينِ بَعُدَ عن القلبِ. احفظي أنفَه وسمعَه وبصرَه... فلا يشمُّ إلا طِيْباً، ولا يسمعُ إلا حُسْناً، ولا يرىٰ إلا زَيْناً، طولُ الصحبةِ بالقناعةِ، وجميلُ العشرةِ بحسنِ الطاعةِ. والمحافظةُ على المالِ حُسْنُ التقديرِ، ورعايةُ البنين حسنُ التدبير. ولا تفشي سراً، ولا تعصي أمراً، فإن من أفشىٰ سراً لم يأمنْ غدراً، ومن عصى أمراً فقد أوغرَ صدراً. وليس من الأدبِ الفرحُ وقتَ الحُزْنِ، ولا الاكتئابُ في حالِ السرورِ.. فإن الخصلةَ الأولى من التقصيرِ، والثانيةَ من التكديرِ، ومن كان أشدَّ احتراماً فإنه لا يلقىٰ إلا محبةً وإكراماً. واعلمي أن طولَ المرافقةِ تكونُ بكثرةِ الموافقةِ.

تلك هي بعضُ التوجيهاتِ، بعيدةً عن مقاييس المادياتِ، فاتقوا الله ـ رحمكم الله ـ وخذوا بأيدي الناشئةِ، وأَصلحوا ذاتَ بينِكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

---

(١) أي: يهجرك ويكرهك.

# ابنَ آدم: مَرِضت ولم تعدني

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المتوحدِ بالعظمةِ والجلالِ، المتفردِ بالبقاءِ والكمالِ، أحمدُه سبحانه، وأشكرُه على جزيلِ الإنعام والإفضالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله إلا هو الكبيرُ المتعالِ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، المنقذُ بإذن ربِّه من الضلالِ، والداعي إلى كريمِ السجايا وشريفِ الخصالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، فبتقوىٰ اللهِ تُنالُ الدرجاتُ، وتزكو الأعمالُ، وأكثروا من ذكرِه وشكرِه، فبذكره تطمئنُّ القلوبُ، وبشكره تُحفظُ النعمُ، وتزودوا من الصالحاتِ فخيرُ الزادِ التقوىٰ.

معاشرَ الإخوة، الخيرُ في الإسلامِ ينتظمُ كلَّ وجوهِ البرِّ، ويشملُ كلَّ عملٍ صالح، ويتناولُ كلَّ خلقٍ كريمٍ، طاعةً للهِ عزَّ وجلَّ، وحباً في الفضائلِ في إخلاصٍ وقصدٍ حسنٍ.

ففي الحديث قولٌ جميلٌ، وفي البلاءٌ صبرٌ جميلٌ، وعند الخلافِ صفحٌ جميلٌ.

أقوالٌ وأفعالٌ تغرسُ المحبةَ، وتورثُ المودةَ، وتوثقُ الروابطَ،

نجدةٌ وإغاثةٌ، وتراحمُ وملاطفةٌ، وإخلاصٌ ووفاءٌ، مشاركةٌ في السراءِ، ومواساةٌ في الضراءِ، كلُّ ذلك من توجيهاتِ الإسلامِ، ونواميسِ الأخلاقِ.

أيها الإخوةُ، ويتجلىٰ صفاءُ الدينِ، وتظهرُ محاسنُ الشريعةِ، أكثرَ ما تتجلىٰ في خُلقٍ كريمٍ، وسلوكٍ مستقيمٍ، ينتهجُه المسلمُ مع إخوانِه، القريبِ منهم والبعيدِ.

إنها أخلاقٌ كريمةٌ، ولكنها في ذاتِ الوقتِ حقوقٌ محفوظةٌ، عُنيَ الإسلامُ بها وحثَّ عليها، ودعها إليها، ورسمَ منهاجها، وأوضحَ آدابَها.

وفي مثلِ ذلك يقولُ عليه الصلاة والسلام:

«**حقُّ المسلم على المسلمِ ستٌّ**» قيل: ما هنَّ يا رسولَ اللهِ؟ قال: «**إذا لقيتَه فسلِّمْ عليه، وإذا دعاكَ فأجِبْه، وإذا استنصحكَ فانصحَ له، وإذا عطسَ فحمِدَ اللهَ فشمِّتْه، وإذا مرِضَ فعُدْه، وإذا مات فاتْبَعْهُ**»(١) في حقوقٍ أخرىٰ كثيرةٍ حَفَلَتْ بها سنةُ المصطفىٰ ﷺ قولاً وعملاً وتوجيهاً.

ولقد كان من أدبِ السلفِ ـ رضوانُ الله عليهم ـ إذا فَقدَوا أحداً من إخوانِهم سألوا عنه، فإن كان غائباً دَعْوا له، وخَلَفوه خيراً في أهلِه، وإن كان حاضراً زارُوه، وإن كان مريضاً عادُوه.

يقولُ الأعمشُ ـ رحمه اللهُ ـ: كنا نقعدُ في المجلسِ، فإذا

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٥ ـ ح١٢٤٠) وفيه (حق المسلم على المسلم خمس)، ومسلم (٤/ ١٧٠٤، ١٧٠٥ ـ ح٢١٦٢) واللفظ له.

فقدْنا الرجلَ ثلاثةِ أيامٍ سألنا عنه، فإن كان مريضاً عدُناه.

وفي عيادةِ المريضِ ـ أيها الإخوةُ ـ يتجلىٰ سموُّ الخُلُقِ، وحفظُ الحقِّ حين يكون أخوكَ في حالةٍ من العجزِ، وانقطاعٍ عن مشاركةِ الأصحابِ، حبيسَ المرضِ، وقعيدَ الفراشِ.

في عيادةِ المريضِ إيناسٌ للقلبِ، وإزالةٌ للوحشةِ، وتخفيفٌ من الألمِ، وتسليةٌ للنفسِ والأقاربِ.

وفي توجيهاتِ المصطفىٰ ﷺ حثٌّ عظيمٌ على حفظِ هذا الحقِّ، والالتزامِ بهذا الخُلُقِ، ومراعاةِ آدابه.

أخرجَ الإمامُ أحمدُ ومسلمٌ واللفظُ له والترمذيُّ عن ثوبانَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«إن المسلمَ إذا عاد أخاه المسلمَ لم يزلْ في خُرفةِ الجنةِ حتى يرجعَ»** قيل: **يا رسولَ اللهِ، وما خُرفةُ الجنةِ؟ قال: «جَناها»**[1] ـ أي: ثمارَها.

وفي حديثٍ قدسي يقولُ اللهُ ـ عزَّ وجل ـ يوم القيامةِ: **«يا ابنَ آدم مَرِضْتُ فلم تَعُدْني. قال: ياربِّ، كيف أعودُك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أن عبدي فلاناً مَرِضَ فلم تَعُدْه؟ أما علمتَ أنك لو عدتَّه لوجدتني عنده؟..»**[2].

و **«ما منْ مسلمٍ يعودُ مسلماً غَدوةً، إلا صلى عليه سبعون ألفَ ملكٍ حتى يُمسي، وإن عادَه عشيةً، إلا صلى عليه سبعون ألف**

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٩ ـ ح٢٥٦٨)، والترمذي (٣/ ٢٩٩ ـ ح٩٦٧) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٥/ ٢٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٠ ـ ح٢٥٦٩).

**ملكٍ حتى يصبحَ، وكان له خريفٌ من الجنةِ»**[1] .

وفي موطإمالكٍ بلاغاً ومسندِ أحمدَ مُسْنَداً واللفظُ له، ورواتُه رواةُ الصحيح، والبزارِ، وابن حبانَ في صحيحِه عن جابر رضي الله عنه قال قَال رسولُ الله ﷺ: **«من عادَ مريضاً لم يزلْ يخوضُ في الرحمةِ حتى يرجِعَ، فإذا جلسَ اغتمسَ فيها»**[2] وفي حديث أبي هريرةَ ـ رضي الله عنه ،ـ مرفوعاً: **«من عادَ مريضاً ناداه منادٍ من السماءِ: طِبتَ وطابَ ممشاكَ، وتبوأْتَ من الجنةِ منزلاً»**[3]. أخرجه الترمذي وحسَّنَه، وابنُ ماجه، واللفظُ له.

ومن أدبِ الزيارةِ أن يقفَ عند رأسِه ويضعَ يدَه على جبينِه أو على مكانِ الألم ويقول: **«لا بأسَ طهورٌ إن شاءَ الله»**[4] فقد كان نبيُّكم محمدٌ ﷺ يفعلُ ذلك.

كما كان عليه الصلاة والسلام يرشد إلى ما يُتعوذ به من الألم يقول عثمان بن أبي العاص الثقفي قدمت على النبي ﷺ وبي

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٠١ ـ ح٩٦٩) وقال: حديث حسن غريب، وأبوداود (٣/ ١٨٥ ـ ح٣٠٩٨)، وأحمد (١/ ٨١، ٩١، ١٢١)، وابن ماجه بنحوه (١/ ٤٦٣، ٤٦٤ ـ ح١٤٤٢).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٤)، والحاكم (١/ ٣٥٠) وقال: صحيح الاسناد على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن حبان انظر الاحسان (٧/ ٢٢٢ ـ ح٢٩٥٦)، وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجال أحمد رجال الصحيح انظر المجمع (٢/ ٢٩٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٢٠، ٣٢١ ـ ح٢٠٠٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (١/ ٤٦٤ ـ ح١٤٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ١٢٦ ـ ح٥٦٦٢).

وجع قد كان يبطلني فقال لي النبي ﷺ: «**اجعل يدك اليمنى عليه وقل: بسم الله. أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات**» فقلت ذلك فشفاني الله[(1)].

وينبغي أن يجتهدَ له في الدعاءِ، ومما وردَ في ذلك: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: «**من عادَ مريضاً لم يَحضُرْ أجلُهُ فقال عنده سبعَ مرارٍ: أسألُ الله العظيمَ ربَّ العرشِ العظيمِ أن يشفيَك، إلا عافاه اللهُ من ذلك المرضِ**»[(2)].

وعن عبدالله بن عمروٍ رضي الله عنهما قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**إذا جاء الرجلُ يعودُ مريضاً فليقلْ: اللهمَّ اشفِ عبدَك ينكأُ لك عدواً، أو يمشي لك إلى جِنازةٍ**»[(3)] وفي رواية «**صلاة**». ويقول: «**اللهم ربَّ الناس أذهبْ البأسَ، اشفِ أنتَ الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤُك شفاءً لا يَغادرُ سَقَماً**»[(4)].

وقد عادَ جبريلُ النبيَّ ﷺ وقال: «**بسمِ اللهِ أرقيكَ، من كلِّ**

---

(1) أخرجه مسلم (٤/١٧٢٨ ـ ح٢٢٠٢)، والترمذي (٤/٣٥٦ ـ ح٢٠٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٤/ ١٢ ـ ح٣٨٩١)، ومالك في الموطأ (٢/ ٩٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١١٦٤ ـ ح٣٥٢٢) واللفظ له.

(2) أخرجه الترمذي (٤/ ٣٥٧ ـ ح٢٠٨٣) وقال: حديث حسن غريب، وأبوداود (٣/ ١٨٧ ـ ح٣١٠٦)، والحاكم (١/ ٣٤٢) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ووافقه الذهبي.

(3) أخرجه أبوداود (٣/ ١٨٧ ـ ح٣١٠٧)، وابن حبان انظر الاحسان (٧/ ٢٣٩ ـ ح٢٩٧٤)، والحاكم (١/ ٣٤٤، ٥٤٩) وصححه ووافقه الذهبي.

(4) أخرجه البخاري (١٠/ ٢١٦ ـ ح٥٧٤٣)، ومسلم (٤/ ١٧٢١، ١٧٢٢ ـ ح٢١٩١).

**شيءٍ يؤذيك، من شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ، الله يُشفيك، باسمِ الله أرقيك»**[1] رواه مسلم من حديثِ أبي سعيد.

ومن الآدابِ المرعيةِ: ألا يطيلَ الزيارةَ، ولايثقلَ بكثرةِ المساءَلةِ، وإطالةِ الحديثِ، ولا يذكرَ له ما يُحْزِنُه، أو يزيدُه وجعاً إلى وجعِه، ولا يذكرُ صديقاً له بما يكرهُ، أو عدواً له بما يحبُّ، ولا يتحدثَ عن أهلِه وأولادِه إلا بكلِّ خيرٍ، رفقاً به وملاطفةً له.

وإن في الإطالةِ إثقالاً على المريضِ، ومنعاً له من تصرفاتٍ قد يحتاجُ إليها.

قال بعضُ الظرفاءِ لقوم عادُوه في مرضِهِ، فأطالوا الجلوسَ: المريضُ يعادُ، والصحيحُ يُزارُ.

ودخلَ رجلٌ على عُمرَ بن عبدالعزيز يعودُه في مرضِه فسأله عن علَّتِه فأخبرَه، فقال الزائرُ: إن هذه العلةَ ما شُفي منها فلانٌ، وماتَ منها فلانٌ. فقال عمرُ: إذا عُدتَ مريضاً فلا تنَع إليه الموتىٰ، وإذا خرجتَ عنا فلا تعدُ إلينا. ويقول سفيانُ الثوري: حماقةُ العائدِ أشرُّ على المرضىٰ من أمراضِهم، يجيئون من غيرِ وقتٍ، ويُطيلونَ الجلوسِ.

وإذا كان المريضُ يحبُّ تكرارَ الزيارةِ، ولا مشقةَ عليه فلا بأسَ، ومردُّ ذلك إلى الطبائعِ ومقتضياتِ الأحوالِ، وقد يأنسُ ببعضٍ من قريبٍ أو صديقٍ حميمٍ، ويَملُّ آخرين. وإذا طَمعَ الزائرُ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٧١٨، ١٧١٩ ـ ح٢١٨٦).

في شفاءِ المريضِ صبَّرَه وبشَّره، وساعدَه في التمريضِ وإحضارِ الطبيبِ، وفي قضاءِ حوائجِه التي يعجَزُ عن الوصولِ إليها، وطيَّبَ نفسَه وسعىٰ في إدخالِ السرورِ عليه، وفتحَ أبوابَ الأملِ لديه.

وقد وصفَ الحسنُ ـ رحمهُ اللهُ ـ المرضَ فقال: أما واللهِ ما هو بشرِ أيامِ المسلمِ، قوربَ له أجلُه، وذُكِّر فيه ما نَسي من مَعَادِه، وكُفِّرَ به عن خطاياه.

وكان إذا دخلَ على مريضٍ قد عوفي قال له: يا هذا، إن اللهَ قد ذكَّرك فاذكْره، وأقالكَ فاشكرْه.

فهذه الأسقامُ والبلايا كفاراتٌ للذنوبِ، ومواعظُ للمؤمنينِ، يرجعون بها عن كلِّ شرٍ كانوا عليه.

ويقولُ الفضيلُ: إنما جُعلتْ العللُ ليؤدَّبَ بها العبادُ.

ليس كلُّ من مرِضَ ماتَ. وعُدَّ من ذلك قوله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾﴾ [التوبة: ١٢٦].

وإذا يئسَ من حالِه ذكَّره باللهِ، ورغَّبه فيما عنده، وحسَّنَ ظنَّه بربِّه، ومن أحبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ الله لقاءَه.

ومن كان آخرُ كلامِه: لا إله إلا اللهُ، دخلَ الجنةَ، ويَفتحُ له أبوابَ التوبةِ، واغتنام الوقتِ بالذكرِ والقراءةِ والتسبيح والاستغفارِ، وكلِّ ما يقرِّبُ إليه، ويذكِّرُه بالوصيةِ، فهي لا تَقطعُ أجلاً، وإنما تُحفظُ بها الحقوقُ، وتُقضىٰ بها الديونُ، ويُتوصلُ بها أهلُ الحقوقِ إلى حقوقِهم.

لما طُعنَ عمرَ جعلَ يَأْلَمُ، فقال له ابنُ عباس ـ وكأنه يجزِّعُه ـ: «يا أميرَ المؤمنين، ولئن كان ذاك، لقد صَحِبتَ رسولَ اللهِ ﷺ فأحسنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ أبابكرٍ فأحسنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ، ثم صحبتَ صَحبَتَهم[1] فأحسنتَ صُحبتَهم، ولئن فارقتَهم لتفارقنَّهم وهم عنك راضون. قال: أما ما ذكرت من صحبةِ رسولِ اللهِ ﷺ ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ اللهِ جلَّ ذكره مَنَّ به عليّ، وأما ما ذكرتَ من صحبة أبي بكرٍ ورضاه فإنما ذاك مَنٌّ مِنَ الله جل ذكره مَنَّ به عليّ، وأما ما ترى من جَزَعي؛ فهو من أجلِك وأجلِ أصحابِك. والله لو أن لي طِلاعَ[2] الأرضِ ذهباً لافتديتُ به من عذابِ اللهِ عزَّ وجلَّ قبل أن أراه»[3] رواه البخاريُّ من حديث المسورِ بن مخرمةِ.

وفي البخاري أيضاً من حديث القاسم بن محمدٍ أن عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ اشتكتْ؛ فجاء ابنُ عباس فقال: «يا أمَّ المؤمنين، تَقْدَمين على فَرَطِ صدقٍ، على رسولِ اللهِ ﷺ وعلى أبي بكرٍ»[4].

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واحفظوا لإخوانِكم حقوقَهم، قوموا بها على وجهِها، راعوا آدابُها، وحقِّقوا مقاصدَها، يَعْظُمْ

---

(١) أي: أصحاب النبي ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.
(٢) طلاع الأرض: أي ملء الأرض.
(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٥٢، ٥٣ ـ ح٣٦٩٢).
(٤) أخرجه البخاري (٧/ ١٣٣ ـ ح٣٧٧١).

الأجرُ، ويصْلُحْ الشأنُ، ويفشُ الخيرُ، وتَسُدْ المودةُ.

اللهم تبْ على التائبين، واغفرْ ذنوبَ المذنبين، واقضِ الدينَ عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضىٰ المسلمين، اللهم اشف مرضانا، وارحم موتانا، واغفرْ لنا حوبَنا وخطايانا يا ربَّ العالمين، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

# ابنَ آدم: مَرِضتُ ولم تعدني

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربطَ بين المؤمنين برابطةِ الإيمان، فكانوا إخوةً متحابين، يشدُ بعضُهم بعضاً، كالمرصوصِ من البنيانِ. أحمدُه سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ ولدِ عدنان، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد:

فاتقو اللهَ معاشرَ المسلمين. واعلموا أن زيارةَ المريضِ مستحبةٌ، ولو كان مُغمىٰ عليه، «فقد زارَ النبيُّ ﷺ وأبوبكر ـ رضي الله عنه ـ جابرَ بن عبدِالله، ووجداه مُغمىً عليه»[1]، وفي مثلِ هذه الزيارةِ جبرٌ لخاطرِ أهلِه مع ما يُرجىٰ من إجابةِ الدعاءِ.

مَرِضَ يحي بنُ خالد فكان إسماعيلُ بن صُبَيْح الكاتبُ إذا دخلَ عليه يعودُه ـ وهو مغمىً عليه ـ وقفَ عند رأسِه ودعا له ثم يخرجُ؛ فيسألُ مرافقَه عن منامِه وشرابِه وطعامِه، فلما أفاقَ يحيىٰ، قال: ما عادني في مرضي إلا إسماعيلُ بنُ صُبيحِ.

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (٣/ ١٩٢).

ومما يُنَبَّه إليه في هذا المقامِ ـ أيها الإخوةُ ـ أن بعضَ الناس يُثْقِلون على أنفسِهم؛ فيحملون إلى المريضِ هدايا وغيرَها، وقد يحملون أموراً من عادات غير أهل الإسلامِ، وهذا ليس من آداب الزيارةِ في شيءٍ، بل هو تكلُّفٌ ظاهرٌ، ومجاملاتٌ ثقيلةٌ، وتقليدٌ أعمىٰ، وهو قد يدفعُ من لا قدرةَ لهم إلى التقاعسِ عن الزيارةِ الشرعيةِ التي أمرَ الله بها ورسولُه.

وحاجةُ المريضِ إلى الدعاءِ، والكلماتِ الطيبةِ، والملاحظاتِ الرقيقةِ أولىٰ من هذه المحمولاتِ.

أما ما كان صدقةً لفقيرٍ، أو مساعدةً لمحتاجٍ، فهذا له شأنٌ آخر لا ينبغي أن يكون مربوطاً بالزيارة أو شرطاً فيها.

فاتقوا اللهَ؛ يرحمكُمُ اللهُ؛ والتزموا بهدي نبيِّكم محمدٍ ﷺ فهو أقومَ هديٍ وأسلمُ نهجٍ.

# طيب الكسب والمكسب

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ، تعاظَم ملكوتُه فاقتدرَ، وتعالىٰ جبروتُه فقَهر، رفعَ وخفضَ وأعزَّ ونصرَ، وهو العليمُ بما بطنَ وما ظهرَ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، أحلَّ الحلالَ وبين طريقَه، وبالطيباتِ أمرَ، وحرَّم الحرامَ، وأوضحَ سبيلَه، وعن الخبائثِ زجر، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدأن محمداً عبدُه ورسولُه المؤيدُ بالمعجزاتِ والآياتِ والسورِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه السادةِ الغررِ ما اتصلت عينٌ بنظرٍ، وأذنٌ بخبرٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما ليلٌ أدبرَ، وصبحٌ أسفرَ.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها الناسُ، اتقوه في أنفسِكم وأهليكم، اتقوه في أعمالِكم وأموالِكم، اتقوه فيما تأكلونَ وما تدخرون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ [البقرة: ١٦٨].

عبادَ الله، كسبُ الرزقِ وطلبُ العيشِ شيءٌ مأمورٌ به شرعاً، مندفعةٌ إليه النفوسُ طبعاً، فاللهُ قد جعلَ النهارَ معاشاً، وجعل للناسِ فيه سبحاً طويلاً. أمرهم بالمشي في مناكبِ الأرضِ ليأكلوا

من رزقِه. وقرَن في كتابه بين المجاهدين في سبيلِه والذين يضربون في الأرضِ يبتغون من فضلِه، ﴿يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ﴾ [المزمل: ٢٠]. وأخبرَ عليه الصلاةُ والسلام أنهُ «**ما أكلَ أحدٌ طعاماً قطُّ** خيراً من **أن يأكلَ من عملِ يدِه، وإن نبيَّ الله داودَ عليه السلام كان يأكلُ من عملِ يدِه**»[1]. رواه البخاري، ولقد قالَ بعضُ السلفِ: إن من الذنوبِ ذُنوباً لا يكفرُها إلا الهمُّ في طلبِ المعيشةِ. وفي أخبارِ عيسى عليه السلام أنه رأى رجلاً فقال: ما تصنعُ؟ قال: أتعبدُ. قال: ومن يعولُك؟ قال: أخي. قال: وأين أخوك؟ قال: في مزرعةٍ. قال: أخوك أعبدُ للهِ منك.

وعندنا ـ أهلَ الإسلام ـ: ليست العبادةُ أن تَصُفَّ قدميك، وغيرُك يسعىٰ في قُوتِك؛ ولكن ابدأْ برغيفَيْك فأحرزْهما ثم تعبَّدْ.

والاستغناءُ عن الناسِ أيها الإخوةُ ـ بالكسب الحلالِ ـ شرفٌ عالٍ وعِزٌّ منيفٌ. حتى قال الخليفةُ المحدَّثُ عمرُ بنُ الخطابِ رضي اللهُ عنه: ما من موضِعٍ يأتيني الموتُ فيه أحبُّ إليّ من موطنٍ أتسوقُ فيه لأهلي؛ أبيعُ وأشتري. ومن مأثورِ حِكَمِ لقمانَ: يا بُنيَّ، استغنِ بالكسبِ الحلالِ عن الفقرِ، فإنه ما افتقرَ أحدٌ قطُّ إلا أصابه ثلاثُ خصالٍ: رقةٌ في دينِه، وضعفٌ في عقلِه، وذهابُ مروءَتِه.

إن في طيبِ المكاسبِ وصلاحِ الأموالِ سلامةَ الدينِ، وصونَ العرضِ، وجمالَ الوجهِ، ومقامَ العزِّ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٣٥٥ ـ ح٢٠٧٢).

ومن المعلوم ـ أيها الأحبةُ ـ أن المقصودَ من كلِّ ذلك الكسبُ الطيبُ، فاللهُ طيبٌ لا يقبلُ إلا طيباً، وقد أمرَ اللهُ به المؤمنين كما أمرَ به المرسلين؛ فقال عزَّ من قائلٍ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال عزَّ شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ومن أعظم ثمارِ الإيمان طيبُ القلبِ، ونزاهةُ اليدِ، وسلامةُ اللسانِ. والطَيبون للطيباتِ، والطيباتِ للطيبين. ومن أسمى غاياتِ رسالةِ محمدٍ ﷺ أنه يُحلُّ الطيباتِ، ويحرِّمُ الخبائثَ.

وفي القيامةِ يكونُ حسنُ العاقبةِ للطيبين ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [النحل: ٣٢].

عن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**من أكلَ طيباً وعملَ في سُنَّةٍ، وأمِنَ الناسُ بوائقَه دخلَ الجنة**»[1]. وأخرج أحمدُ وغيرُه بأسانيد حسنةٍ عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «**أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظُ أمانةٍ، وصدقُ حديثٍ، وحسنُ خليقةٍ، وعفةٌ في طُعْمةٍ**»[2].

إن طلبَ الحلالِ وتحريَهُ أمرٌ واجبٌ وحتمٌ لازمٌ، فلن تزولَ

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٧ ـ ح٢٥٢٠) وقال: حديث غريب وفي بعض النسخ حسن صحيح غريب، والحاكم (٤/ ١٠٤) وصححه ووافقه الذهبي.
(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٧٧)، والحاكم (٤/ ٣١٤) وسكت عنه وتابعه الذهبي.

قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن مالِه من أينَ اكتسبَه وفيم أنفقَه. إن حقاً على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ أن يتحرىٰ الطيِّبَ من الكسبِ، والنزيهَ من العملِ؛ ليأكلَ حلالاً وينفقَ في حلالٍ. انظروا ـ رحمكم اللهُ ـ «إلى أبي بكرٍ الصديقِ رضي الله عنه يجيئُه غلامُه بشيءٍ فيأكلُه فيقولُ الغلامُ: أتدري ما هو؟ تكهنتُ في الجاهليةِ لإنسانٍ وما أُحْسِنُ الكهانةَ؛ ولكني خدعتُه، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ. فأدخلَ أبوبكرٍ يدَه في فمهِ فقاءَ كلَّ شيءٍ في بطنِه، وفي روايةٍ أنه قال: لو لم تخرجْ إلا مع نفسي لأخرجتُها. اللهم إني أعتذرُ إليك مما حملتْ العروقُ وخالطَ الأمعاءَ»[1]. وشربَ عمرُ لبنا فأعجبَه، فقال للذي سقاه: من أينَ لك هذا؟ قال: مررتُ بإبلِ الصدقةِ وهُم على ماء، فأخذتُ من ألبانِها، فأدخلَ عمرُ يدَه فاستقاءَ. وتوصي بعضُ الصالحاتِ زوجَها وتقولُ: يا هذا اتقِ اللهِ في رزقِنا فإننا نصبرُ على الجوعِ، ولا نصبرُ على النارِ.

أولئك هم الصالحون يُخرجونَ الحرامَ والمشتبَه من أجوافِهم، وقد دخل عليهم من غيرِ علمِهم. وخَلَفتْ من بعدهم خلوفٌ يعمدَون إلى الحرامِ ليملئوا به بطونَهم وبطونَ أهليهم.

أيها المسلمون: أرأيتمُ الرجلَ الذي ذكرَه النبيُّ ﷺ «**يطيلُ السفرَ أشعثَ أغبرَ يمدُّ يديه إلى السماءِ؛ يا ربُّ يا ربُّ، ومطعمُه حرامٌ، وملبسُه حرامٌ، وغُذيَ بالحرامِ، فأنَّىٰ يستجابُ لذلك**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ١٨٣ ـ ح٣٨٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٧٠٣ ـ ح١٠١٥).

لقد استجمعَ هذا الرجلُ من صفاتِ الذلِّ والمسكنةِ والحاجةِ والفاقةِ ما يدعو إلى رثاءِ حالِه، ويؤكدُ شدةَ افتقارِه، تقطَّعتْ به السبلُ، وطالَ عليه المسيرُ، وتغربتْ به الديارُ، وتربت يدَاه، واشْعَثَّ رأسُه، واغبَّرت قدماه، ولكنه قد قَطع صلتَه بربِّه، وحرَمَ نفسَه من مددَ مولاه، فحيل بين دعائِه والقبولِ. أكلَ من حرامٍ، واكتسىٰ من حرامٍ، ونبتَ لحمُه في حرامٍ، فرُدَّتْ يداه خائبتين.

بربِّكم ماذا يبقى للعبد إذا انقطعتْ صلتُه بربِّه، وحُجِب دعاؤُه، وحيل بينه وبين الرحمةِ؟ لمثلِ هذا قال بعضُ السلفِ: لو قُمتَ في العبادةِ قيامَ الساريةِ ما نفعكَ حتى تنظرَ ما يدخلُ بطنك.

وإن العجبَ كلَّ العجبِ - أيها الإخوةُ - ممن يحتمي من الحلالِ مخافةَ المرضِ ولا يحتمي من الحرامِ مخافةَ النارِ.

عبادَ اللهِ، إن أكلَ الحرامِ يُعمي البصيرةَ، ويُوهنُ الدِّينَ، ويُقَسِّي القلبَ، ويُظلم الفكرَ، ويُقْعِدُ الجوارحَ عن الطاعاتِ، ويُوقعُ في حبائلِ الدنيا وغوائلِها، ويَحجبُ الدعاءَ، ولا يتقبلُ اللهُ إلا من المتقين.

إن للمكاسبِ المحرمةِ آثاراً سيئةً على الفردِ والجماعةِ؛ تُنزعُ البركاتُ، وتفشو العاهاتُ، وتَحُلُّ الكوارثُ. أزماتٌ ماليةٌ مستحكمةٌ، وبطالةٌ متفشيةٌ، وتظالمٌ وشحناءُ.

أيها المسلمون: ويلٌ للذين يتغذَّونَ بالحرامِ، ويُربُّونَ أولادَهم وأهليهم على الحرامِ، إنهم كشاربِ ماءِ البحرِ كلَّما ازدادوا شُرباً ازدادوا عَطشاً، شاربون شرَب الهيمِ، لايقنعون بقليلٍ،

ولا يغنيهم كثيرٌ. يستمرئون الحرامَ، ويسلكون المسالكَ المعوجةَ؛ رِباً وقمارٌ، وغضبٌ وسرقةٌ، تطفيفٌ في الكيلِ والوزنِ والذرعِ، كتمٌ للعيوبِ، سحرٌ وتنجيمٌ وشعوذةٌ، أكلٌ لأموالِ اليتامى والقاصرين، أيمانٌ فاجرةٌ، لهو وملاهٍ، مكرٌ وخديعةٌ، زورٌ وخيانةٌ، مسالكُ معوجةٌ، وطرقٌ مظلمةٌ، في الحديث الصحيح عند البخاريِّ والنسائي: **«يأتي على الناس زمانٌ لا يُبالي المرءُ مَا أخذَ منه، أمِنَ الحلالِ أم من الحرامِ»**[1] . زاد رزينٌ: **«فإذ ذلك لا تجابُ لهم دعوةٌ»**.

أيها العمالُ والموظفون، أيها التجارُ والصناعُ، أيها السماسرةُ والمقاولون أيها المسلمون والمسلماتُ، حقٌ عليكم تحري الحلالِ والبعدُ عن المشتبِه، احفظوا حقوقَ الناس، أنجزوا أعمالَهم، أوفوا بالعقودِ والعهودِ، اجتنبوا الغشَّ والتدليسَ، والمماطلةَ والتأخيرَ، اتقوا اللهَ جميعاً، فالحلالُ هنيءٌ مريءٌ، ينيرُ القلوبَ، وتنشطُ به الجوارحُ، وتصلحُ به الأحوالُ، وتصحُّ به الأجسامُ، ويستجابُ معه الدعاءَ. اللهم أغنِنا بحلالِك عن حرامِك، وبطاعتِك عن معصيتِك، وبفضلِك عمن سواك، اللهم ولا تجعلْ الدنيا أكبرَ همِّنا، ولا مبلغَ علمِنا، ولا إلى النار مصيرَنا، ونسألُك اللهم الغنيمةَ من كلِّ برٍّ، والسلامةَ من كلِّ إثم، وبارك لنا فيما رزقتنا، وقنا عذابَ النار، استجبْ اللهم يا ربَّنا دعاءَنا.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/٣٤٧ ـ ح٢٠٥٩)، والنسائي في الكبرى (٤/٣ ـ ح٦٠٤١).

# طيب الكسب والمكسب

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركا فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، أحلَّ لنا الطيباتِ، وحرمَّ علينا الخبائثَ، وجعلنا على المحجةِ البيضاءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياء، وأصحابه الأوفياء، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ المسلمون: خيرُ سبيلٍ للبعدِ عن المحرمِ تركُ المشتبه، وسلوكُ مسالكِ الورعِ عند الترددِ، وفي الحديثَ: «**لا يبلغُ العبدُ أن يكون من المتقينَ حتى يدعَ ما لا بأسَ به حذراً مما به البأسُ**»[1]. رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديثٌ حسنٌ غريب، «**فمن اتقى الشبهاتِ استبرأ لدينه وعرضِه، ومن وقعَ في الشبهاتِ وقعَ في الحرامِ**»[2]. جزءٌ من حديثٍ رواه البخاريُّ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٤٧ ـ ح٢٤٥١) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٩ ـ ح٤٢١٥)، والبيهقي (٥/ ٣٣٥)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٦٨، ١٦٩ ـ ح٤٤٦)، والحاكم (٤/ ٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري(١/ ١٥٣ ـ ح٥٢)، ومسلم(٣/ ١٢١٩، ١٢٢٠ـ ح١٥٩٩).

ومسلمٌ واللفظُ له من حديثِ النعمانِ بن بشيرٍ. ولقد قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: ما زالتْ التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلالِ مخافةَ الحرام. وقال أبوالدرداءِ رضي الله عنه: تمامُ التقوى أن يتقيَ العبدُ ربَّه؛ حتى يتقيَه من مثقالِ ذرةٍ، وحتى يتركَ بعضَ ما يرى أنه حلالٌ خشيةَ أن يكون حراماً؛ حجاباً بينه وبين الحرامِ. ولتعلموا رحمكم اللهُ أن المشتبهاتِ يحصلُ للقلوبِ عندها القلقُ والاضطربُ الموجبُ للشكِّ، والوَرِعُ هو الوقَّافُ عند المشتبهاتِ يدعُ ما يَرْيبُه إلى ما لا يَرْيبُه.

فاتقوا الله، رحِمكم الله، وأطيبوا مطاعمَكم ومشاربَكم، واتقوا اللهَ في أنفسِكم وأهليكم، اتقوا ناراً وقودُها الناسُ والحجارةُ، عليها ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ، لايعصون اللهَ ما أمرَهم، ويفعلون ما يؤمرون.

# في التربية والتعليم

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله. بعثه بالحقِّ والهدىٰ، بعثه في الأميين، يتلو عليهم آياتِه ويزكيهم ويعلمُهم الكتابَ والحكمةَ، وقد كانوا قبله في ضلالٍ وعمى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الذين حازوا ميراثَ الأنبياءِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون؛ إن هذه الأمةَ، أمةَ محمد ﷺ خيرُ أمةٍ أخرجتْ للناس. الصدارةُ منزلتُها، والقيادةُ مرتبتُها ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]. إنها مصدرُ الأصالةُ، ومنبرُ التوجيهُ، ومنارُ التأثير، هكذا أرادَ اللهُ لها إن هي استقامتْ على النهج، وقامتْ بالحق: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أمةٌ رفعَ الله من شأنِها، ليس لها أن تنحدرَ إلى مستوى التقليدِ

والتبعيةِ، تقبعُ في مؤخرةِ القافلةِ يصيحُ بها كلُّ ناعقٍ.

إن أهل الإسلام ـ أيها الإخوةُ ـ هم معقِلُ الحقِّ، ومأزِرُ الإيمانِ. رسالتُّم عالميةٌ، أكرمهم اللهُ بها، وحمَّلَهم أمانةَ المحافظةِ عليها، وتبليغِهافي كلِّ عصر، وفي كلِّ مصر.

وبنظرةٍ فاحصةٍ في واقعِ الأمةِ في ناشئتِها وأبنائِها، يتبين أن الأمةَ ـ أيَّ أمةٍ ـ إنما تبقىٰ محافظةً على كيانِها، مدركةً لمسئولياتِها ثابتةً في موقِعها، حين يُربىٰ صغارُها ليكونوا ورثةً صالحين للإسلام، أمناءَ على الميراثِ، يُصاغون في قوالبِ عقائدِ الأمةِ، ومناهجِ حياتِها، عليها تتربىٰ، ومن أجلِها تكافحُ، ومن ثم تنقلُها صافيةً إلى الأجيالِ المتعاقبةِ.

ومن هنا أمةَ الإسلامِ، فإن التربيةَ لباسٌ ودثارٌ يفصَّلُ على قامةِ الشعوبِ، منبثقاً من عقائدِها، منسجماً مع أهدافِها وآدابِها.

تُصبغُ العلومُ بصبغةِ الإيمانِ، وتؤخذُ العقولُ بميزان الدنيا والآخرةِ، توضعُ الأشياءُ في مواضعِها، يُفرَّقُ بين الوسائلِ والغاياتِ.

إن مناهجَ التربيةِ وطرائقَ العلوم، يجبُ أن تكونَ قائدةً إلى الإيمانِ، قاصدةً إصلاحَ الأنفسِ، وتهذيبَ الأخلاقِ.

إن مظاهرَ القوةِ الماديةِ وحدَها لا تغنى شيئاً، إذا تداخلتْ في العقولِ الثقافاتُ المتناقضةُ، والعلومُ المتنافرةُ، فتفرَّقتْ بطلابِها السبلُ، وتنازعتها التياراتُ والأهواءُ.

ليسَ مقياسُ النجاحِ مجردَ معرفةِ القراءةِ والكتابةِ، وليس دليلُ التفوقِ كثرةَ دورِ العلمِ وأفواجِ الخريجين.

إن كثيراً من البلادِ الإسلامية في عصورِها المتأخرةِ خَسرتْ أكثرَ مما ربحتْ، حين ظنتْ أن مبادىءَ التربيةِ وأصولَ التعليم تُستوردُ كما تستوردُ البضائعُ والصنائعُ، وضلَّتْ حين ظنتْ أنهَا تقايضْ في معاملاتٍ تجاريةٍ؛ لتكسبَ علماً أو تمحوَ أميةً.

وإن أخطاءَ كبرىٰ تولَّدتْ في بلدانِ الشرقِ حين مجَّدَتْ التعليمَ، لمجردِ التعليم، حين مجَّدَتْهُ مقطوعاً عن غاياته وأهدافِه، ومصادرِه، لقد ظهر مسخٌ وتشويهٌ للثقافةِ والتربية والتعليم. إنها أخطاءٌ جعلتْ كثرةً كاثرةً يغُضُّون النظرَ عن واقعٍ أليم، وصورةٍ منكرةٍ، وعيوبٍ فاضحةٍ في بعضِ الطبقاتِ المثقفةِ المتعلمةِ انقلبتْ عندهم الموازينُ، فعظَّموا المتعلمَ المنحرفَ ذا الاتجاهاتِ المريبةِ، وقدَّموه على الكريمِ المستقيمِ، ولو قلَّ نصيبُه من التعليمِ.

امتدحوا عصراً كَثُرَ فيه المتعلمون، وعَمُوا عما انتشرَ معه من الشكِّ في المبادىءِ الصحيحةِ، والحقائقِ الواضحةِ، والبدهياتِ الجليةِ، وما سادفيه من التفسخِ الخلقِي، وفقدانِ الحميةِ الدينيةِ، بُنَيتْ فيه الشاهقاتُ من المباني على أنقاضِ الأخلاقِ والفضيلةِ، استبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير.

عَجزوا أن يميزوا بين هذا وبين عصور سابقةٍ، توافرتْ فيها الفضائلُ، وسمتْ فيها الأخلاقُ، وتواصلتْ فيها الأرحامُ، في استقرارٍ نفسيٍّ، وطمأنينةٍ قلبيةٍ على قلةِ المتعلمينِ وندرةِ المثقفين. ورحم اللهُ مسروقاً حين قال: «بَحسْبِ امرىءٍ من العلمِ أن يخشىٰ اللهَ وبَحسْب امرىءٍ من الجهلِ أن يُعجبَ بعلمهِ».

أيها الإخوةُ، لم يكن هذا الانقلابُ في المفاهيمِ، والاختلالُ في الموازين، لولا خضوعُ كثيرٍ من المجتمعاتِ المعاصرةِ للبريقِ الخدَّاع الذي رفعَ من شأن التعليم وشهاداته، لمجردِ أنها شهاداتٌ، أو لأن صاحبَها تلقاها من هنا، أو نالها من هناك.

أيها المسلمون، لا فائدةَ في علمٍ لم يُكسَ بخُلُقٍ، ولا جدوىٰ من تربيةٍ لا تُثْمرُ عملاً صالحاً، لا خيرَ في معارفَ تورثُ بلبلاتٍ فكريةٍ، ولا نفعَ في ثقافاتٍ تشككُ في الصحيح من المعتقداتِ.. تستخفُّ بالدين، ومستوثقاتِ التاريخِ، ويجاهرُ أصحابُها بالتطاولِ على عظماءِ الأمةِ، والنيلِ من سلفِها الصالح. كيف يكونُ مستقبلُ أمةٍ تنبتُ فيها مثلُ هذه النوابتِ، ويرضَع أبناؤُها من هذا الكدرِ؟!.

ومن هنا كان لزاماً ـ أيها الإخوةُ، أيها المربون ـ النظرُ الجادُّ في واقعِ التربيةِ ومناهجِها، فلا تُرسمُ خطوةٌ، ولا يوضعُ منهجٌ، إلا مع الإدراكِ الجازمِ أن هذه الأمةَ، وهذا النشءَ هم غرسُ المصطفى محمدٍ ﷺ وثمرةُ دعوتِه وجهادِه، وأحفادُ أصحابه المؤمنين، رضوانُ اللهِ عليهم أجمعين. تنسجمُ المناهجُ في كلِّ هذا وتعيش في ظلِّه؛ لتبقىٰ محصنةً بدينِها، متماسكةً بقوتِه، مرتبطةً بحبلِه، بعيدةً عن كلِّ فوضىٰ فكريةٍ أو صراعاتٍ مذهبيةٍ، تُنقَّىٰ من عواملِ الفسادِ، وأسبابِ الزيغِ والإلحادِ، واتجاهاتِ الزندقةِ والتحللِ.

من لم تطبْ نفسُه بهذا الدينِ، ولم ينشرحْ صدرُه لنبوةِ محمدٍ ﷺ وإمامتِه، وآمن بفلسفاتٍ أجنبيةٍ منحرفةٍ؛ فليس له محلٌ بين

المسلمين، ولا يحلُّ أن تتاحَ له الفُرصُ، أو تهيأَ له الوسائلُ لتوجيهِ العقولِ، وتربيةِ النفوسِ، ولا يجوزُ أن تُقدَم له فلذاتُ الأكبادِ؛ ليُفسدَ فطِرَها، ويعبثَ بعقولِها، ويسلَخها من عقيدتِها.

إن المدارسَ ودُورَ التعليم في كافةِ مستوياتِها هي محاضنُ الجيلِ، وهي الحصنُ الحصينُ تكمُنُ فيها حمايةُ الأمةِ، والحفاظُ على أصالتِها وبقائِها ونقائِها.

إن هذه الدُّورَ تحوي أثمنَ ما تملكُه الأمةُ، تحتضنُ الثروةَ البشريةَ، رجالَ الغدِ وجيلَ المستقبلِ، ثروةٌ تتضاءلُ أمامَها كنوزُ الأرضِ جميعُها.

وشرُّ ما يطرأُ على هذه المعاقلِ والحصونِ أن تُؤتىٰ من قِبلِ من وُكِلَ إليهم رعايتُها وصيانتُها، وتكونُ الخيانةُ العُظمىٰ حين يفتحونَ الأبوابَ الخلفيةَ وغيرَ الخلفيةَ؛ ليتسلَّلَ المتلصصون ليلاً أو نهاراً في غفلةٍ من الحماةِ الصادقين؛ فتقعَ الواقعةُ وتحُلَّ الكارثةُ.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، اتقوا اللهَ يا رجالَ التربيةِ، واعلموا أنه إذا حُفِظتْ العقولُ والأخلاقُ، وأحيطتْ التربيةُ بسياجِ الدينِ المتينِ، ورُبطتْ برباطِ العقيدةِ الوثيقِ؛ فلسوفَ تصحُّ المناهجَ، وينفعُ التعليمُ، وتثبتُ الأصالةُ، ويتضحُ السبيلُ، وترتفعُ الرايةُ ويحصلُ التمكينُ. واللهُ غالبٌ على أمرِه ولكنَّ أكثرَ الناس لا يعلمون.

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، وهدانا صراطَهُ المستقيم، وجنبنا طريقَ أصحابِ الجحيمِ.

وأقولُ قولي هذا، وأستغفرُ اللهَ لي ولكم من كلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

# في التربية والتعليم

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على إحسانه، والشكرُ له توفيقِه وعظيمِ امتنانِه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، الداعي إلى رضوانه، صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، يظنُّ بعضُ الناسِ أن قوةَ الأمم تكمنُ فيما لديها من آلاتِ القتالِ وعُدَده، أو فيمَا لديها من القدرةِ على تصنيعِه. وحقيقةُ الأمرِ إن ذلك لا يكونُ إلا إذا وُجدَ من وراءِ ذلك نهجٌ قويمٌ وخلقٌ متينٌ، يَجْمعُ أهلَه، ويشدُّ بعضَهم إلى بعضٍ، ويمنعُ عناصرَ الفسادِ وأسبابَ الفُرقةِ والخلاف من أن تتسربَ إلى الصفوفِ. وخيرُ جامعٍ وأعلى مصدرٍ للخُلُق هو دينُ اللهِ الذي يجمعُ على التوادِّ والتراحمِ. يكبحُ جماحَ الشحِّ في النفوسِ وترتفعُ به الهممُ.

إنه الدينُ الذي يوحِّدُ العاداتِ والأمزجَةَ، فيجتمعُ الناسُ فيما يحبون وفيما يكرهون وفيما يألفون وفيما يعافون، فيما يستحسنون وفيما ينفرون، على ألوانٍ من غذاءِ الأبدانِ والقلوبِ.

فاتقوا اللهَ أيها الإخوةِ في الله. وعُوا مسئولياتِكم؛ فإن فلاحَ الأمةِ في صلاحِ أعمالِها. وصلاحَ أعمالِها في صحةِ علومِها. والتربيةُ الصحيحةُ الجاريةُ على السننِ المستقيمةِ تنتجُ رجالاً أمناءَ أوفياءَ ذوي نصحٍ وإخاءٍ.

# الأمانة والمسئولية

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، يغفرُ لنا الكثيرُ من الزللِ، ويرضىٰ منا باليسيرِ من العملِ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بلَّغ الرسالةَ، وأدىٰ الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلي يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ حقَّ تقاته.. اتقوه وقولوا قولاً سديداً؛ يصلحْ لكم أعمالَكم، ويغفرْ لكم ذنوبَكم.

أيها الإخوةُ: أَجَلُّ ما يقومُ به الإنسان في هذه الحياةِ، وتظهرُ به ديانتُه، ويتأكدُ به إيمانُه، وتتجلىٰ فيه قوتُه وعبقريتُه.. حفظُ الأمانةِ، والقيامُ بالمسئوليةِ.

إن الأمانةَ شيءٌ عظيمٌ تصانُ بها حقوقُ اللهِ وحقوقُ الناسِ، وتُحفظُ بها الأعمالُ من التفريطِ والإهمالِ.

إنها ميزةٌ فريدةٌ... يتميزُ بها الإنسانُ الفاضلُ... والمرءُ

النبيـلُ، وعلـى قـدرِ منـازلِ النـاسِ وكفـاءاتِهـم تُـرىٰ همُمهـم ومهماتُهم.

يؤكدُ ذلك ويبرهنُ عليه ـ معاشرَ الأحبةِ ـ أنبياءُ اللهِ ورسلُه المكلَّفون بالبلاغِ، فهم الأعظمُ مسئوليةً، والأشدُ بلاءً، فيوسفُ ـ عليه السلام ـ من بعدِ ظروفِ السجنِ والتشريدِ.. يؤتمنُ على خزائنِ الأرضِ؛ لأنه حفيظٌ عليمٌ.

وأما موسى عليه السلام؛ ولما يُريدُه اللهُ به من كرامتِه؛ فيُبْتَلى ويخرجُ خائفاً يترقبُ.. فإذا بإبنةِ الرجلِ الصالح تقول لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وأما نبيُّكم محمدٌ ﷺ فما عرفَه قومَه قبلَ البعثةِ إلا بالأمينِ.

إنهم رسلُ اللهِ.. مصطَفَوْنَ من أشرفِ الناسِ طباعاً، وأزكاهم معدِناً، وهذه النفوسُ النبويةُ الكريمةُ تظلُّ معتصمةً بالفضيلةِ والأمانةِ.. على شدةِ فقرِها، وعِظَمِ بلائِها، ووحشةِ غربتِها. إنهم أهلُ المسئوليةِ وأهلُ الأمانةِ في المحافظةِ على حقوقِ عبادِ اللهِ. إنهم أُولو الأخلاقِ الساميةِ التي لا تتغيرُ باختلافِ الأيامِ، ولا تتبدلُ بتقلبِ الظروفِ، ولا تتحولُ مع تغيرِ الأحوالِ.

أيها الإخوةُ، هذا هو جوهرُ الأمانةِ الثابتُ في النعماءِ والبأساءِ والشدةِ والرخاءِ.

إنهـا فضيلـةٌ عظمـىٰ، ومسئـوليـةٌ كبرىٰ.. لا يستطيـعُ حملَهـا المهازيلُ، ولا يقوى عليها الظلومُ الجهولُ.. لا يقوىٰ عليها من يزنُ النـاسَ بشهـواتِهـم ودنيـاهـم ودنـايـاهـم غيرَ مكترثٍ بإيمـانٍ وكفرٍ، ولا بصلاحٍ وفسقٍ، أو إخلاصٍ ونفاقٍ. إنها حِملٌ ثقيلٌ

عَجَزَتْ عنه السمواتُ والأرضُ والجبالُ. وحملها الإنسانُ إنه كان ظلوماً جهولاً ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

وما غلبَ الظلمُ والجهلُ إلا أهلَ النفاقِ والشركِ، وعصم اللهُ أهلَ الحقِّ والإيمانِ، لينهضوا بالأمانةِ على نورٍ من اللهِ.. واستضاءةٍ بهديه في طاعةٍ كاملةٍ، لا تقعدُ بهم المثبطاتُ، ولا تُضلُّهم مغرياتُ الشهواتِ، وهم بهذا يَرْقَوْن إلى مقامٍ كبيرٍ يفوقُ الأرضَ والجبالَ والسمواتِ. بُرءاءُ من النفاقِ والشركِ، والخيانةِ والظلمِ.

أيها المسلمون: لئن كانتْ الأمانةُ عظيمةً في قدرِها؛ فإنها واسعةٌ في دلالاتِها، تشملُ كلَّ ما يوكلُ للمرءِ من عملٍ ويكلَّفُ به من أمرٍ. إنها داخلةٌ في علاقةِ المرءِ بربِّه، وعلاقتِه بنفسِه، وعلاقتِه بالناسِ أجمعين.

إنها قيامٌ بالمسئوليةِ في جميعِ وجوهِها على حدِّ قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: «**كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه، الإمامُ راعٍ ومسئولٌ عن رعيتِه، والرجلُ راعٍ في أهلِه وهو مسئولٌ عن رعيتِه، والمرأةُ راعيةٌ في بيتِ زوجِها ومسئولةٌ عن رعيتِها، والخادمُ راعٍ في مالِ سيدِه ومسئولٌ عن رعيتِه**»[1].

إنها داخلةٌ في كلِّ حقٍّ، وممتدةٌ في كل مِرْفَقٍ، في الراعي والرعيةِ، والإدارةِ والسياسةِ، والتربيةِ والتعليمِ، والتجارةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٤٤١ ـ ح٨٩٣) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٤٥٩ ـ ح١٨٢٩).

والصناعةِ.. في شئونِ الحياةِ كلِّها ديناً ودنيا.

فمن الأمانةِ حفظُ العبدِ جوارَحه وحواسَّه، ومعرفتُه نعمَ اللهِ عليه في نفسِه وأهلِه ومالِه. ومن أداءِ هذه الأمانةِ ألا يختارَ لنفسه إلا الأنفعَ والأصلحَ في الدينِ وشئونِ الدنيا، ومن الخيانةِ أن يستسلمَ لشهواتِه، ويخضعَ لكلِّ رغباتِه، ويقصِّرَ في شئونِ آخرتِه.

وأحوالُ البيتِ وأمورِ الأسرةِ.. أماناتٌ محفوظةٌ، وحرماتٌ مصونةٌ، يجبُ أن تُحفظَ بسترِ اللهِ، فلا يتطاولُ سفيهٌ أو صفيقٌ ليبسطَ لسانَه في عوراتِ البيوتِ، وكأنَّه لا يعي التوجيَه النبويَّ الكريمَ: «**إن من أعظمَ الأمانةِ عندَ اللهِ يومَ القيامةِ الرجلَ يفضي إلى امرأتِه وتفضي إليه ثم ينشرُ سِرَّها**»[1].

والمرأةُ إذا حفظتْ نفسَها، وبرَّتْ زوجَها، وأدتْ حقَّ ربِّها؛ لم يكنْ بينها وبين الجنةِ إلا الأجلُ.

وحقوقُ الجلساءِ والأصدقاءِ أماناتٌ، ومن الخيانةِ أن تُفشىٰ أسرارُها وتعلنَ أخبارُها، فكم حبالٍ قُطِّعتْ ومصالحَ تعطَّلتْ... لاستهانةِ بعضِ الناس بأمانةِ المجلس. والودائعُ التي يودُعها الناسُ بعضُهم بعضاً ليحفظوها ويردُّوها عند طلبِها أماناتٌ من أعظمِ الأماناتِ، وقد ردَّ نبيُّكم محمدٌ ﷺ ودائع المشركين عندما أرادَ الهجرةَ مع أن أصحابها كفارٌ.. ألحقوا به الأذى، وأرادوا طردَه من ديارِه وأهلِه، ولكن الشريفَ الأمينَ لا ينحدرُ في منحدراتِ الصغارِ المحقورين.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٦١ ـ ح١٤٣٧).

وعلماءُ الشريعةُ وحراسُ الملةِ مؤتمنون في علمهم وتعليمهم وتوجيههم، تعليماً وتوجيهاً يَعصِم عن مخالفةِ أمرِ الله، يُبيِّنُون للناس كلَّ ما لا يسعُهم جهلُه من أمورِ العقائدِ والفرائضِ وأحكام الحلالِ والحرام، وقضايا الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ في أسهلِ المسالكِ، وأحكمِ الوسائلِ. لا يكتمون العلمَ، ولا يحجُبون النصيحةَ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وويلٌ لهم إن خانوا أو كتموا، وويلٌ لهم إن داهنوا وكذبوا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة: ١٥٩ ـ ١٦٠].

وعلى القضاةِ تقوىٰ اللهِ والتسويةُ بين الخصومِ، والبتُّ في الحكمِ بعد تبيُّنه، والبعدُ عن مواقعِ الرِّيَبِ، ومن بعدِهم فليتق اللهَ المحامون والوكلاءُ، والنظراءُ والأوصياءُ.

أما ولاةُ أمور المسلمين فحقٌّ عليهم تفقد أحوالِ الرعيةِ، والحكمُ في الناس بالسويةِ، وأخذهُم بكتابِ اللهِ والسنةِ المحمديةِ، قوامين للهِ بالقسطِ، شهداءَ له بالحقِّ، يعمرون البلادَ ويحفظون الدينَ، وينشرون النافعَ من العلم، ويعتنون بجميعِ المرافقِ، ويتقون اللهَ في الولاياتِ، ولا يخافون في الحقِّ لومةَ لائم.

إن الأمانةَ دِعامةُ بقاءِ الإنسانِ، ومستقرُّ أساسِ الدولِ، وباسطُ

ظلالِ الأمنِ، ومَشيدُ أبنيةِ العزِّ.

وإذا فَقَدتْ أمةٌ من أمم الأرضِ الأمانةَ.. فلن تجدَ إلا آفاتٍ جائحةً، ورزايا قاتلةً، وبلايا مهلكةً، وفقراً مُعْوزاً، وذلاً معجزاً، ثم لا تلبثُ أن تبتلَعها بلاليعُ العدمِ، وتلتهمُها أمهاتُ الهيَم. وإذا ضُيعت الأمانةُ، ووسِّد الأمرُ إلى غيرِ أهلِه فانتظرْ الساعةَ. وإذا اختلتْ أمانةُ الرجالِ؛ سقطَ البناءُ، وسُلب الأمنُ، وضاعتْ حقوقُ الخلقِ، وتفتحتْ أبوابُ الفقرِ والفاقةِ، وعَميتْ على الأمةِ سبلُ النجاحِ، وحينئذ فسوفَ ينقرضون بالفسادِ أو تسلطِ أهلِ الجبروتِ.

وهل أغلقتْ البيوتُ العامرةُ، واضمحلتْ الثرواتُ الطائلةُ، وتفرقتْ الأسرُ التي كانت كريمةً.. إلا نتيجةَ الخيانةِ في المعاملاتِ السريةِ المكتومةِ، والشفاعاتِ غيرِ المشروعةِ.. التي تتلاعبُ بأقدارِ الرجالِ، وكفاءاتِ الأكفاءِ.. فيتحكمُ الكبيرُ في حقِّ الصغيرِ، ويستبدُّ القويُّ بحقِّ الضعيفِ.

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ، وأدوا الأماناتِ إلى أهلِها، ولا تخونوا اللهَ والرسولَ، وتخونوا أماناتِكم، وقد أخبرَ نبيُّكم محمدٌ ﷺ بأنه **«لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له، ولا دينَ لمن لا عهدَ له»**[1].

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [النساء: ٥٨].

---

(١) أخرجه ابن حبان انظر الاحسان(١/ ٤٢٣ ـ ح١٩٤)، وأحمد (٣/ ١٣٥)، وابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ١١ ـ ح١٠٣٦٩)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٧٥ ـ ح٣٨) وحسن اسناده.

# الأمانة والمسئولية

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه.. كما يحبّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه بالحقِّ والهدى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على هديهم واقتفى.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ - عبادَ الله -، واعلموا أن من أعظم الأماناتِ وأوجبِها القيامَ على النشءِ بحسنِ التوجيه، وصدقِ التعليم. وليعلمْ الإخوةُ الأفاضلُ من الأساتذةِ والمربين أن العلومَ يجب أن تُصبغَ بصبغةِ الإيمان، وتؤخذَ العقولُ بميزانِ الدنيا والآخرةِ.. يجبُ أن تكونَ التربيةُ قائدةً إلى الإيمانِ، قاصدةً إصلاحَ الأنفسِ، وتهذيبَ الأخلاقِ. لا فائدةَ من علمٍ لم يُكْسَ بخُلُقٍ، ولا جَدوىٰ من تربيةٍ لا تثمرُ عملاً صالحاً، لا خيرَ في معارفَ تورثُ بلبلاتٍ فكريةً، ولا نفعَ في ثقافاتٍ تشكِّكُ في الصحيحِ من المعتقداتِ.. تستخفُّ بالدينِ وحقائقِ التاريخِ.

أيها المعلمون والمربون: شرُّ ما يطرأُ على معاقلِ العلم ودور التعليمِ أن تُؤتىٰ من قِبَلِ من وُكِلَ إليهم رعايتُها وصيانتُها، وتكونُ

الخيانةُ العظمىٰ. . حين يفتحون الأبوابَ الخلفيةَ وغيرَ الخلفيةِ. . ليتسللَ المتلصصون ليلاً أو نهاراً في غَفْلةِ الحماةِ الصادقين. . فتقعُ الواقعةُ وتَحُلُّ الكارثةُ.

أما أصحابُ الأقلامِ ورجالُ الإعلام فهم المؤتمنون على الكلمةِ الصادقةِ، إنهم سفراؤُها، بهم تظهرُ الحقيقةُ إن شاءوا، وبهم تَحسُنُ الدعايةُ وتُخْدَمُ السياسةُ، وهم الألسنةُ الناطقةُ يصورون الحقائقَ كيف شاءوا.

بأقلامِهم وألسنتِهم تُهدُم عروشٌ، وتُبنىٰ، وتنهارُ شعوبٌ وتحيىٰ، وتنتشرُ الفضائلُ أو تُطْمَرُ. يَقُونَ الأمةَ ـ إذا صدَقوا ـ من سفهِ الجاهلين، وكيدِ الحاقدين، وإغراءِ العداوةِ، وكَذِبِ الدعايةِ، وإيقاظِ الفتنِ، وخداعِ العناوين. وإذا ضعُفتْ الأمانةُ فيهم، كثُرَ أهل النفاقِ والخيانةِ، فاستعانَ بهم الشيطانُ على الفتنةِ والتحريشِ. وما تعددتْ المذاهبُ الباطلةُ والسبلُ الضالةُ إلا لقلةِ الأمانةِ، ومن ثم يأتونَ بالتفسيراتِ الباهتةِ، والنظرياتِ الباطلةِ، وينسجون خرافاتٍ وخيالاتٍ يسودُونَ الصحائفَ ويَفْتنون ضعافَ العقولِ. فليتقِ اللهَ كلُّ مسئولٍ، فكلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيتِه.

# الكلم الطيب والخبيث

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله خلقَ الإنسانَ فسواهُ فعدلَه، وبزينةِ الإيمانِ ولباس التقوىٰ زيَّنَهَ وجمَّلَه، وبنعمةِ البيانِ شرَّفه وفضَّلَه، أحمده سبحانَه وأشكره على جميع ما خوَّله، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، نبيٌّ أكرمه ربُّه وبجَّلَه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، وكل من سار على نهجه واقتفى أثرَه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وكونوا مع الصادقين، اتقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً، يصلحْ لكم أعمالَكم، ويغفر لكم ذنوبَكم.

أيها الإخوةُ، اللسانُ من نعم اللهِ العظيمةِ، ولطائفِ صُنْعِهِ الغريبةِ، صغيرٌ جِرْمه[1]، عظيمٌ طَاعتُه وجُرْمه[2].

لا يستبينُ الكفرُ والإيمانُ إلا بنطقِ اللسانِ، وما من موجودٍ أو معدوم، ولا صانعٍ أو مصنوعٍ، إلا ويتناوله اللسانُ بإثباتٍ أو نفي. وكلُّ مجالاتِ العلومِ طريقُ بيانِها اللسانُ. رَحْبُ الميدانِ،

---

(١) الجِرْم: بكسر الجيم البَدَن. أي: صغير الحجم.

(٢) الجُرْم: الذنب.

واسعُ المجالِ، وهو ترجمانُ القلوبِ والأفكارِ، آلةُ البيانِ، وطريقُ الخطابِ. له في الخيرِ مجالٌ كبيرٌ، وله في الشرِّ باعٌ طويلٌ. فمن استعمله للحكمةِ والقولِ النافعِ وقضاءِ الحوائجِ، وقيَّدَه بلجامِ الشرعِ؛ فقد أقرَّ بالنعمةِ ووضعَ الشيءَ في موضعِه، وهو بالنجاةِ جديرٌ. ومن أطلقَ لسانَه وأهملَه، سلكَ به الشيطانُ كلَّ طريقٍ، ولا يكُبُّ الناسَ في النارِ على مناخرِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم.

هو الميزانُ الذي توزنُ به الرجالُ، وتُعرفُ به أقدارُها.

ما صلَح منطقُ رجلٍ إلا ظهرَ ذلك على سائرِ عملِه، ولا فسدَ منطقُ رجلٍ إلا عُرِفَ ذلك في سائرِ عملِه. حتى قالَ بعضُ السلفِ: لا تجدُ شيئاً من البرِّ يتبعُه البرُّ كلُّه غيرَ اللسانِ، فإنك تجدُ الرجلَ يصومُ النهارَ، ويفطرُ على حرامٍ، ويقومُ الليلَ ويشهدُ الزورَ بالنهارِ، ولكنك لا تجدُه لا يتكلمُ إلّا بحقٍّ فيخالفُ ذلك عملُه أبداً.

والناسُ ـ أيها الناس ـ تنظرُ إلى المتكلمِ وتربطُ بين حديثِه ومطابقتِه للواقعِ وصدقِه مع نفسِه، وإنهم ليعرفون بثاقبِ نظرِهم، ويدركون بعميقِ خبرتِهم الكاذبَ من الصادقِ، والمصلحَ من المفسدِ، والبرَّ من الفاجرِ.

ومن أجلِ هذا انقسمتْ أحاديثُ الناسِ وأخبارُهم إلى صدقٍ وكذبٍ، وطيبٍ وخبيثٍ، وحقٍّ وباطلٍ: **«عليكم بالصدقِ، فإن الصدقَ يهدي غلى البرِّ، وإن البرَّ يهدي إلى الجنةِ، وما يزالُ الرجلُ يصدقُ ويتحرىٰ الصدقَ حتى يُكتبَ عند اللهِ صدِّيقا،**

**وإياكم والكذبُ، فإن الكذبَ يهدي إلى الفجورِ، وإن الفجورَ يهدي إلى النارِ، وما يزال الرجلُ يكذبُ ويتحرى الكذبَ حتى يُكتبَ عند اللهِ كذاباً»**[1] متفقٌ عليه واللفظُ لمسلمٍ من حديثِ عبدِاللهِ بنِ مسعودٍ.

والله عز وجل يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٧].

معاشرَ الأحبةِ، إن صاحبَ الكلمةِ الخبيثةِ لا ينطقُ إلا بأقوالٍ أثيمةٍ. لسانُه لمازٌ، وبصرُه غمازٌ. حديثُ بَذاءٌ وفعلُه عدوانٌ. لا يُذكرُ عظيمٌ إلا استحقرَه، ولا يُرىٰ كريمٌ إلا نالَ من عرضِه. فلا يتعمدُ الكذبَ إلا متملقٌ منافقٌ، فهو عنوانُ سفهِ العقلِ، وسقوطِ الهمةِ، وخُبْثِ الطويةِ، وجبنِ النفسِ، حتى قال بعضُ الحكماءِ: لم يكذبْ أحدٌ قط إلا لصِغرِ قدرِ نفسِه عندَه.

ومن قلَّ إيمانُه بربِّه وخفَّ من يوم الحسابِ خوفُه، لا يبالي أن يَلْبسَ الحقَّ بالباطلِ، ويصورَ الأشياءَ على غيرِ الواقع. ويشتدُّ خبثُ الكلمةِ ويعظمُ وزرُ الكذبِ إذا اتسعَ نطاقُ ضررِهما. فالصحفيُّ الذي ينشرُ على الملأ خبراً باطلاً، والسياسيُّ الذي

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٥٢٣ ـ ح٦٠٩٤)، ومسلم (٤/٢٠١٣ ـ ح٢٦٠٧) واللفظ له.

يخدعُ الناسَ في القضايا الكبرىٰ، والمغرضُ الذي يسوقُ التهمَ في الكبراءِ، والمداحُ الذي يتخذ من المدائحِ الفارغةِ بضاعةً يتملقُ بها الأكابرُ، ويكليلُ الثناءَ للوجهاءِ، ويهرِفُ بما لا يعرفُ فيصفُ الجبانَ بالشجاعةِ، والظالمَ بالعدالةِ، والبخيلَ بالكرمِ - كلُّ أولئك يرتكبونَ جرائمَ عظيمةً، ويَجُرُّون إلى عواقبَ وخيمةً. وفي خبرِ البخاريِّ عن النبيِّ ﷺ فيما حدَّثَ به مما رآه من أنواعِ عذابِ أهلِ النارِ، فكان مما قال عليه الصلاةُ والسلام: «**أما الذي رأيتَه يُشقُّ شدقُه فكذابٌ يكذبُ الكَذْبةَ فتُحملُ عنه حتى تبلغَ الآفاقَ فيصنعُ به إلى يومِ القيامةِ**»[1].

واللهُ وحدَه المستعانُ على ألسنةٍ تصفُ، وقلوبٍ تعرفُ، وأعمالٍ تُخالفُ.

ومن لطَّخَ لسانَه برجس الكذبِ وخبيثِ الكلم؛ لابد أن تبدوَ سريرتُه وينكشفَ أمرُه، فلا يلقىٰ من الناسِ إلا الازدراءَ والمنقصةَ.

أما أهلُ الحقِّ والإيمانِ فيهديهم ربُّهم إلى الطيبِ من القولِ، ويهديهم إلى صراطِ الحميدِ.

نعم أيها الإخوةُ، إذا منَّ اللهُ على عبدِه بصدقِ اللهجةِ، وطيبِ الحديثِ، شَرُف قَدْرُه، وطابتْ حياتُه، وعُرِفَ بقوةِ الإرادةِ، ورجحانِ العقلِ، وسلامةِ الطويةِ، والناسُ في معاملاتِهم لا يطمئنون إلا إلى صَدوقِ اللسانِ، فحكمُه عندهم عدلٌ، وشهادتُه بَرٌّ،

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٩٥، ٢٩٦ ـ ح١٣٨٦).

معاملتُه بركةٌ، يأمنونه على أموالِهم وأهلِيهم. مؤتمنٌ في الأحياءِ وفي الأمواتِ، في الوصايا والأوقاف، في الودائعِ والأماناتِ.

معاشرَ المسلمين والمسلماتِ: لا يستقيمُ لأحدٍ سؤددٌ، أو يَحرِزُ في قلوبِ الناسِ منزلةً إلا حين يهبُه الله لسانَ صدقٍ.

يقولُ عليٌ رضي الله عنه: من كانتْ له عند الناسِ ثلاثٌ وجبتْ له عليهم ثلاثٌ: من إذا حدَّثَهم صدَقَهم، وإذا ائتَمنوه لم يخنهْم، وإذا وعدهم وفَّىٰ لهم، وجبَ له عليهم أن تحبَّه قلوبُهم، وتنطلقَ بالثناءِ عليه ألسنتُهم، وتظهرَ له معونتُهم.

والطيِّبُ من القولِ ـ أيها الإخوةُ ـ دائرتُه واسعةٌ إذا ما وفِّقَ له العبدُ، وسلك فيه مسالكَ الإسلام والتزمَ توجيهاتِ القرآنِ وآدابِ السنةِ. يقولُ الله عز وجلِ: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] وفي التوجيه النبويِّ: «**والكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ**»[(١)].

يقول أبوعبدالله القرطبيُ في تفسيرِه: ينبغي للإنسانِ أن يكونَ قولُه للناس ليناً، ووجهه مُنبسطاً مع البرِّ والفاجرِ من غير مداهنةٍ؛ لأن اللهَ قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] فالقائلُ ليس بأفضلَ من موسى وهارون، والفاجرُ ليس بأخبثَ من فرعون، وقد أمرهما ربُّهما باللِّينِ معه.

وقال طلحةُ بنُ عمرَ: قلتُ لعطاءٍ: إنك رجلٌ يجتمعُ عندكَ ناسٌ ذوو أهواءٍ مختلفةٍ، وأنا رجلٌ فيَّ حدةٌ فأقولُ لهم بعضَ القولِ الغليظِ، فقال: لا تفعلْ، يقول اللهُ تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ١٥٣ ـ ح٢٩٨٩)، ومسلم (٢/ ٦٩٩ ـ ح١٠٠٩).

حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣] قال عطاءٌ: فدخل في هذا اليهودُ والنصارىٰ فكيفَ بالحنيفي؟؟

وقال شَريكُ بن سنانٍ لسعيدِ بن جبيرٍ رحمه الله: المجوسيُّ يوليني من نفسِه ويسلِّمُ علي أفأَردُّ عليه؟ فقال سعيدٌ: سألت ابنَ عباس رضي الله عنهما عن نحو ذلك، فقال: لو قال لي فرعونُ خيراً لرددتُ عليه.

والكلام اللِّينُ ـ معاشرَ الأحبةِ ـ كما يقولُ بعضُ الحكماءِ: يغسلُ الضغائنَ المستكينةَ في الجوارحِ.

فكلُّ كلامٍ لا يضرُّ في دينِك، ولا يُسخطُ ربَّك، وتُرضي به جليسَك فلا تَكنْ به بخيلاً يعوضُك الله به ثوابَ المحسنين.

ومن كلامِ وهبِ بن منبهٍ: ثلاثٌ مَنْ كنَّ فيه أصابَ البِرَّ: سخاوةُ النفسِ، والصبرُ على الأذىٰ، وطيبُ الكلامِ. وفي الحديثِ الصحيح: «**اتقوا النارَ ولو بشقِّ تمرةٍ، فإن لم يكنْ فبكلمةٍ طيبةٍ**»[(١)] متفق عليه من حديثِ عديٍّ بن حاتم رضي الله عنه.

وعن أبي المقدام عن أبيه عن جدِّه قال: قلتُ للنبي ﷺ أخبرني بشيءٍ يوجبُ الجنةَ قال: «**عليك بحُسنِ الكلامِ وبذلِ الطعامِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٠ ـ ح١٤١٣)، ومسلم (٢/ ٧٠٤ ـ ح١٠١٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٣٥٦/ح٨١١)، والطبراني (٢٢/ ١٨٠ ـ ح٤٧٠)، والحاكم (١/ ٢٣) وقال: حديث مستقيم وليس له علة ووافقه الذهبي وقال: حديث صحيح.

أيها الإخوةُ: ذلكم هو صلاحُ المنطقِ وفسادُه، إما إخبارٌ بالحقِّ، وبيانٌ للواقعِ، ومطابقةٌ للمعتقدِ، ومؤانسةٌ للمُجالِسِ، وإما حديثٌ بالباطلِ، وفحشٌ في القولِ، وبَذاءٌ في الكلامِ.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ والزموا الصدقَ والطيِّبَ من القولِ، فربُّكم إليه يصعدُ الكَلِمُ الطيبُ والعملُ الصالحُ يرفعُه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾

[الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

# الكلم الطيب والخبيث

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الصادقِ في قيلِه. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأعوذُ به من الكذبِ في القولِ وسوءِ تأويلِه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، جاء بالصدقِ وصدَّق به، وأمرَ به في دقيقِ الأمرِ وجليلِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

عبادَ الله: طوبى لمن أنفقَ الفضلَ من مالِه، وأمسكَ الفضلَ من قولِه، وطوبىٰ لمن قالَ خيراً فغنِمَ أو سكتَ فَسلِمَ، ومن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخر فليقلْ خيراً أو ليصمتْ. أيها الناس قولوا بقولِكم أو بعضِ قولكم، ولا يستجْرِينّكم الشيطانُ.

الزموا الطيبَ من القولِ، وبابُه واسعٌ، فأعلاه الشهادتان وقراءةُ القرآن والاشتغالُ بذكرِ اللهِ من التسبيحِ والتهليلِ والتحميدِ والتكبيرِ والدعاءِ.

أفشوا السلامَ وشمِّتوا العاطسَ، ومروا بالمعروفِ، وانهوا عن المنكرِ، فكلُّ ذلك طيبٌ من القول.

أَرْشِدوا الأعمىٰ، وأَسْمِعُوا الأصمَّ، وفي بعضِ الروايات:

«**وبيانُك عن الأرتمِ**[1] **صدقةٌ**»[2] يعني من لا يقدرُ على الكلامِ، إما لآفةٍ في لسانِه، وإما لعُجمةٍ في لغتِه.

واجتنبوا خبيثَ الكلام، وفاحشَ القولِ من الشركِ باللهِ، والقول على اللهِ بلا علمٍ فهو قرينُ الشرك واحذروا شهادَة الزورِ والسحرَ والقذفَ والسِّبابَ والغيبةَ والنميمةَ وكلامَ ذي الوجهين، والمراءَ، والجدالَ بالباطلِ، وتزكيةَ النفس، والخصوماتِ، والغناءَ المحرمَ، والسخريةَ والاستهزاءَ،؛ فكَلُّ ذلك باطلٌ من القولِ. ولقد قال بعضُ السلفِ: أما يستحي أحدُكم أنه لو نُشِرَتْ عليه صحيفتُه التي أملىٰ صدرَ نهارَه، كان أكثرُ ما فيها ليسَ من أمرِ دينِه ودنياه. فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ واحفظوا ألسنَتكم، وسائرَ جوارِحكم وكونوا ممن إذا مرُّوا باللغوِ مرُّوا كراماً.

---

(١) الأرتم: الذي لا يُفْصِح الكلام ولا يُفْهِمه ولا يُبينُه.
(٢) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٤).

# من أحاديث الإجازة

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المحمود بكلِّ لسانٍ، المعبودِ في كلِّ زمانٍ، وسِعَ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً، وقهرَ كلَّ مخلوقٍ عزةً وحُكماً، أحمدُه سبحانه، وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله؛ بَشَّرَ وأنذر، وبلَّغ البلاغَ المبين، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجل، عظّموا أمر ربّكم واتَّبِعوه، واحذروا نهيَه واجتنِبُوه.

معاشرَ الإخوةِ: في مواسمِ الإجازاتِ يحسُنُ الحديثُ إلى الشبابِ، ويجملُ الخطابُ إلى الطلابِ. الشبابُ والبنونَ من زينةِ الحياةِ الدنيا. شبابٌ ونَضرةٌ يتمثلُ فيها اكتمال القوةِ، ونضوجُ الغرائزِ، ويجملُ الحديثُ وقد توجَّهت تلك القوى إلى الخير، وتهذَّبَتْ تلك الغرائزُ من غيرِ تمردٍ أو انزلاقٍ.

شبابٌ ليس له صبوةٌ، شبابٌ وطلابٌ حفظوا قواهم وهذَّبوا مسالَكهم، مُنشَّأون في طاعةِ الله، يرجون أن يظلَّهم اللهُ في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه.

إن قُوى الفتيانِ وطاقاتِهم تشتدُ وتقوىٰ مع المثيراتِ، وتتهذبُ وتُوجَّه مع حُسْنِ الصوارفِ والمُشْغلاتِ. تُوجَّهُ الطاقاتُ، وتُضبطُ المسالكُ حين يتولىٰ ذلك مشرفونَ أمناءُ، وموجهون أوفياءُ، يدركونَ طبائعَ الأمورِ، وتطلعاتِ الشبابِ. إشرافٌ في ديانةٍ، وتوجيهٌ في دعوةٍ، يعلِّمون بالكلمةِ، ويربُّون بالقدوةِ في منهجِ عَدْلٍ، ومسلكٍ وسطٍ، وبصرٍ ثاقبٍ، ومعرفةٍ بالواقعِ، ودرايةٍ بالمتغيراتِ، يحيطُ بذلك سياجٌ متينٌ من صحةِ المعتقَدِ وسلامةِ التفكيرِ واستقامةِ السلوكِ.

في حديثِ الإجازةِ يجبُ أن يُربَّىٰ الشبابُ على أن المستقبلَ بيد اللهِ، ثم بصُنعِ أيديهم من داخلِهم، وفي بلادِهم وعلى أرضِهم، بأخلاقِهم السمتقيمةِ، وكدحِهم الكريمِ.

إن مستقبلَ الإسلام لا يصنعُه بإذنِ اللهِ إلا المسلمون، يصنعونُه في مكةَ المكرمةِ، والمدينةِ المنورةِ، والعواصمِ الإسلاميةِ، وفي حديثِ الإجازةِ يجبُ أن يتربىٰ الشبابُ، ويعرفَوا أن الوقتَ جزءٌ من الإصلاحِ، جزءٌ من الحلِّ لمشكلاتِهم المستعصيةِ؛ طالَ هذا الوقتُ أو قَصُرَ؛ مادام أنهم ثابتون على الحقِّ، صابرون فيه، مستمسكون به.

ليعلمَ شبابُ الإسلامِ، وطلابُ العلمِ أن من أكبرِ علاماتِ المقتِ إضاعةَ الوقتِ. ليس الوقتُ من ذهبٍ كما يقولُ المثلُ الشائعُ؛ بل هو أغلىٰ من الذهبِ واللؤلؤِ، ومن كلِّ جوهرٍ نفيس، أو حجرٍ كريمٍ، إنه الحياةُ والعمرُ، والإنسان يفتدي عُمرَه بكُلِّ غالٍ ونفيسٍ، حتى قال ابنُ مسعودٍ رضي اللهُ عنه:

ما ندمتُ على شيء ندمي على يومٍ غربتْ شمسُه، نقصَ فيه أجلِي ولم يزددْ فيه عملي. نعوذ بالله من تناقضِ الأجلِ من غيرِ زيادةٍ في صالحِ العملِ.

أيها الشبابُ، من أمضىٰ يوماً من عمرِه في غيرِ حقٍّ قضاه، أو فرضٍ أداه، أو مجدٍ أصَّلَه، أو فعلٍ محمودٍ حصَّلَه، أو علمٍ اقتبسه؛ فقد عقَّ يومَه، وظلمَ نفسَه، وخانَ عمرَه، هكذا قالتِ الحكماءُ.

من المؤسفِ حقاً أن يعيشَ شبابٌ في عُمُرِ الزهورِ واكتمالِ القوىٰ لا يبالون في إضاعةِ أوقاتِهم سُدىٰ، بل إنهم يَسطون على أوقاتِ الآخرين؛ ليقَطِّعوُها باللهو الباطلِ والشئونِ الساقطةِ، والأمورِ المحتقرةِ.

يجبُ أن يُنقذَ شبابُ الأمةِ من هذا الذهولِ المهلكِ، غفلةٌ عن الغدِ واستغراقٌ مميتٌ في الحاضرِ، مسحورون بنَضْرةِ الشبابِ العارضةِ، وتقطيعِ الأيامِ، والليالي من غيرِ حسابٍ، ولا محاسبةٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس: ٧ ـ ٨].

من الغفلةِ والحرمانِ وسبيلِ فناءِ الأممِ؛ أن يألفَ شبابٌ أصحاءُ النومَ حتى الضحىٰ، أو ما بعدَ الضحىٰ، تطلُعُ عليهم الشمسُ وتتوسطُ كبِدَ السماءِ، وهم يغطون في نومٍ عميقٍ، قد بال الشيطانُ في آذانِهم، إذا قام أحدُهم فإذا هو ثقيلٌ الخطىٰ، خبيثُ النفسِ، هزيلُ القوى كسلانُ. على حين تطلعُ الشمسُ على قومٍ

آخرين من غيرِ أهلِ الإسلامِ وهم منهمكون في وسائلِ معاشِهم، وتدبيرِ شئونِهم. تأبى سننُ اللهِ إلا أن يُعطىٰ كلُّ امرىءٍ حسَبَ استعدادِه وعملِه وجدِّه.

يا شبابَ الأمةِ، يا طلبةَ العلمِ، أيها المسلمون:

إن توزيعَ فرائضِ الإسلام على الأوقاتِ توكدُ ضرورةَ حفظِ الثواني والساعاتِ مع حركةِ الكونِ، ودورةِ الفلكِ.

حينما ينبلجُ النهارُ، وينشقُ الفجرُ يعلو صوتُ داعي الحقِّ يملأُ الآفاقَ والآذانَ منبهاً الغافلين، وموقظاً النائمين، معلناً بدءَ يومٍ جديدٍ: (حيَّ على الصلاةِ، حيَّ على الفلاحِ، الصلاةُ خيرٌ من النومِ) فتجيبُ القلوبُ الواعيةُ، والألسنةُ الذاكرةُ، والأيدي المتوضئةُ الطاهرةُ المتطهرةُ، وتُحلُّ عُقدُ الشيطانِ تستقبلُ صباحاً نقياً، لم يتلوثْ بأنفاسِ نؤومي الضحىٰ. ثم إن لهم من بعد صلاتِهم في النهارِ سبحاً طويلاً. حتى إذا قام قائمُ الظهيرةِ، وزالتْ الشمسُ، وقد غرِق الناسُ في لُججِ المشاغلِ وخِضمِّ الحياةِ؛ ارتفع النداءُ مرةً أخرى؛ منبهاً للوقت، مكبِّراً اللهَ، شاهداً له بالوحدانيةِ، ولنبيِّه ﷺ بالرسالةِ، داعياً إلى الصلاةِ والفلاحِ؛ فنيخلعُ الناسُ من صخَبَ حياتِهم ليقفوا بين يدي مقسِّم الأرزاقِ ومدبِّرِ الأكوانِ، يقفون دقائقَ معدودةً يخفِّفون فيها من الانهماكِ المتصارعِ على المادةِ، والاستغراقِ في طلبِ متاعِ الدنيا، وهذه هي صلاةُ الظهرِ، ويأتي مثلُها في الإيقاظِ والتنبيهِ وضبطِ الوقتِ والارتباطِ بربِّ الأربابِ، ومسيرِ الأفلاكِ صلواتُ العصرِ والمغربِ والعشاءِ، يفتتحُ اليومُ بالصلاةِ ويختتمُ، والفرائضُ الأخرى غيرُ الصلاةِ مرتبطةٌ بالزمنِ، محسوبةٌ به. إنها معالمُ

للمكلفين ليحفظوا أوقاتَهم، ويحاسبوا أنفسَهم.

نُقِلَ عن بعضِ السلفِ أنه كان يسمى الصلواتِ الخمسَ ميزانَ اليوم، والجمعةَ ميزانَ الأسبوعِ، ورمضانَ ميزانَ العامِ، والحجُّ ميزانَ العمرِ، كلُّ ذلك محاسبةٌ دقيقةٌ؛ ليسلمَ له يومُه وأسبوعُه وعامُه وعمُرُه.

معاشرَ الأحبةِ: ومن أجلِ مزيدٍ من حفظِ الوقتِ والانضباطِ فيه؛ علينا أن ندركَ حكمةَ الإسلام في الحثِّ على المداومةِ على العملِ؛ وإن قلَّ فالمنقطعُ لا يكادُ يُجدي ولو كان كثيراً.

إن العملَ الدائمَ يبدأُ صغيراً، ومع المداومةِ وقوةِ العزيمةِ يغدو كبيراً.

إن النتائجَ الباهرةَ أيها الشبابُ، والأعمالَ المثمرةَ أيها الطلابُ، لا تكون إلا من نفوس دؤوبةٍ لا تعرفُ الكللَ والمللَ، يمتدُّ عملُها أعواماً من بعدِ أعوامٍ، والعاجزُ القاصرُ يبدأ في طفرةٍ؛ ثم يتوقفُ متعللاً ببعدِ الطريقِ وطلبِ الراحةِ، فتراه ينتكسُ إلى الدِّعةِ والإهمالِ.

إن هذه الطفراتِ ما هي إلا وليدةُ طيشٍ عابرٍ، واندفاعٍ سريعٍ. وفي الإسلامِ: أحبُّ الأعمالِ إلى اللهِ ما داوم عليه صاحبُه، فسدِّدوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، والقصدَ القصدَ تبلُغوا.

ويقترنُ بالمداومةِ المسارعةُ في الخيراتِ، ففيها اغتنامُ للوقتِ من غير تكاسلٍ أو تثاقلٍ، مسارعةٌ من قبلِ حلولِ مرضٍ مقعدٍ أو كِبَرٍ مفندٍ، أو بلاءٍ مُشغلٍ. وفي خبرِه ﷺ: «**بادروا بالأعمالِ سبعاً؛ هل تنتظرون إلا فقراً منسياً، أو غنىً مطغياً، أو مرضاً**

**مُفسداً، أو هَرَماً مُفْنِداً، أو موتاً مُجْهِزاً، أو الدَّجالَ فشرُّ غائبٍ يُنتظرُ، أو الساعةَ فالساعةُ أدهىٰ وأمرُّ»**[1] رواه الترمذي من حديث أبي هريرةَ، وقال: حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

ولا يحفظُ الوقتَ تمامَ الحفظِ إلا التنظيمُ وحسنُ الترتيبِ، فلا يطغىٰ غيرُ المهمِّ على المهمِّ ولا المهمُّ على الأهمِّ،فمعلومٌ أن الوقتَ لا يتسعُ لجميعِ الأشغالِ، ومن شَغَلَ نفسَه بغيرِ المهمِّ؛ ضيَّعَ المهمَّ وفوَّتَ الأهَمَّ.

ومن وصايا أبي بكرٍ لخليفتِه عمرَ رضي الله عنهما: اعلم أن للهِ عملاً بالنهارِ لا يقبلُه بالليلِ، وعملاً بالليلِ لا يقبلُه بالنهارِ.

ولهذا جاءتْ عباداتٌ كثيرةٌ موقوتةٌ بأوقاتها التقدمُ عليها لا يُجزي والتأخرُ من غيرِ عذرٍ يوقعُ في المأثمِ والمغرمِ.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، وقوموا بمسئولياتِكم، اتقوا اللهَ في أماناتِكم، في أبنائِكم وشبابِكم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٧٨ ـ ح٢٣٠٦) وقال: حديث حسن غريب، والحاكم (٤/٣٢١) وقال: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح، ووافقه الذهبي ولكن لم يثبت سماع معمر من المقبري انظر الترمذي فإنه قال عن معمر عمن سمع سعيداً المقبري.

# من أحاديث الإجازة

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ على ما أولىٰ، والشكرُ له على ما أسدىٰ، حمداً طيباً مباركاً كما يحب ربنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً مدخرةً ليومٍ لا ينفعُ فيه مالٌ ولا بنون إلا من أتى اللهَ بقلبٍ سليم. وأشهد أنَّ سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الصفيُّ المصطفىٰ، والخليلُ المجتبى، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم واقتفى.

أما بعـدُ:

معشرَ الشباب: إياكم والتسويفَ؛ فإن (سوفَ) جندٌ من جنودِ إبليس، الموتُ يأتي بغتةً، والأكفانُ منسوجةٌ، والآجالُ عندكم غيرُ معلومةٍ.

وإذا ضُمِنَ الغدُ فمن يضمنُ السلامةَ من المعوقاتِ؛ من مرضٍ طارىءٍ أو شُغلٍ عارضٍ، أو بلاءٍ نازلٍ، أو فتنةٍ جائحةٍ، **«اغتنمْ خمساً قبل خمس: حياتَك قبل موتِك، وصحتَك قبل سَقَمِك، وفراغَك قبل شُغْلِك، وشبابَك قبل هرمِك، وغناك قبل فقرِك»**[1].

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٧/ ٢٦٣ ـ ح١٠٢٤٨)، الحاكم (٤/ ٣٠٦) وصححه ووافقه الذهبي.

وقال بعضُ الشيوخِ لبعضِ الشبابِ: اعملْ قبل ألا تستطيعَ أن تعملَ فأنا أريدُ أن أعملَ فلا أستطيعُ، إنما العملُ في الشبابِ.
وقيل لعمرَ بنِ عبدالعزيز رحمه الله ـ وقد بدا عليه الإرهاقُ ـ: أخر هذا إلى الغدِ، فقال: لقد أعياني عملُ يومٍ واحدٍ، فكيف إذا اجتمعَ عملُ يومين؟؟؟

ولا تظنوا إيها الشبابُ أن المستقبلَ سيكون أكثرَ فراغاً من الحاضرِ، فما هذا إلا وهمٌ وسرابٌ. كلما كَبُرتْ سنُّك كثرتْ المسئولياتُ، وزادتْ العلاقاتُ، وضاقتْ الأوقاتُ، وضعفُت الطاقاتُ، فالوقتُ في الكِبَرِ أضيقُ، والجسمُ فيه أضعفُ، والصحةُ هزيلةٌ، والنشاطُ كليلٌ. فبادروا ساعاتِكم، ولا تتعلقوا بالغائبِ المجهولِ، فكلُّ ظرفٍ مملوءٌ بشواغلِه، والحقوقُ مرتبطةٌ بزمانِها، وما التسويفُ إلا تفويتٌ للحقِّ، وخسرانٌ لليومِ، وتضييعٌ للغدِ.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، اتقوا الله في أيامِكم وأعماركم ومسئولياتِكم، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] ﴿لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

# حديث بين الشباب والشيوخ

## الخطبة الأولى

الحمد للهِ تفردَ بكلِّ كمالٍ، وتفضَّلَ على عباده بجزيلِ النوالِ، بيده الخيرُ ومنه الخيرُ، فله الحمدُ في الأولى والآخرةِ والحالِ والمآلِ، أحمده على ما منح من النعماءِ، وأشكره على عظيمِ الآلاءِ.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له تقدس عن الأشباهِ والأمثالِ. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، المبعوثُ بكريمِ الصفاتِ، وجميلِ الخصالِ، صلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه خير صحبٍ وآل والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ حقَّ التقوى؛ فمن اتقى اللهَ وقاه، ومن رجعَ إليه تابَ عليه وهداه. كم سترَ عيباً، وأقالَ عِثارا ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٣٠].

أيها الإخوةُ المسلمون، في تقلُّبِ الأيامِ مزدجرٌ، وفي تجاربِ الناسِ مدَّكَرٌ، بين شيوخِ الأمةِ وشبابِها يَطيبُ التأملُ ويحسنُ المعتَبرُ.

أما الشبابُ فهم عنصرُ حركتِها، ومصدرُ طاقتِها، ودليلُ

حيويتِها، وسبيلُ نهضتِها، إنهم العطاءُ المتجددُ، والقوةُ المنتجةُ.

الشبابُ هم الدماءُ المتدفقةُ، عندهم القبولُ السريعُ لكلِّ جديد. قوةٌ وجموحٌ، واندفاعٌ وطموحٌ، تيارٌ دافقٌ، وطاقةٌ متوقدةٌ، إذا تطلَّع إلى شيءٍ سارعَ إلى تحصيلِه، وضحَّىٰ من أجلِ اكتسابِه. إذا رغبَ في شيءٍ بذلَ النفسَ والنفيسَ، وقارعَ كلَّ قوةٍ، واستعملَ مواهبَه في الترويجِ لرغباتِه وطموحِه. فيهم الجيوشُ المنطلقةُ لرفعِ ألويةِ الخيرِ والإصلاحِ، صابرون ومجاهدون، مضحُّوه ومهاجرون، يقتحمون الصعابَ، ولا يجري في حسابِهم ماذا عسى أن يجابَههم من محنٍ وشدائدَ. وفي المقابلِ ترى فيهم دعاةَ سوءٍ ومنكرٍ، وكثيرٌ من قبائحِ عالمِ اليوم ترىٰ الشبابَ هم وقودُها وسوقُ رواجِها.

أيها الإخوةُ، أولئك هم الشبابُ: يسجلونَ التضحياتِ الجسامَ في سبيلِ المطالبِ؛ ولكنهم كثيراً ما يخلطون بين الحقائقِ والأماني، ويضعفُ عندهم الربطُ بين المقدماتِ والنتائجِ، لا يكادُ يتوفرُ فيهم الحسابُ الدقيقُ للمحاذيرِ والتبعاتِ. إنهم قليلو التجربةِ قصيرو المدةِ، محدودو المعرفةِ. لا يحيطون بشئونِ الدنيا وأحوالِ الناسِ، نصيبُهم من التجربةِ عيشٌ قصيرٌ في كنفِ الوالدينِ والأسرةِ، وفترةٌ دراسيةٌ بين الزملاءِ والمعلمينِ، لا يدركون من الحياةِ إلا دروساً نظريةً. وعيشُ الشبابِّ بين والديه ومدرستِه غالباً ما يحجبُ عنه صعابَ الحياةِ، ويظلُّه عن الحرِّ اللاهبِ والبردِ القارسِ. أما الحكمةُ والتعقلُ فشيءٌ عظيمٌ يحتاجُ إلى ثمنٍ كبيرٍ لا يبلغُه ولا يدركُه في الغالبِ قصيرُ العمرِ فقيرُ التجربةِ.

إن الأبَ والشيخَ والمعلمَ يربون ويعلمون ويدرِّبون في مياهِ غيرِ عميقةٍ، ولكن مع تدرجِ الأمورِ؛ يستطيعُ المتدربُ الخوضَ في لججِ البحورِ والأمواجِ العاتيةِ.

أما الشيوخُ ـ أيها الشبابُ ـ فقد جرَّبوا كثيراً وأخطئوا كثيراً. عرفوا الأيامَ، وقارعوا الخطوبَ، وعاشوا تقلباتِ الأحوالِ، فأصابوا الحكمةَ، ونفعتهم الخبرةُ. ملكوا العقلَ الراجح والفكرَ الرزينَ، يقدِّرونَ الواقعَ، وينظرون بواقعيةٍ نحو المستقبلِ، يرون الحسناتِ كما يرون المحاذيرَ.

إن لهم من طولِ التعاملِ والمراس ذخراً من الحكمةِ ورصيداً من الرزانةِ تجعلُهم أصحابَ روِيَّةٍ وَتثبُّتٍ، أولئك هم الشيوخُ: أشجارُ الوقارِ، ومناجعُ الأخبارِ، لا يطيشُ لهم سهمٌ، ولا يسقطُ لهم وهمٌ، إذا رأوكَ في قبيحٍ صدُّوكَ، وإن أبصروك على جميلٍ أيدوك وأمدُّوك. وقد قيل: عليكم بآراءِ الشيوخ فإنهم إن فقدوا ذكاءَ الطبعِ فقد مرت على عيونِهم وجوهُ العبرِ، ووردتْ على أسماعِهم آثارُ الغِيَرِ.

وجاء في منثورِ الحكم: من طالَ عمرُه نقصتْ قوةُ بدنِه، وزادتْ قوةُ عقلِه. والأيامُ لا تدع جاهلاً إلا أدَّبتهْ، فكفى بالتجارِب مؤدِّباً، وبتقلُّبِ الأيامِ واعظاً، وكفى عِبراً لأولي الألبابِ ما جربوا.

كَسبَ الشيوخُ رجاحةَ العقلِ من بعدِ طولِ الخبرةِ، وعميقِ التجربةِ. وما العقلُ إلا دواءُ القلوبِ ومطيةُ المجتهدين، وتاجُ الرؤوسِ، وعُدةُ الوقوعِ في النوائبِ.

قيل لابنِ المباركِ: ما خيرُ ما أُعطي الرجلُ؟ قال: غزيرُ عقلٍ. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أدبٌ حسنٌ. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ صالحٌ يستشيره. قيل: فإن لم يكن؟ قال: صمتٌ طويلٌ. قيل: فإن لم يكن؟ قال: موتٌ عاجلٌ.

وكتبَ عمروُ بن العاص إلى معاويةَ رضي الله عنهما: أما بعد، فإن التأني في الخيرِ زيادةٌ ورشدٌ، ومن لا تنفعه التجاربُ لا يدركُ المعالي، ومن لا ينفعُه الرفقُ يضرُّه الخرَقُ. ولا يبلغُ الرجلُ مبلغَ الرأي حتى يغلبَ حلمُه جهلَه، وتصبُّرُه شهوتَه. ولا يُدرَك ذلك إلا بقوةِ الحلمِ.

أيها الإخوةُ: إنه لا يتميزُ أصحابُ العقلِ وذوو التجاربِ إلا بالتأني والتثبتِ، وليس مطيةٌ خيراً من التروي والتريُّثِ. ومن عمِل عملاً لم يتأنَّ فيه أصابه الندمُ. وما كانت الشورىٰ محمودةً إلا لأنها طريقُ التثبتِ والأناةِ.

إن غير المتثبتِ ـ أيها الشبابُ ـ يقولُ قبل أن يعلَم، ويجيبُ قبل أن يفهمَ، ويحكمُ قبل أن يجربَ، ويعزمُ قبل أن يفكرَ. تصحبُه الندامةُ، وتفارقُه السلامةُ.

وتقولُ العربُ: العجلةُ أمُّ الندامـاتِ. ومـا رُئـي العجـولُ محموداً، وما سار إلا منحرفاً، ولا يكون الزلل إلا مع العجَلِ. حتى قالوا: العَجِلُ مخطىءٌ أبدا، والمتثبتُ مصيبٌ أبداً.

أيها الإخوةُ: إذا كان ذلك كذلك فما أجملَ حماسَ الشبابِ حين يُعْقَلُ بحكمةِ الشيوخِ. فيزاحمُ الشبابُ بالركبِ مجالسَ الشيوخِ، وتشرئبُّ أعناقُهم ليلتقطوا الحكمةَ من أفواهِهم، ويروا

تجارَبِ الأيامِ في تجاعيدِ وجوهِهم. يستنيرون بالعلمِ الذي عندهم، ويأخذون بنصحِهم وإرشادِهم، ويستفيدون من ثمرةِ جهودِهم وتجاربِهم، فتتشابك الأيدي في دروبِ الحياة، وتتوحدُ المسيرةُ في مساربِ الدنيا.

وإذا لم يكن كذلك فويلٌ للأمةِ حين ينفصلُ الشبابُ عن أولي الرأي والعلمِ والحكمةِ.

وويل لأقوامٍ يقعون في الأعراضِ ويستبيحون إلصاقَ التهم، ويستطيلون علىً الحقوقِ.

وويل للناس حين تظهرُ فئاتٌ وجماعاتٌ تتنابزُ بالألقابِ، وتتبادلُ التهمَ، وتكره نفسَها ومجتمعَها وقادتَها وأولي الأمرِ والرأيِ فيها ومنها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةًۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾

[الأنفال: ٢٤ ـ ٢٦].

# حديث بين الشباب والشيوخ

## الخطبة الثانية

الحمد لله على فضلِه ونعمائِه، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه أستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تقدس في صفاتِه وأسمائه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أفضلُ أنبيائه، وخيرُ أصفيائه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابِه وأوليائِه.

أما بعدُ:

أيها المسلمون، إنكم لو تأملتم فيما يجري بين الوالدِ وولدِه، والمعلِّم وتلميذِه، والصغيرِ والكبيرِ، لرأيتم شيئاً عجيباً، وأمراً غريباً، إنه الحديثُ بين جيلين.، والتخاطبُ بين عصرين يجبُ أن يكونَ مبنيا على الثقةِ، ومحاطاً بسياجِ الأبوةِ والبنوةِ، وما يعقلُ هذا إلا العالمون.

أيها الشابُّ إذا رأيتُ صاحبَك قد غضِبَ أو تعجلَّ وتكلَّمَ بما لا ينفعُ ولا يفيدُ فلا تهتمَّ بقوله، ولا تكترثْ بحديثِه؛ فإنه في حالٍ لا يدري ما يجري وجميلٌ منك أن تصبرَ على تسرُّعِه، ولا تُعَوِّل على تصرُّفِه؛ فإن طبَعه قد هاجَ، وعقلَه قد استترَ، وإنك لو جارَيته على حالِه فإنك شريكُه، ولكن انظر إليه بعينِ الرحمةِ والإشفاقِ، وتأملْ في تصريفِ المقاديرِ، وتفرسْ في نتيجةِ

العجلةِ، واعلم بأنه إذا تنبه سوفَ يندمُ على ما جرىٰ، ويحمدُ فيك فضلَ الصبرِ، وجميلَ التأني، وحسنَ التثبتِ.

فاتقوا الله رحمكم الله، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين، واحذروا أن تصيبوا قوماً بجالهةٍ؛ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين.

# واجب الأمة نحو علمائها

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله الرحيم الرحمنِ، خلقَ الإنسانَ علمَّمه البيانَ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره. قرنَ رفعة أهلِ العلم برفعةِ أهلِ الإيمانِ ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ﴾ [المجادلة: ١١]. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه.. بعثه في الأميين يتلو عليهم آياته ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة. فهو أمينُ الوحيين السنةِ والقرآنِ. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله واصحابه أولي النهىٰ والعلمِ والعرفانِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ فأوثقُ العرىٰ كلمةُ التقوىٰ.

أيها المسلمون: علمُ الشريعةِ هو ميراثُ النبوةِ، وعنوانُ الرسالةِ. لا فلاحَ في الدارين إلا به، ولا سبيلَ للنجاةِ إلا بالتعلقِ بسببِه: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] علمٌ في إيمانٍ، من ظَفِرَ به فازَ وغنِم، ومن صُرِفَ عنه خاب وحُرِمَ. قُطبُ السعادةِ ومدارُها، ضياءُ النبوةِ، ونورُ الشريعةِ، الوصولُ إلى اللهِ ورضوانِه بدونه محالٌ، وطلبُ الهدىٰ بغيرِه هو عينُ الضلالِ. من سلكَ

غيرَ ذلك فطريقُه مسدودٌ، ومن ابتغىٰ الحقَّ في غيرِه فسعيهُ عليه مردودٌ.

وصلاحُ الأمةِ لا يكون راسخَ البناءِ، ولا جميلَ الطلاءِ، ولا محمودَ العُقبىٰ، إلا إذا كان موصولاً بحقائقِ الدينِ، ومصطبغاً بآدابِ الشرعِ. وذلك لا يكونُ ولن يكونَ إلا حينَ يقومُ العلماءُ الربانيون بمسئولياتِهم، وينهضوا بما استحفُظوا من الدينِ، وما أُوتوا من العلمِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: وحينَ يطالبُ العلماءُ بمسئولياتِهم، فيجبُ على الأمةِ أن تحفظَ حقوقُهم، وتعرفَ مكانتَهم، وتقدِّرَهم حقَّ قدرِهم، وتلتزمَ الأدبَ معهم، إنهم العلماءُ وارثوا علمِ الرسالةِ.. خلفاءُ النبيِّ ﷺ في أمتِه، المحيون لما ماتَ من سنتِه، بهم قامَ الكتابُ وبه قاموا، وبهم نطقَ الكتابُ، وبه نطقوا ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨] مصابيحُ الدجىٰ، وأعلامُ الهدىٰ، هم النجومُ بهم يُهتدىٰ ويُقتدىٰ، فيهم رجاحةُ الرأي، وصرامة العزمِ، وخلوصُ السرائرِ، إذا رأوا حقاً أعانوا، وإن أبصروا عِوجاً نصَحوا، وإن لمَحوا تقصيراً نبَّهوا.

ينظرون في أحوالِ الناسِ، يصححونَ العقائدَ والعباداتِ، يَدلُّون على السننِ، ويُحذرُّونَ من البدَعِ، يَنْفَوْنَ عن الأمةِ خبثَ المزاعمِ الباطلةِ، والمباديءِ المنحرفةِ. بعلمِهم وتعليمِهم ـ بإذن اللهِ ـ يكونُ الناسُ أنقياءَ الفكرِ، وأتقياءَ العملِ. يُصلحون في معاملاتِ الناسِ ما كان فاسداً، ويَصِلون منها ما كان مقطوعاً، بجهودِهم وتوجيههم ـ بتوفيقِ اللهِ ـ يتضحُ الحقُّ، وينكشفُ الضرُّ، وتسودُ السعادةُ. يرفُقُون في الخطابِ، ويَلِينون في

الإرشادِ. . لا يقولون ما ليسَ بحقٍّ، ولا يأتون ما ليس بمصلحةٍ. يأخذون بالتي هي أرضىٰ للخالقِ. . فهم مثالُ الاستقامةِ، وعنوانُ الصلاحِ. يحتملونَ المكارهَ في سبيلِ ما يقدِّمون من نصائح، ويتجلَّدون عند الأذىٰ. هم أسرعُ الأمةِ إلى الائتمارِ بما يأمرونَ، والمبادرةِ في الكفِّ عما يُحذِّرون. معقلُ الدينِ، ومَشْرِقُ الهدايةِ. . يبلِّغون رسالاتِ اللهِ بعد أنبياءِ اللهِ. هم الجنودُ يُرمىٰ بهم العدوُّ في كلِّ وقت، وفي كلِّ مكانٍ، وفي كلِّ صورةٍ. يجمعونَ بين ما صحَّ من أقوالِ السلفِ، وما صلُحَ من آراءِ الخلفِ.

يُقالُ ذلك أيها الإخوةُ في اللهِ، وهم بأمثالِ هذا الثناءِ جديرون، وبتسطيرِ هذا الإطراءِ حقيقون، فهم بالعلم عاملون، وعلى الحقِّ سائرون. يهدونَ بالحقِّ وبه يعدلون، وعلى رغم كلِّ هذه الجدارةِ، وعلى التسليم بهذه الأحقيةِ. فإنهم غيرُ معصومين. تبدرُ منهم الزلةُ، وتقع منهم العثرةُ، وتنبو منهم الكبوةُ. والعصمةُ غيرُ مضمونةٍ لأيِّ عالمٍ، ولو جَمعَ شروط الاجتهادِ كلَّها، ومقاييسَ الصلاحِ جميعَها، ولكنَّ المضمونَ لهم ـ إن شاء اللهُ ـ الأجرُ على اجتهادِهم ـ أصابوا أو أخطئوا.

أيها الشبابُ، أيها الدعاةُ، يا طلابَ العلم، العالمُ لا يؤخذُ بزلَّتِه، ولا يتَّبَعُ بهفوتِه. فليس أحدٌ من أفرادِ العلماءِ إلا وله نادرةٌ. . ينبغي أن تدفنَ في بحرِ علمِه، وتنسىٰ في جنبِ عظيم فضلِه. اسمعوا إلى مقولةِ الحافظِ الذهبيِّ ـ رحمه الله ـ: لو أنّا كلَّما أخطأ إمامٌ في اجتهادٍ في آحادِ المسائلِ خطأً مغفوراً له. قمنا عليه، وبدَّعناه وهجَرناه؛ لما سلِم معنا لا ابنُ نصرٍ ولا ابنُ مندةَّ،

ولا من هو أكبرُ منهما، واللهُ هو هاديْ الخلقِ إلى الحقِّ، وهو أرحمُ الراحمين، ونعوذ باللهِ من الهوىي والفظاظةِ. اهـ كلامه.
ومنْ ظَفِر بخطأ عالمٍ فلا يفرحْ، ولا يتبعْ العثراتِ. ولكن ليصحِّح الخطأ، ولينبِّهْ إلى الصوابِ، وليَحذرْ التشهيرَ والتشنيعَ. فإن المنصفَ يجزمُ بأنه ما من إمامٍ إلا وله أغلاطٌ وأوهامٌ، قد تظهرُ وقد تخفىٰ في العاجلِ أو في الآجلِ.

إن قاصدَ الحقِّ، وصادقَ الهدفِ بحاجةٍ إلى عقلٍ يقظٍ، وضميرٍ حيٍّ. بحاجةٍ إلى علمٍ نافعٍ، وإيمانٍ وازعٍ. يحيطُ ذلك سياجٌ من الخلقِ الفاضلِ، في لسانٍ عفيفٍ، ونظرٍ متورعٍ. وقبلَ ذلك وبعدَه.. هو بحاجةٍ إلى إخلاصِ القصدِ للهِ وحدَه، والتجردِ للحقِّ، ومجاهدةِ النفسِ؛ حتى تتحررَ من اتباعِ هواها، وهوىٰ غيرِها.

يا رجالَ الدعوةِ، ويا طلابَ العلمِ، احذروا كثرةَ الخصامِ، وإطالةَ الجدلِ. فالتوسعُ في ذلك من قلَةِ الورعِ، وسلوكِ غيرِ هدي السلفِ. سمعَ الحسنُ ـ رحمه الله ـ قوماً تعالَىٰ جدَلُهم، وتنافرتْ مقالاتُهم، فقال: هؤلاء مَلُّوا العبادةَ، وقلَّ فيهم الورعُ؛ فخففَّ عليهم القولُ؛ فتكلموا فيما تكلموا، وخاضوا فيما خاضوا.

احذروا التطاولَ على مناهجِ الأئمةِ، وعلماءِ الأمةِ، أو التهوينَ من فقهِ السلفِ. أو العلمِ الموروثِ. فالتجريحُ بغيرِ حقٍّ لا يجوزُ، ورفضُ الدليلِ محرمٌ لا يسوغُ.

والمنهجُ الحقُّ الأخذُ بالدليلِ مع وافرِ الحرمةِ والتقديرِ لأئمةِ العلمِ والدينِ في الجديدِ والقديمِ.

أهلُ الإسلامِ ليس لهم سمةٌ سوى الإسلام. فيا طالبَ العلم، ويا رجلَ الدعوةِ باركَ اللهُ في علمِك، ونفعَ بدعوتِك. اطلبْ العلمَ، واجتهدْ في العملِ، وادعُ إلى اللهِ على طريقِ محمدٍ ﷺ والرعيلِ الأولِ والسلفِ الصالحِ من بعدِه.

فلا تخرجْ من سعةِ الإسلامِ إلى القوالبِ الضيقةِ. فالإسلامُ كلُّه جادةٌ ومنهجٌ، والمسلمونُ جميعُهم هم الجماعةُ، وإن يدَ اللهِ مع الجماعةِ. ولا يكنْ لك ولاءٌ ولا براءٌ إلا للإسلامِ.. دينِ محمدٍ ﷺ كنْ طالبَ علمٍ على الجادةِ، تقفوا الأثرَ، وتتبعُ السننَ، تدعو إلى اللهِ على بصيرةٍ. عارفاً لأهلِ الفضلِ فضلَهم، ومعترفاً بسابقتِهم.

واعلم أنه ليسُ من الممكنِ جمعُ الناسِ على قولٍ واحدٍ. فقد اختلفَ الصحابةُ والتابعونَ والأئمةُ المرضيون.

ولكن يمكنْ جمعُ الناسِ على رفعِ الملامِ عن الأئمةِ الأعلامِ. ومن ظنَّ أنه قادرٌ على صَبِّ الناسِ في قالَبٍ واحدٍ يصنعُه لهم ويضعُهم فيه ويمشون وراءَه وفقَ ما فهمُه من الشريعةِ ونصوصِها... ظاناً أنه سيرفعُ الخلافَ، أو يجمعُ الناسَ على كلمةٍ سواءٍ. فقد أبعدَ النجعةَ، وأوغلَ في الطلبِ.

ولكنْ مسلكُ العدلِ والإنصافِ، ومنهجُ الحقِّ والصوابِ.. أن يُنظرَ إلى القولِ دون قائلِه، وأن يُعرفَ الرجالُ بالحقِّ، وتكونُ لدى طالبِ العلمِ والحقِّ، الشجاعةُ لنقدِ ذاتِه، والاعترافُ بأخطائِه، والترحيبُ الصادقُ بالنصحِ وطلبِ التقويم. والاستفادةُ من كلِّ علمٍ وحكمةٍ، والثناءُ على كلِّ محسنٍ بإحسانِه، والتماسُ العذرِ

للمقصِّرِ عند تقصيرِه، وبخاصةٍ أولئك الأعلامُ الذين يعلِّمون الناسَ الخيرَ، وينصرون دينَ اللهِ، ويتحمَّلون في سبيلِ الحقِّ ما يتحملون. وحقٌّ على المسلم إذا سِمع مقالةَ سوءٍ في أخيه المؤمن لا سيما رجلُ العلم، وصاحبُ الدعوةِ، ألا يظنَّ به إلا خيراً ﴿لَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ١٢].

والأشدُّ من ذلك والأنكىٰ أيها الإخوةُ، اتهامُ النياتِ، والحكمُ على المقاصدِ، والتطاولُ على السرائرِ التي لا يعلمُها إلا ربُّها ومولاها. ويتسعُ هذا الأمرُ ويَعرُضُ إذا كان في حقِّ عالمٍ من علماءِ المسلمين، بذلَ نفسَه للعلمِ والتعليم، والدعوةِ إلى اللهِ، والغيرةِ على الحقِّ، والدفاعِ عن الدينِ، والتضحيةِ في سبيلِ الله.

وليحذرْ المسلمُ الناصحُ لنفسِه ودينِه وأمتِه مسالكَ المنافقين، وأعداءِ الملةِ الذين يصفون رجلَ العلمِ والإيمانِ والدعوةِ بالعمالةِ للشرقِ أو الغربِ لمجردِ أنه خالفَ في رأيٍ، أو زلَّ في فتوىٰ. والأمرُ لا يعدو مجالاتِ الاجتهادِ، ومواطنَ اختلافِ النظرِ، مما لا ينالُ دينَ مسلمٍ أو إيمانَه أو تقواه بحالٍ من الأحوالِ.

ألا فاتقوا اللهَ ربَّكم، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، واعرفوا لكلِّ ذي فضلٍ فضلَه، وأقيموا الدينَ، ولا تتفرقوا فيه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٠ ـ ٣٢].

# واجب الأمة نحو علمائها

## الخطبة الثانية

الحمد لله عليِّ الذاتِ، عظيم الصفاتِ، أحمده سبحانه وأشكره، يقبلُ التوبةَ عن عبادِه، ويعفو عن السيئاتِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، الهادي إلى طُرقِ الخيراتِ، والمحذرُ من مسالكِ الضلالاتِ، صلى الله سلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، أولي الفضلِ والكراماتِ، والتابعين ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومٍ تُبلىٰ السرائرُ، وتُكشفُ المكنوناتِ.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ في اللهِ: فلئن كانَ ما تقدَّم نعوتِ العلماءِ الراسخين، وصفاتِ الأئمةِ العاملينِ. فإن من غيرِ المنكورِ أن ثمةَ منتسبين إلى العلم مريبين مدخولين.. يندسون في الناس كالداءِ في البدنِ، وكالسمِّ في الدسمِ. هم في وحدةِ الأمةِ مظهَرٌ تفريقٍ، وفي قوتِها مصدرُ إضعافٍ وتعويقٍ. اتخذوا من مجالسِهم توليداً للأكاذيبِ، ومن ندواتِهم ومنتدياتِهم وسائلَ لترويج الشائعاتِ، يُشيعون السوءَ في الذين آمنوا، ويثيرون الريبةَ في الذين يعملون الصالحاتِ. يقعُدون من المصلحين مقاعدَ التلصصِ والتربصِ، وكأنهم لا يَخْتِلون[1]

(١) يخْتِل: يخدع عن غفلة.

فريستَهم إلا في الظلامِ، ولا يشوون ذبائحهم إلا في لهبِ الحريقِ، يفرُّون من النورِ كما تفرُّ الخفافيشُ، ويموتون من الطهرِ كما تموتُ الجراثيم. هذه بليةٌ، وثمةَ بليةٌ أخرىٰ، ذلك أن كثيراً من القضايا المطروحةِ، والمواقفِ المعلنةِ من قضايا الإسلام وشخصياتِ العلمِ والدعوةِ ـ كثيرٌ من هذه القضايا ـ ظاهرُهاَ خلافٌ في العلمِ والرأي، وحقيقتُها حبُّ الذاتِ، واتباعُ الهوى الذي يُعمي ويُصَمُّ ويُضلُّ عن السبيل. نعم إنها ـ مع عظيمِ الأسىٰ والأسفِ ـ في كثيرٍ من صورِها وتفسيراتِها ترجعُ إلى أمورٍ شخصيةٍ، وتطلعاتٍ ذاتيةٍ، حتى ولو كانتْ مغلَّفةً بالحرصِ على مصلحةِ الإسلامِ وجماعةِ المسلمين مما قد يَدِّق ويخفىٰ حتىٰ على الإنسانِ نفسِه، فيزَّينَ له سوءُ عملِه فيراهُ حسنا، وقد جاءَ في الحديثِ: «**ما ذئبان جائعان أُرسلا في غنمٍ بأفسدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينِه**»[1] خلافٌ على المغانمِ، وحبٌّ للظهورِ والجاهِ والتصدُّرِ.

يُضمُّ إلى ذلك أن بعضَ الناس ـ هداهم الله ـ إذا وَثِقُوا في دينِ رجلٍ وعلمِه. . . ثم سمعوا عنه هفوةً، أو ذُكرتْ لهم فيه زلةٌ نبذوه ونابزوه. فتراهم بعثرةٍ واحدةٍ هدموا جهادَه وجهودَه طولَ عمره، وأهالوا الترابَ على تاريخِه المجيدِ كلِّه. ألا فليتقِ اللهَ هؤلاءِ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٠٨ ـ ح٢٣٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان انظر الإحسان (٨/ ٢٤ ـ ح٣٢٢٨)، وأحمد (٣/ ٤٥٦، ٤٦٠)، والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٢٥٨ ـ ح٤٠٥٤) وحسنه.

واتقـوا اللهَ جميعـاً رحمكـم الله، واسلكـوا نهـجَ الإسـلامِ، وأحسنـوا الظـنَّ بإخـوانِكـم المسلميـن، وسيـروا مسـارَ القصـدِ؛ تُفلحوا وتبلُغوا.

# غـزو الكويت
# بين الاحتراف في الإجرام والتضليل في الإعلام

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ لم يزلْ بالمعروفِ معروفاً، وبالكرمِ موصوفاً. كلَّ يومٍ هو في شأن. يكشِفُ كرباً، ويغفرُ ذنباً، ويُغيث ملهوفاً. يَجْبرُ كسيراً، ويُجيرُ خائفاً، ويُرسلُ بالآياتِ تخويفاً. أحمدُه سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفرُه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً خالصةً للذي فطرَ السمواتِ والأرضَ حنيفاً. وأشهد أن سيدَنا ونبيَنا محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه ربُّه سيداً شريفاً، وأميناً عفيفاً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه صلاةً وسلاماً تزيدُهم تفضيلاً وتشريفاً.

أما بعـدُ:

أيها الإخوةُ المسلمون، في هذه الدنيا مصائبُ ورزايا، ومحنٌ وبـلايـا. آلامٌ تضيـقُ بهـا النفـوسُ، ومـزعجـاتٌ تـورثُ الخـوفَ والجزعَ. فكم ترىٰ من شاكٍ، وكم تسمعُ من لوَّامٍ.

تلك هي الدنيا وابتلاءاتُها، تُضحكُ وتُبكي، وتَجمعُ وتُشتتُ، شدةٌ ورخاءٌ، وسراءٌ وضراءٌ. ودارُ غرورٍ لمن اغترَّ بها، وموطنُ عبرةٍ لمن اعتبرَ بها. هي الصدقُ لمن صدَقها، والميدانُ لمن عمل فيها: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٣].

في الابتلاءِ ألطافٌ يستشعرُها من صدقَ إيمانُه، وأخلصَ لله قلبُه. كم محنةٍ في طيها مِنحٌ ورحماتٌ. ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ١٩﴾ [النساء: ١٩].

عند البلاءِ يتحققُ توحيدُ الموحدينَ، ويقينُ المستيقنين.. وإذا اشتدَّ الكربُ، وعظُمَ الخطبُ يكون قربُ الفرج: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ [يوسف: ١١٠].

في ابتلاءاتِ هذه الأيامِ بُقِرتْ بطونٌ، واندلقتْ أحشاءُ، وأبيدتْ أُسرٌ، وسُلبَ وطنٌ، وهامَ رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات في الصحراءِ اللافحةِ.. يصحبُهم صبيانٌ ورُضَّعٌ.. جثثُ المنقطعينَ منهم، لا تزالُ متناثرةً في تلكِ الرمالِ اللاهبةِ. ما أرخصَ دماءَ المسلمين، وما أشدَّ ما نزل لهم من أهوالٍ، وما أعظمَ ماحلَّ بهم من هوانٍ.

وإن من عظيمِ الابتلاءِ ـ أيها الإخوةُ ـ الاختلاطُ في المفاهيم. اختلاطٌ تختفي من ورائه الحقائقُ، وتسقطُ به القيمُ لترتفعَ شعاراتٌ براقةٌ. اختلاطٌ رهيبٌ تُسحَقُ من تحتِه أمةٌ كاملةٌ بشعبِها.. بأرضِها بدولتِها.. بكلِّ مؤسساتِها.

شعبٌ كاملٌ يُشردُ من وطنِه بجنودٍ عربٌ، وتنهبُ ثرواتُه بأيدٍ عربيةٍ. خلطٌ يتحولُ فيه المعتدي على الكرامةِ العربيةِ إلى مُدافعٍ عنها. خلطٌ يعتبرُ فيه المنتهكُ للعرضِ العربيِّ، والدمِ العربيِّ.. صائناً لهذا العرضِ. مناضلاً من أجلِ هذا الدمِ. خلطٌ ولبسٌ

يصبحُ فيه المجرمُ بطلاً، والخائنُ أميناً، والغادرُ مُجاهداً. إعلامٌ زائفٌ.. اعتاد منذُ زمنٍ أن يحولُ المستمعَ إلى بوقٍ يرددُ ما يسمعُ، ويهتفُ بما يُملىٰ عليه في عالمِ ممتلىءِ بالضجيجِ، متسمٍ بطمسِ الحقائقِ. الغالبُ فيه من يملكُ شعاراً أكثرَ إثارةً وتقدميةً.

إعلامٌ مضللٌ؛ يتحولُ فيه المستمعُ إلى صورةٍ ترىٰ الشمسَ طالعةً، ويصدقُ أن الجوَّ غائمٌ، والمطرُ منهمرٌ.

إنه المواطنُ العربيُّ المسكينُ بمظاهراتِه ولافتاتِه وشعاراتِه. لا يزالُ يخسرُ فلسطينَ، وينتصرُ على الورقِ. إلا أن يرحمَنا الله بأطفالِ الحجارةِ. يشهدُ تمزقَ لبنانَ، ويسمعُ الاتحادَ في المذياعِ.

وها هو الآنَ يشهدُ اغتيالَ دولةٍ عربيةٍ مسلمةٍ آمنةٍ مسالمةٍ ذاتِ سيادةٍ بعهودٍ ومواثيقَ. يشهدُها تُغتالُ أمامَ عينيه، ولا يزالُ يبحثُ عمن يُسمعُه انتصاراً موهوماً، أو مذياعاً يعلنُ له انتصارَ شعارٍ من الشعاراتِ التي ملأتْ الساحةَ العربيةَ منذُ دهرٍ.

ما من شيءٍ هَزَمَ العربيَّ المسكينَ في شارِعه كما هزمتْه هذه الشعاراتُ الكاذبةُ التي تتفنَّنُ وتُبهرجُ لتضفي على صاحبِها وزعيمِها عبقرياتٍ فذةٍ، وبطولاتٍ موهومةٍ. باسم هذه الشعاراتِ ضاعتْ مصالحُ الشعوبِ العربيةِ، وأصبحَ المواطنُ العربيُّ منفياً عن بلدِه باسم القوميةِ والوحدةِ العربيةِ. من تحتِ تلك اللوحاتِ والشعاراتِ مرَّ الفلسطينيُّ مشرداً في بقاعِ الأرضِ، وها هو الكويتيُّ يقسرونَه ليمرَّ من تحتِها، وابحثوا عنَ اللبناني.

قامَ قائمٌ من العربِ يتسنمُ قيادةً عربيةً باسمِ الدفاعِ عن البوابةِ

الشرقيةِ للعالمِ العربيِّ، واستعادةِ حقوقٍ كان يدَّعيْها، خاضَ هذا القائدُ معركةَ سنواتٍ ثمانٍ.. ضحَّىٰ بمئاتِ الآلافِ من شعبِ بلدِه، وضحَّىٰ معه إخوانٌ له من العربِ، بقلوبهم ودمائِهم وأموالِهم.. حتى إذا استبانتْ الحقائقُ وانكشفتْ الأوراقُ، انتهىٰ الأمرُ إلى لعبةٍ هزيلةٍ ذهبتْ معها تلك الدماءُ هدراً، وأحلامُ الملايين هباءً.

لم يكنْ الباعثُ لحربِ السنواتِ الثمانِ عنده سوى أطماعٍ شخصيةٍ، وأغراضِ عظمةٍ فرديةٍ. ها هو صدَّامُ البوابةِ الشرقيةِ ينسحبُ بقادسيتِه ليتوجَه غرباً، ليكونَ أكبرَ خطرٍ يهددُ هذه البوابةَ.. ليقومَ باكتساحٍ تترِيٍّ لا يرعىٰ حُرمةَ النفسِ أو دينٍ أو جوارٍ. لينقلَ تلكَ القوىٰ والجنود على حدودِ دولةِ البلادِ المقدسةِ.

ومع كلِّ هذا ـ أيها الإخوةُ ـ لا يزالُ هذا المواطنُ العربيُّ تحتَ غشاوةِ تلك الشعاراتِ ـ لا يزالُ يستمرئُها، ويمدُّ يديه ويفغرُ فاه، يريدُ أن يتلقىٰ المزيدَ منها.

لا يزالُ يلوك تلك الشعاراتِ.. وهو يرى رمزاً من رموزِها يفرضُ ما يريدُ بفوهاتِ المدافعِ، وجنازيرِ الدباباتِ مع الأكاذيبِ، والخياناتِ للعهودِ والوعودِ. والتهديدِ بأنواعِ التدميرِ.

لا يزالُ هذا المواطنُ يصدقُ أن الحربَ هي استعدادٌ لتحريرِ فلسطينَ، وهو يرىٰ بعينيه أن الدباباتِ وجيوشَها تخطىءُ طريقَها إلى القدسِ.. والدمُ الذي يُهدَرُ هو دمُ كويتيٍّ عربيٍّ مسلم، وأن الوطنَ العَربي يزدادُ وطناً سليباً جديداً ـ هو الكويتُ، ولكن

السالبَ هذه المرةَ ليس يهودياً؟ ولكنه عربيٌّ.

إن العربيَّ المسكينَ قد صنعتْه الشعاراتُ وضيعتْه، تَشرَّبَها وازدادتْ عنده كثافتُها حتى حجبتْ شمسَ الحقيقةِ، وازداد بُعداً عن مواجهةِ واقعهِ.. ومعرفةِ حقيقةِ ما يدورُ حولَه.

إعادةُ توزيعِ الثروةِ. شعارٌ جديدٌ يريدُ بموجبِه القائدُ الملهمُ صرفَ النظرِ عَن ثرواتٍ امتلكَها من بلدِه وإخوانِه.. فأين صرَفها؟ وماذا استفادَ منها؟ لقد أنشبَ حروباً طاحنةً، وأهدرَ دماءً زكيةً، وأضاعَ ثرواتٍ عربيةٍ، وما حررَ أرضاً ولا صانَ عرضاً، وما استعادَ حقاً ولا وطّنَ أمناً، والدعوةُ الصادقةُ العاقلةُ أن يلتزمَ بإعادةِ تجميعِ ما بدَّده من تلك الثرواتِ.

أما الإمبرياليةُ والرجعيةُ، فتلك شعارتٌ بائدةٌ باليةٌ شَبعَ منها المهازيلُ.

إنه الأسفُ كلُّ الأسفِ أن تمرَّ هذا البلايا والمحنُ من هلاكٍ دولٍ، وفناءِ شعوبٍ ثم لا يزالُ العقلُ العربيُّ سُوقاً نافقةً لهذه الترهاتِ، لا يحرِّكُه شيءٌ كما تحرِّكه هذه الشعاراتُ البراقةُ الزائفةُ. يجهلُ حقائقَ التاريخِ، ويجهلُ سننَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

ولأن سوقَ الشعاراتِ رائجةٌ؛ فقد رفعَ شعارَ الجهادِ، إن الجهادَ ـ أيها الإخوةُ ـ شيءٌ محببٌ للنفوس المؤمنةِ، وهو ذروةُ سنام الإسلام، وبه عزُّ الأمةِ ولا شكَّ. ولَكن أما يتساءلُ أبناءُ الشارعِ العربيِّ: من هو رافعُ هذا الشعار؟ ومتى رفعَه؟ ولماذا رفعَه؟ وأين هو من أفغانستان الصامدةِ؟.

يريد أبناءُ الشارعِ العربيِّ أن ينضووا تحت لواءِ من لا يعرفونَ

انتماءَه؟ ألا يعرفون أنه لا يزالُ مصراً على الحنثِ العظيم. قبلَ اجتياحِ الكويتِ الآثم بيومٍ واحدٍ، كانت الصحفُ السيارةُ قد نشرتْ دستورَ بلادِه وقالتْ: قد حُذفَ النصُّ الذي يجعلُ دينَ الدولةِ هو الإسلام. وعنده في مبادئِه المنتمي إليها: إن الرجعيةَ الدينيةَ إحدى المخاطرِ الأساسيةِ التي تهددُ الانطلاقةَ التقدميةَ.

ومع شعارِ الجهادِ رفعَ شعارَ (الدفاع عن المقدساتِ). لقد رفعَها قومٌ من قبلِه وكانوا خائبين. وقد كان من خبرِه وخبرِهم أن حاربَ أولئك القومَ ونازلَهم، وها هو الآن يدعو بدعوتِهم.

سبحانَ اللهِ ـ عبادَ الله ـ هل هو تواطؤ من أعداءِ هذا الدينِ في الداخلِ والخارجِ.. من أجلِ الصرفِ عن القضيةِ المقدسةِ الكُبرىٰ... قضيةِ بيتِ المقدس؛ ليستطيلوا على الحرمين الشريفين الآمنين. ولِيجعلُوهما مضغةً في أفواهِهم، وملهاةً لمن يُصفِّقون من ورائِهم.

هل نداءُ المقدساتِ وحمايةُ الحرمين يستحقُّ أن يرفَعه من سرقَ دولةً، وفرَّق وَحدةً، وروَّع آمنين، وشرَّد مُسالمين.

أيُّ حرماتٍ محترمةٍ؟؟ وقد علم أهلُ الإسلامِ أن حرمةَ المسلم عند اللهِ ـ أعظمُ من حرمةِ هذا البيتِ المعظمِ، أم أنها يدٌ تُذَبِّحَ وفم يُسَبِّح.

معاشرَ الإخوةِ، لا يجوزُ أن يُتَّخَذَ الإسلامُ وشعائرُه وسيلةً لتُجفَّفَ بها الأيدي من دماءِ الأبرياءِ، ويُمررَ من خلالِها جرائمُ النهبِ والسرقةِ.. تلك الجرائمُ الصارخةُ التي أجمعَ أهلُ الأرضِ قاطبةً على استنكارِها.

أمامَ كلِّ هذا ـ أيها الإخوةُ ـ وبُعداً عن المزايدةِ في الشعاراتِ، وأمامَ الحقائقِ الناصعةِ، ومن أجلِ وضعِ الأمورِ في نصابِها وحفظاً للعهودِ والمواثيقِ والحرماتِ؛ فإن نُصرةَ المظلوم متعينةٌ، والسعيَ في دفعِ الشرِ المتوقعِ متحتمٌ، وحمايةَ الحدودِ شيءٌ لازمٌ، وبخاصةٍ في مواجهةِ من تُخشىٰ خيانتُه، ولا يؤمنُ غدرُه.

وبناءً عليه فإن ما قامَ به وليُّ أمرِ هذه البلادِ ـ حفظه اللهُ ـ من الاستعدادِ بما استطاعَ من قوةٍ شيءٌ سائغٌ بل متعينٌ.. حفاظاً على العبادِ والبلادِ، وحمايةً للمقدساتِ وقاصديها، وحكمُه في دينِ اللهِ ظاهرٌ.

وأولُ عُدةٍ وخيرُ زادٍ أمامَ هذه الابتلاءاتِ تقوىٰ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وصدقُ التعلقُ به. فمن يتقِ اللهَ يجعلْ له مخرجاً، ويرزقه من حيثُ لا يحتسبُ، ومن يتوكلْ على اللهِ فهو حسبُه، فاتقوا اللهَ حقَّ التقوى، وتوَّكلُوا عليه وأنيبوا إليه واستغفروه.

توجهوا إلى ربِّكم ـ رحمكم الله ـ واسألوه أن يكشفَ عن أمةِ الإسلامِ هذا البلاءِ ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الدخان: ١٢].

لا إله إلا أنتَ سبحانَك إنا كنا من الظالمين.

اللهم ربَّنا عزَّ جارُك، وجلَّ ثناؤُك، وتقدستْ أسماؤُك. اللهم لا يُردُّ أمرُك، ولا يهزمُ جندُك.. سبحانَك وبحمدِك، اللهم انصرْ جُندَك وأيِّدهم. اللهم آمنْ خوفَهم، واربطْ على قلوبِهم، واحفظْ دينَهم، وانصرْهم على عدوِّك وعدوِّهم.

ربنا اغفرْ لنا ذنوبَنا وإسرافَنا في أمرِنا، وثبت أقدامنا وانصرْنا على القومِ الكافرينَ. اللهم إنا نعوذُ بكَ من جَهدِ البلاءِ، ودَرَكِ الشقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ. ونسألكُ خشيتكَ في الغيبِ والشهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، والقصدَ في الفقرِ والغنىٰ. وأحسنْ اللهمَّ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجرْنا من خزيِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ.. سبحانَك لا ملجأَ ولا منجا منكَ إلا إليك.

اللهم فرِّجْ همَّ المهمومين، وفكَّ أسرَ المأسورين، وكنْ للأراملِ واليتامىٰ والمساكين، والمحصورين والمشردينِ.

اللهم ردَّ عنا كيدَ الكائدين، وعدوانَ الغاشمين، واقطعْ دابرَ الفسادِ والمفسدين.

سبحان ربِّك ربِّ العزةِ عما يصفونَ، وسلامٌ على المرسلينِ والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

# غـزو الكويت
# بين الاحتراف في الإجرام والتضليل في الإعلام

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين. ولا عدوانَ إلا على الظالمين. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفره. مزيلُ الهمِّ، وكاشفُ الغمِّ. مولى النعم، وصارفُ النقم. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه. ذو الشرفِ الأسنىٰ، والخلقِ الأشمِّ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى أصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان وسلَّمَ.

أما بعـدُ:

فيا عبادَ الله، إذا استحكمتْ الأزماتُ، وترادفتْ الضوائقُ؛ فلا مفزَعَ إلا إلى اللهِ، ولا مخرجَ إلا بالإيمانِ به ـ سبحانه ـ والتوكلِ عليه، وحسنِ الصبرِ فيه: هو النورُ العاصمُ من التخبطِ في الظُّلَمِ، والدرعُ الواقي من اليأسِ والقنوطِ في المدلَهِمِّ.

من آمنَ باللهِ، وعرفَ حقيقةَ دنياه، وطَّن نفسَه على احتمالِ المكارِه، وواجَه الأعباءَ مهما ثقُلتْ ، وحَسُنَ ظنُّه بربِّه وأمَّلَ فيه حُسنَ العواقبِ بقلبٍ لا تشوبُه ريبةٌ، ونفس لا تزعزعُها كربةٌ مستيقناً أن بوادرَ الصفا لابدَّ آتيةٌ ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ

﴿عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ۝١٨٦﴾ [آل عمران: ١٨٦].

والإنسانُ الجزوعُ له من سوءِ الطبعِ ما ينفِّرهُ من الصبرِ، ويضيقُ عليه مسالكَ الفرجِ.. فإذا ما نزلَتْ به نازلةٌ، أو حلتْ به كارثةٌ.. ضاقتْ عليه الأرضُ بما رحُبتْ، وتعجَّلَ في الخروجِ، متعلقاً بما لا يضرُّه ولا ينفعُه، وضَعْفُ اليقينِ يصدُّ عن الحقِّ، ويُضلُّ عن الجادةِ.

وكذلك تفعلُ الشدائدُ بالأمم والجماعاتِ.. فلا يبقى صامداً إلا أصلبُها عوداً، وأقواها طبيعةً، وأشدُّها اتصالاً باللهِ، وثقةً فيما عنده من الحسنين: النصرِ والأجرِ.

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ وآمنوا برسولِه يؤتكم كفلين من رحمتِه، ويجعلْ لكم نوراً تمشون به ويغفرْ لكم.

# من وحي أحداث الكويت (جدال عن الظلم والظلمة)

## الخطبة الأولى

الحمد للهِ قاصمِ الجبابرةِ قهراً، وكاسرِ الأكاسرةِ كسراً، وواعدِ المؤمنين من لدْنه نصراً. أحمد سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أرجوها عنده ذُخراً، وأشهده أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله. أعزَّ به بعد الذلةِ، وأغنى به بعد العَيْلَةِ، وجمع به بعد الفُرقةِ. . فعلتْ به أمته ذكراً، وشُرفتْ به قدراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فعليكم بتقوىٰ الله ـ عبادَ الله ـ فتقوىٰ اللهِ فيها المخرجُ من كلِّ ضيق، والنجاةُ من كلِّ كربٍ.

أيها الإخوةُ المسلمون، لقد تحولت أمةُ الإسلامِ في هذه الأعصارِ إلى كياناتٍ مقطعةٍ، وقومياتٍ مشتتةٍ. . خربتْ فيها أفئدةٌ كثيرةٌ، وأخلدَ إلى الأرضِ جموعٌ متناثرة، في عواطفَ جياشةٍ، وأهواءَ موزعةٍ.

ولقد أسهمتْ مخططاتُ الأعداءِ في الداخلِ والخارجِ إسهاماً كبيراً. . في بثِّ بذورِ الفُرقةِ، وتعاهدِها بالسقي والرعايةِ. إن لهم

من المخططاتِ ما يفوقُ الوصفَ، ويعجَزُ عنه التعبيرُ. إنهم وراءَ كلِّ نكبةٍ نُكبتْ بها هذه الأمةُ.. إنهم يستميتون ليروها شِيعاً منحلَّةً، ودويلاتٍ متدابرةً.. يثورُ بينها النزاعُ، وتتسعُ فيها الشُّقةُ.

ومن أعظمِ مخططاتِهم.. أن يَجدُوا أو يُوجِدُوا زعامةً تكون طرفاً ناتئاً.. ذاتَ نفسيةٍ شاذةٍ.. ليستمكنوا منها، ويجذبوا الأمةَ كلَّها عن طريقِها. وإذا نجمتْ بوادرُ الفرقةِ رأيتَ المتربصين والانتهازيين يلتفون حولَ هذا الشاذِّ، وفي الحديثِ الصحيح..«... **ومن خرجَ على أمتي، يضربُ برَّها وفاجرَها، ولا يتحَاشى من مؤمنِها، ولا يفي لذي عهدٍ عهدَه، فليس مني ولست منه**»[1]. أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة.

والفتوقُ الشنعاءُ التي انهدتْ لها أركانُ الإسلامِ وأمةُ الإسلامِ. ما زالت تنْبعُ من هؤلاءِ الشذاذِ.

وممن يُنْظَمُ في سلكِ هؤلاء حاكمُ بغدادَ وظالمُها.

إنها زعامةٌ ما وصلَ إليها وأمثالُه، إلا على جماجمِ الخصومِ، وجماجمِ الرفاقِ من بني وطنِه وجلدِته.. حماماتٌ من الدماءِ لا تنتهي.. مع استهانةٍ بالشعوبِ، وإرخاصٍ للنفوس، وإباداتٍ جماعيةٍ.. يقتِّلون بكلِّ سلاحٍ حتى الجرثوميُّ منها والسامُّ. نهبٌ للأموالِ، وانتهاكٌ للأعراضِ، وخفرٌ للذممِ، وخيانةٌ للعهودِ.

إن هذا وأمثالَه يتلبَّسون بكلِّ لباسٍ، ويتمسحون بكلِّ مسوحٍ،

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٧٧ ـ ح١٨٤٨).

يحقِّقون أمجادَهم الذاتيةَ، وتطلعاتِهم الشخصيةَ باسم اللهِ وباسم الدينِ، وماضيهم وحاضرُهم أسْودُ كالحٌ. عبثوا بالمفاهيم والمصطلحاتِ حتى أدخلوها في قراراتِهم وأوامرِهم. تحدَّثَ عن الإسلامِ وانتسب إليه من لم يصلِّ للهِ ركعةً، وما عرَف إلى المسجدِ طريقاً، ولا غضَّ عن محرمٍ، ولا عفَّ عن محظورٍ.

بل إن ماضيَه في مصادرةِ أهلِ الإسلامِ، ووأدِ حركاتِه.. لماضٍ عريقٌ.

ثم يتحدَّثون عن المقدساتِ والمكتسباتِ والثرواتِ، وما ضيعَ كلَّ هذا إلا هم وأمثالُهم.

كيف يتباكىٰ على الدينِ من لا يرعىٰ له حرمةً، ولا يرعىٰ للأمةِ التي تعتصمُ به ذمةً.

إن الجبارَ الطاغيةَ يثقلُ به هواه فَيُخْلد إلى الأرضِ، وتجرُّه نوازعُه فينحدرُ إلى مكانٍ سحيقٍ. يقارنُ ذلك تكبرٌ واستعلاءٌ.. يُعمي عن سماع الحقِّ والانصياع له: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦﴾ [الأعراف: ١٤٦].

إن صاحبَ الطغيانِ لا يُبالي في ارتكابِ الآثامِ، واقترافِ المظالمِ، بل إنه ليدوسُ كلَّ كرامةٍ، ويجتاحُ كلَّ خُلقٍ في سبيلِ إرضاءِ تطلعاتِه الآثمةِ.

والرائدُ في ذلك رئيسُ الظلمة وإمامُ الطغاةِ فرعونُ الغريقُ: ﴿... مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩].

وقد تشبَّثَ فرعونُ بالإسلام تشبَّثَ الغريقِ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس: ٩٠ ـ ٩١] ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ ﴾ [غافر: ٨٤ ـ ٨٥].

لقد عظُمَ البلاءُ أيها الإخوةُ، حتى نطقَ الأخرسُ، وتكلَّمتْ الرويبضةُ، وهاجمَ من لا يستطيعُ الدفاعَ عن نفسِهِ، وأمسىٰ من لا رأي له هو صاحبَ الرأيِ المقدَّمِ.

ووسَّعتْ كثيرٌ من الصحفِ، ووسائلِ الإعلامِ صدورَها للتافهين والثرثارين.. فكتبوا ولفظوا، وبئس ما قالوا وما كتبوا.

ولقد عظُم البلاءُ.. حتى تدحرجتْ جميعُ قضايا الأمةِ.. تحتِ أقدامِ اليهودِ، وما كسَبَ اليهودُ مثلَ ما كسَبوا من هذه الفتنة التي أثارهاَ هذا الظالمُ الحاقدُ وشيعتُه، لقد كسَب اليهودُ مالاً وسياسةً وقوةً.

أيها الإخوةُ، إن هذه الجرأةَ على اللهِ، وعلى الناسِ لم تكن لتوجدَ لولا الممالأةُ، وتزيينُ الباطل، والجدالُ عن المبَطلين.

إنِ الظالمَ لا يستمرىءُ الظلمَ ولا يستمرُّ فيه.. ما لم يكنْ له أعوانٌ من الناس.. يطمئنُّ بهم على حياتِه، وينفخونَ فيه حبَّ التسلطِ والقهرِ: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٣] ومداهنةُ الظالم ومنافقَتُه تشعرانِه بأنه مرغوبٌ فيه، وقد علمَ العقلاءُ أنه لايتقرَبُ إلى الظلمةِ إلا الانتهازيون والوصوليون. وما يجتمعُ

حول الظالمِ إلا عصاباتُ المجرمين والسفاحين، وأصحابُ الضمائرِ الخرِبةِ والذممِ الهالكةِ، وحينئذٍ يستفحلُ الشرُّ، ويعمُّ الطغيانُ، ويضيقُ المخرَجُ، ويستعصي الخلاصُ.

لا شيءَ يؤنسُ الظالمَ، ويُذهبُ وحشتَه، ويُرضي غرورَه إلا تبعيةُ النفعيين، وبهرجةُ الغوغاءِ، وملَقُ المنافقين.

ويظهرُ بظهورِ الطاغيةِ طوائفُ من الجلادين.. قساةِ القلوبِ.. فاقدي المشاعرِ. لا يأتمرون إلا بأمرِه، ولا تتفتَّقُ لهم عبقريةٌ إلا في التعذيب والإيذاءِ وصبِّ ألوانِ النكالِ فوقَ الرؤوسِ. وهذه الطبقةُ تفوقُ الوحوشَ الضاريةَ في هتكِ الحرماتِ، وقهرِ النفوسِ، وإذلالِ العبادِ.

يصاحبُ ذلك - أيها الإخوةُ - إهانةٌ للكلمةِ، وعبثٌ بالمصطلحاتِ.. في مقدرةٍ ماكرةٍ على قلبِ الحقائقِ، والتلاعبِ بالألفاظِ.. يتحولُ بها الظلمُ عدلاً، ونهبُ البلادِ، وتشريدُ أهلِها بطولةً ووطنيةً، والتدميرُ والإرهابُ وقتلُ الأبرياء جهاداً واستشهاداً، كافرُ الأمسِ يصبح مسلماً، والمسلمُ يصبح مرتداً، والشعوبُ المقهورةُ خلفَ هذه الكلماتِ الجوفاءِ تصفقُ وتهللُ.. مخدوعةً بالألفاظِ، موعودةً بالشعاراتِ، وكأنَّهم لم تمضِ عليهم تجاربُ، ولم تمرَّ بهم سنونَ عجافٌ.. عانوا فيها من أمثالِ هؤلاءِ الزعماءِ قبلَ الأعداءِ.

وحظٌّ كثيرٍ من وسائلِ الإعلامِ في بلادِ الإسلامِ في هذا وافرٌ.. تجادلُ عن الظالمين، وتنشطُ في التحليلاتِ والتعليقاتِ... يصاحبُ ذلك شائعاتٌ تُبثُّ، وتأويلاتٌ تُتعسفُ.. يُقصدُ منها

حملُ القارئِ والمستمعِ على رأيٍ معينٍ، ولو كان مجافياً للحقِّ، بعيداً عن الصوابِ.

والتهاونُ في نقلِ الكلامِ، وبثَّ الأنباءِ، وبخاصةٍ في أجواءِ الفتنِ.. لا يقلُّ في محنتِه عن محنةِ الحربِ نفسِها.

إن محنةَ الشائعاتِ محنةٌ شديدةٌ.. تتولدُ في مستنقعاتِ الترويجِ، وتكْبرُ وتنمو في التعليقاتِ المشبوهةِ.. يُطلقُها لسانٌ أجيرٌ، أو قلمٌ ضالٌّ، وقد يصاحبُ ذلك نوايا سيئةٌ، ومقاصدُ مدخولةٌ.. مُرادُها زعزعةُ النفوسِ الآمنةِ، ونزعُ الثقةِ من الصدورِ المطمئنةِ.

ومروِّجُ الأنباءِ الكاذبةِ يقترفُ إثماً عظيماً.. أوَّلُه إفكٌ، وأوسطُه فتنةٌ، وآخرُه شقاءُ البلادِ والعبادِ. «.. **ومن كان يؤمنُ باللهِ واليومِ الآخرِ فليقلْ خيراً أو ليصمتْ**»[1]. متفق عليه من حديثِ أبي شريحٍ.

وكثيرٌ من أصحابِ القلوبِ الحاقدةِ لا يستريحون إلا إذا أَرْغَوا وأزبَدوا وآذَوْا وأفسدوا، ورُبَّ كلمةِ شرٍّ من هؤلاء تموتُ في مكانِها لو تُركتْ حيثُ قيلتْ. ولربَّ مقالةِ سوءٍ أيقظتْ فتنةً، وسَعَّرتْ حرباً؛ لأن غِراً من الأغرارِ نقلَها، أو حاقداً سيءَ الطويةِ أوَّلها ونفخَ فيها.. فأصبحتْ ناراً تنقلُ الويلاتِ، وتنشرُ الخطوبَ، وتُفزعُ الأمنينَ.

أيها الإخوةُ في الله، إن ذلكم هو سرُّ النزيفِ الدائمِ في جسدِ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٦٠ ـ ح٦٠١٨)، ومسلم (١/ ٦٨ ـ ح٧٤).

هذه الأمةِ التي ضيعتْ انتماءَها، وعَبدَتْ الأشخاصَ، وخُدعت بالكلماتِ، وزُيِّفتَ لها الشعاراتُ.

إن الغدرَ التاريخيَّ، والعقوقَ المعلنَ على الأقربين والجيرانِ، وخيانةَ العهودِ، وخفرَ الذمم، وممالأة الظالمين.. لا يمكنُ أن يمرَّ بدونِ عقابٍ إلٰهي، أو يُفَلتَ من قبضةِ الحَكَمِ العدلِ.

وليعلـمْ الجنسُ العـربـيُّ .. أن الحقـدَ والعنـادَ والعُتُـوَّ هـو الميراثُ السيءُ من القبليةِ المقيتةِ، ولن تُمحىٰ هذه الأحقادُ إلا حينَ تُمحىٰ الفواصلُ والحواجزُ بالإسلام الجامع، ويتوحدُ التطلعُ إلـى عقيـدةِ التـوحيـدِ وشـريعـة الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢ ـ ٦٣].

# من وحي أحداث الكويت (جدال عن الظلم والظلمة)

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ فتح أبوابَ السعادةِ لمن شاءَ من عبادِه. أحمده سبحانه وأشكره منحَ أسبابَ الشهادةِ لمن اصطفاه وخصَّه بإسعادِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وأنصارِه وأجنادِه.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها المسلمون ـ واعلموا أن أبوابَ الشهادةِ في الإسلام واسعةٌ.. ليست محصورةً في بابِ الجهادِ في سبيلِ اللهِ. أخرج الإمامُ مسلمٌ في صحيحِه من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما تعدُّوه الشهيد فيكم؟**» قالوا يا رسولَ الله من قُتلَ في سبيلِ اللهِ فهو شهيد. قال: «**إن شهداءَ أمتي إذاً لقليلٌ...**»[1] الحديث.

والمسلمُ ـ أيها المسلمون ـ له عندَ الله حرمةٌ عظيمةٌ لا يجوزُ الاعتداءُ علَيه لا في نفسِه ولا مالِه ولا أهلِه، ولا يجوزُ إخراجُه من ديارِه بغيرِ حقٍّ. وإذا ما أرادَ معتدٍ تجاوزَ ذلك وإيذاءَ المسلمِ

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢١ ـ ح١٩١٥).

فله أن يدفعَ عن نفسِه، ويدافعَ حتى قال عبدُالله بنُ المبارك: يقاتلُ من أجلِ مالِه ولو درهمين.

وفي التنزيل: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا﴾ [البقرة: ٢٤٦].

وإن ما ابتلى به أهلُ الجزيرةِ في هذه الأيامِ في الكويتِ ودولِ الخليج يحتمُ عليهم الوقوفَ من أجلِ حمايةِ الأنفسِ والأهلين والأعراضِ والديارِ. وقد أخرجَ مسلمٌ واللفظُ له وأحمدُ من حديثِ أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ إن جاءَ رجلٌ يريدُ أخذَ مالي؟ قال: «**فلا تعطِه مالك**». قال أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتلْه**». قال: أرأيتَ إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيدٌ**». قال: أرأيتُ إن قتلتُه؟ قال: «**هو في النارِ**»(١).

وفي البابِ أحاديثُ كثيرةٌ، وقد علّق عليها الإمامُ الخطابيُّ ـ رحمه الله ـ تعليقاً دقيقاً فقال: قد ندبَ اللهُ سبحانه في غيرِ آيةٍ من كتابِه إلى التعرضِ للشهادةِ، وإذا سمىٰ رسولُ الله ﷺ هذا شهيداً؛ فقد دلَّ ذلك على أن من دافعَ عن مالِه أو عن أهلِه أو عن دينِه إذا أُريدَ على شيءٍ منها فأتى القتلُ عليه كان مأجوراً نائلاً به منازلَ الشهداءِ. قال: وقد كره قومٌ زعموا أن الواجبَ عليه أن يستسلمَ ولا يقاتلَ عن نفسِه، وذهبوا في ذلك إلى أحاديثَ رويتْ في تركِ القتالِ في الفتنِ وفي الخروجِ على الأئمةِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٢٤ ـ ح١٤٠).

قال الخطابيُّ: وليس هذا من ذلك في شيءٍ؛ إنما جاء هذا في قتالِ اللصوصِ وقطاعِ الطريقِ، وأهلِ البغيِ والساعين في الأرضِ بالفسادِ، ومن دخلَ في معناهم من أهلِ العبثِ والإفسادِ؛ لأن في الانقيادِ لهم ظهورَ الفسادِ في الأرضِ، واجتراءَ أهلِ الطغيانِ على العدوانِ. انتهى كلامه رحمه الله.

وما ابتلى به أهلُ الجزيرةِ هو لصوصيةٌ وسطوٌ مسلحٌ وبغيٌ وسعيٌ في الأرضِ بالفسادِ.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ والتمسوا طرقَ السعادةِ في أبوابِ الشهادةِ.

# بعد اندحار العدوان (انقشاع الغمة والشكر على النعمة)

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ على كلِّ نعمةٍ، والشكرُ له على آلائِه الجمةِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له.. كشفَ الكُربةَ، وأزالَ الغُمةَ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بعثَه في الأميين بالكتابِ والحكمةِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والقادةِ الأئمةِ، والتابعين ومن تبعِهم بإحسان.

أما بعدُ:

فيقول الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المائدة: ١١].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إنها آيةٌ كريمةٌ من كتابِ اللهِ المعجزِ.. تُذَكِّرُ المؤمنين بما يُحاكُ لهم من كيدِ الأعداءِ، ومكرِ الماكرين.. فيأتي اللهُ بفضلِه ونعمتِه، ليحيطَ المؤمنين بعنايتِه وكلاءَتِه.

إنها منةٌ عُظمىٰ يجب على المؤمنِ معرفتُها واستيقانُها، وشكرُ اللهِ عليها.

إنه حفظُ لأهلِ الحقِّ والإيمانِ، يحفظهم بحفظِه، ويُتمُّ عليهم نعمتَه، ويبلوهم أيُّهم أحسنُ عملاً.

وخُتمتْ الآيةُ بالوصيةِ بالتقوىٰ والتوكلِ: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ

﴿فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [المائدة: ١١] فهو سبحانه ـ هو الذي كفَّ أيدي هؤلاءِ القومِ.. بعد ما حاولوا النيلَ من أهلِ الحقِّ. كفَّ أيديَهم فلم يستطيعوا بلوغَ ما هموا به.

اتقوا اللهَ الذي أراكم قدرتَه، وتوكلّوا عليه وحدَه.. فقد رأيتم عنايتَه. اعملوا شكراً وارفعوا أيديَكم دعاءً وتَضرُّعاً، وارعوا سننَ اللهِ في اتقاءِ ما يُخشىٰ، وَمَنْ تنكبَ سننَ اللهِ وخالفَ شرَعه؛ فقد ابتعدَ عن التقوىٰ وصدقِ التوكل. جعلنا اللهُ وإياكم ممن وعىٰ نُذُرَه، وعقلَ أمرَه.

أيها الإخوةُ، اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم، والْهَجُوا بشكرِه وذكرِه، وأثنوا عليه بما هو أهلُه.

اللهم لك الحمدُ ربَّنا.. كما خلَقتنا ورزقتَنا، وهديتَنا وعلمتَنا، وأنقذَتنا، وفرَّجتَ عنا، لك الحمدُ بالإسلام والقرآنِ، ولك الحمدُ بالإهلِ والمالِ والمعافاةِ، كبتَّ عدوَّنا، وبسطْتَ رزقنَا، وأظهرتَ أمتَّنا، وجمعتَ فُرقتَنا، وثبتَّ أمننَا، وأحسنتَ معافاتَنا، ومن كلِّ ما سألناك ربَّنا أعطيتَنا، فلك الحمدُ على ذلك كثيراً، ولك الحمدُ بكلِّ نعمةٍ أنعمتَ بها علينا.. في قديمٍ وحديثٍ، أو سرٍّ وعلانيةٍ، أو خاصةٍ أو عامةٍ. أعطيتَ خيراً كثيراً، وصرفتَ شراً كثيراً.. فلوجهِك الكريم الحمدُ كلُّه حتى ترضىٰ، ولك الحمدُ إذا رضيتَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

يا ربَّنا كم من نعمةٍ أنعمتها علينا قلَّ فيها شكرُنا، وكم بليةٍ ابتليتَنا بها قلَّ فيها صبرُا، فيا من قلَّ شكرُنا عند نِعَمِه فلم يحرمْنا، ويا من قلَّ صبرُنا عند بلائِه فلم يخذُلنا ، ويا من رآنا

على الذنوبِ فلم يفضحْنا، ولم يهتكْ سترَنا، وياذا المعروفِ الذي لا ينقضي، وياذا النعمةِ التى لا تَحُول ولا تزولُ.. اغفرْ لنا وارحمنا، وزدْنا ولا تنقصْنا، وأعطِنا ولا تحرمنا، وأكرمْنا ولا تُهنَّا، وصلِّ على نبيِّنا وآلِه.

ثم لِتعلموا ـ رحمني الله وإياكم ـ أن حقيقةَ الحمدِ والشكرِ للهِ ربِّ العالمين.. أن يُطاعَ أمرُه، وتجتنبَ معاصيه.. مع الحرصِ على مداومةِ ذكرِ النِّعم، وشدةِ الخوفِ من حلولِ النقم.. يصاحبُ ذلك حياءُ العبدِ من ربِّه كلَّما تذكرَ إحسانَه.

والشكرُ يظهرُ على اللسانِ اعترافاً وثناءً، وعلى القلبِ محبةً وخضوعاً، وعلى الجوارحِ انقياداً وطاعةً.

وفي كتابِ ربِّكم تأكيدٌ على أن الشكرَ هو مظهرُ العبادةِ الحقةِ ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾﴾ [النحل: ١١٤].

وقد علم عدوُّ اللهِ إبليسُ منزلةَ الشكرِ.. فانْصبَّ توعدُه لبني آدمَ بحرمانِهم من الشكرِ: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٧].

معاشر الإخوةِ، إن فضلَ اللهِ لا يقفُ عند حدٍّ، ونعمتَه لا تقعُ تحت عدٍّ. نِعَمٌ تترىٰ، وفضلٌ يتوالىٰ، والبشرُ عاجزون عن بلوغِ حدِّ الشكرِ حتى قال بعضُ العلماءِ: أصبحَ بنا من نعمِ اللهِ ما لَا نحصيه، مع كثرةِ ما نعصيه، فما ندري أيُّها نشكرُ؟ أجميلُ ما ظهرُ؟ أم قبيحُ ما ستر؟؟.

ماذا يملكُ الإنسانُ الضعيفُ، محدود القدراتِ، قليلُ الجهدِ.. أمامَ نعمٍ تغمرُه من فوقِه ومن تحتِه، وعن يمينِه

وشماله، وفي نفسه وما حولَه ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ولكن من رحمةِ اللهِ وعظيم فضلِه.. أن يوفقَ عبدَه للشكرِ، يلهجُ به لسانُه، ويطمئنُ به قلبُه، وتقومُ به جوارحُه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ [الأحقاف: ١٥] ومن عظيمِ لطفِه ومزيدِ إحسانِه أن قرنَ بالشكرِ المزيدَ، فالشاكرون هم أهلُ الزيادةِ. وعدٌ من اللهِ حقٌّ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ومن مأثورِ عليٍّ ـ رضي الله عنه ـ في ذلك: «إن النعمةَ موصولةٌ بالشكرِ، والشكرُ معلقٌ بالمزيدِ، وهما مقرونان جميعاً، فلن ينقطعَ المزيدُ من اللهِ.. حتى ينقطعَ الشكرُ من العبدِ».

ومع كلِّ هذا ـ أيها الأحبةُ ـ فإن كثرةً كاثرةً من البشرِ تذَهلُ عما يحيطُ بها ويكتنفُها من نعمِ اللهِ. تتقلبُ في خيراتِ اللهِ، وآلائِه غيرَ واعيةٍ لكثرتِها. أو محصيةٍ لعددِها، وغيرَ شاكرةٍ لمُسديها ومُوليها.

إن كثيراً من الناسِ يتقلبُ في نعمِ اللهِ، وكأنَّه يستردُّ حقاً له مسلوباً، أو ملكاً به خاصاً. ومن ثَمَّ فهو لا يرىٰ لأحدٍ فضلاً؛ بل إنه لِربِّه لَكنودٌ، يعدِّدُ المصائبَ وينسىٰ النعمَ.

إن هناكَ أقواماً يتقلبون في نعمِ اللهِ، ويملئون أجوافَهم بالطعامِ والشرابِ، ويتدثَّرون باللباسِ والكساءِ. ثم يمضونَ لشأنِهم، وكأنَّهم لا يدرون أن للهِ عليهم حقاً. إنهم كالدوابِّ تدسُّ فمَها في مِزْوَدِها.. حتى إذا شبعتْ انصرفتْ، وهذا هو حسبُها.

أين هذا من هدي محمدٍ ﷺ ومسلكِه، فهو الشاكرُ الذاكرُ يلهجُ بحمدِ ربِّه، ويشكرُ نعمةَ مولاه في عباراتٍ متعددةٍ، ومقاماتٍ متكاثرةٍ.. استمعوا إليه وهو يقولُ: «**إن الحمدُ للهِ الذي منَّ علينا وهدانا وأشبعنا وأروانا ومن كلِّ إحسانٍ آتانا**»[1] . إن هذه البشاشةَ المحمديةَ في استقبالِ النعمِ والاعترافِ بها، وشكرِ ربِّها العليِّ الأعلى - خيرُ سبيلٍ لاستبقائِها، والاستزادةِ منها.

هذا درسٌ من المحنةِ لنا أيها الإخوةُ. أما الدرسُ الآخرُ لإخوانِنا. فقد أفرزتْ هذه البليةُ إفرازاتٍ في بعضِ البلدان. حقٌّ على أمةِ الإسلامِ أن تراجعَ فيها حساباتِها. لقد زُعزعتْ الثقةُ في كثيرٍ من النفوسِ، واضطربتْ الأفكارُ في العقولِ، وتنامتْ الأحقادُ والضغائنُ، وتنازعتْ القلوبَ الأوهامُ والأهواءُ، أقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتلاومون.

وطريقُ الرجوعِ ورأبُ الصدوعِ.. في مراجعةِ الواقعِ، والصدقِ في المحاسبةِ، والإخلاصِ في النوايا.

فأربابُ الأقلامِ ورجالُ الإعلامِ، بأقلامِهم وألسنتِهم تُهدمُ عروشٌ وتُبنىٰ، وتنهارُ شعوبٌ وتحيا، وتُنْشَرُ الحقائقُ، أو تُطمرُ، يقون الأمةَ - إذا صدقوا - من سفهِ الجاهلين وكيدِ الحاقدين، ويجنِّبونَ الأكاذيبِ، وإيقاظَ الفتنِ، وخِداعَ العناوين.

طريقُ رأبِ الصدعِ بالرجوعِ الحقِّ إلى دينِ اللهِ، وارتفاعِ رايةِ

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة، وحسنه ابن القيم في زاد المعاد (٢/ ٤٠١)، وفي سنده محمد بن الزعيزعة، قال عنه البخاري وأبوحاتم: منكر الحديث، وأورد الذهبي هذا الحديث من مناكيره.

الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، والحكمِ بين الناسِ بما أنزل الله، وإصلاحِ مناهجِ التربية والتعليم.

إن التخليَ عن هذا الدينِ، أو التشكيكَ فيه والانفصالَ عن دوحتِه المباركةِ، والتخلفَ عن ركابِ محمدٍ ﷺ خسارةٌ ما بعدها خسارةٌ، وفرقةٌ ما بعدها اجتماعٌ. إنها القاصمةُ والحالقةُ، لا يعوِّضُ عنها لباقةٌ أو كياسةٌ، ولا يجدي معها حِذقٌ في رطانةٍ أو براعةٍ في تقليدٍ. إنه التلاشي والاضمحلالُ، ثم الهلاكُ والفناءُ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ﴾ [محمد: ٢٢].

المقطوعونَ عن اللهِ لا تتجاوزُ نظرتُهم الحياةَ الدنيئةَ بمتعِها. لا يتجاوزُ تطلُّعهم حدودَ مآربِهم الشخصيةِ؛ بل لا يتورعون عن قتلٍ وختلٍ وإفكٍ وغشٍ. فرقتهم السياساتُ المشئومةُ، وتداعتْ عليهم الذئابُ المسعورةُ.

ولعمرُ اللهِ إنهم لن يزالوا كذلك حتى يُطَهِّرَ الإيمانُ قلوبَهم، ويعيدَ بناءَهم وتماسكَه، ويرصَّهم في ميادينِ الإصلاحِ والجهادِ والألفةِ أشرافاً كرماءً. لابد من الالتفافِ حولِ دينِ اللهِ.. مصدرِ العزةِ والكرامةِ، وحصنِ المنعةِ.. تضامنٌ في الإسلامِ يجمعُ الشملَ المبعثرَ، ويقمعُ العصبياتِ، وينبذُ الشعاراتِ.

فاتقوا الله ـ رحمكم الله ـ واشكروا نعمَ اللهِ، واتعظوا بعبر الزمنِ، وتقلباتِ المحنِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

# بعد اندحار العدوان (انقشاع الغمة والشكر على النعمة)

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على ما أنعمَ وأسدىٰ، أحمده سبحانه، وأشكره وأتوب إليه وأستغفره.. من ذنوبٍ لا تعدُّ ولا تحصىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أَعْظِمْ به رسولاً وأَكْرِمْ به عبداً. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عباد الله ـ، واعلموا أن العملَ الجدِّ لا يكونُ على تمامِه، ولا يقومُ به صاحبُه على كمالِه، إلا حينَ يتهيأُ له تمامَ التهيؤَ فيستثيرُ في النفسِ همتَها، ويحدوه الشوقُ بمحبةٍ صادقةٍ ورغبةٍ مخلصةٍ، فاستثيروا همَمكم، وهيئوا أنفسَكم لاستقبالِ وافدٍ عظيمٍ، وزائرٍ كريمٍ. فإن بلوغِه وإدراكَه أمنيةٌ يتمناها المتعبدون، ويسألُها الصالحون: «اللهم بارِكْ لنا في رجبَ وشعبان وبلِّغنا في رمضان».

إن بلوغَ رمضانَ نعمةٌ كبرىٰ يقدِّرُها حقَّ قدرِها الصالحون المشمِّرون.

في شهرِ الصومِ تجديدٌ لِطَيْفِ الذكرياتِ، وعهودِ الطُّهرِ

والصفاءِ، والعفةِ والنقاءِ، تَرَفُّعٌ عن مزالقِ الإثم والخطيئةِ. إنه شهرُ الطاعاتِ بأنواعِها: صيامٌ وقيامٌ، جودٌ وقرآنٌ، صلواتٌ وإحسانٌ، تهجدٌ وتراويحٌ، وأذكارٌ وتسابيحٌ. له في نفوسُ الصالحين بهجةٌ، وفي قلوبِ المتعبدين فرحةٌ. وحسبُكم من فضائلِه أن أوَّله رحمةٌ، وأوسطَه مغفرةٌ، وآخرَه عتقٌ من النارِ. ولربَّ ساعةِ قبولٍ أدركتْ عبداً أحسنَ استقبالَ هذا الشهرِ فبلغ بها درجاتِ الرضا والرضوان.

فاتقوا اللهَ يرحمْكم اللهُ، وشمِّروا عن ساعدِ الجدِّ، واحفظوا أوقاتَكم، وانتهزوا أعمارَكم عسى ربُّكم أن يرحَمكم.

# نعوت أهل الإيمان، وصفات عباد الرحمن

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ، خلقَ الإنسانَ فسواه وعدَله، وعلى كثيرٍ من الخلائقِ كرَّمه وفضَّلَه، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بالحقِّ أرسله، وبخُلُق القرآنِ جَمَّله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأسوة الحسنة، والقدوةِ المفضَّلة، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، فمن اتقىٰ الله وقاه، ومن اعتمد عليه كفاه.

أيها الإخوةُ المسلمون: كتابُ ربِّنا يهدي للتي هي أقومُ، حقٌّ على كلِّ مسلمٍ أن يكونَ مع القرآنِ، تلاوةً وتدبراً وهدايةً وتطبيقاً.

القرآنُ الكريمُ وصفَ الحياةَ والأحياءَ، وكشفَ عن طبائعِ النفوس، وسننِ الكونِ. في القرآنِ الكريمِ الهدايةُ إلى النجدين، ووصفُ أحوال الفريقين، القرآنُ يأمرُ وينهى، ويعلِّمُ ويربي، يعظُ ويُذَكِّر، كلُّ ذلك من أجل الهدايةِ للتي هي أقومُ. وحين سُئلتْ

عائشةُ رضي الله عنها عن خلقِ النبيِّ ﷺ أجابت: كان خلقُه القرآنَ، ثم قرأت: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢].

معاشرَ الأحبةِ: وهذه وقفةٌ مع كتابِ اللهِ في أخلاقِ أهلِ الإيمانِ، وأوصافِ عبادِ الرحمنِ، أولي الألبابِ الصادقينِ، والأبرارِ المتقينِ. صفوةِ الخلقِ، وخلاصةِ البشرِ.

صفاتٌ تجمعُ أصولَ الاعتقادِ، وتكاليفَ النفسِ، وحقوقَ المجتمعِ، تجمعُها في وحدةٍ واحدةٍ، وكلٍّ لا يتجزأُ، وعُرَىٰ لا تنفصمُ، صفاتٌ عاليةٌ، ونعوتٌ جليلةٌ، يتطلعُ إليها أصحابُ الهممِ الكبرىٰ، والعزمِ الماضي. يستعينون باللهِ ولا يعجزون؛ لأن اللهَ يهبُ المعونةَ على قدرِ المؤونةِ، ويمنحُ التوفيقَ على قدرِ العزيمةِ، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ۝٦٩﴾ [العنكبوت: ٦٩] صفاتٌ تُطهِّرُ القلوبَ، وتُزكِّي النفوسَ، وتُنقِّي الضمائرَ، وتقي من الانحرافِ والفسادِ. أولُ هذه الصفاتِ نوعٌ متعلقٌ بأنفسِهم، وصلتِهم بربِّهم، فهم المؤمنون أهلُ التوحيد، ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] وأظهرُ مظاهرِهم الصلاةُ، فهم على صلاتِهم دائمون، وعليها يحافظون، وفيها خاشعون. خشوعٌ وخضوعٌ وذكرٌ وتذللٌ وخوفٌ ورهبةٌ: ﴿إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾ [الفرقان: ٧٣] بل هم في عبادةٍ وتبتلٍ، ليلُهم بالتهجدِ معمورٌ: ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ۝٦٤﴾ [الفرقان: ٦٤] ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: ١٧] يملأُ

جـوانحَهـم خـوفٌ رهيـبٌ بسببِ الإيمـانِ العميـقِ، والتصـديـقِ الدقيقِ: ﴿ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٥].

وأهلُ الإيمانِ وعبادُ الرحمن كما يحفظون حقَّ ربِّهم، فإنهم يحفظون حقَّ أمتِهم وإخوانِهم، يؤدون الحقَّ المعلومَ للسائلِ والمحروم، وهم للزكاةِ فاعلون و﴿ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧] يؤتون المالَ على حبِّه ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكينَ وابن السبيل والسائلين وفي الرقـابِ، إسعـافٌ للسـائـلِ مـن العـوزِ، ونجـدةٌ لابـن السبيـلِ المنقطعِ، فالمسلمون أهلُه، وبلادُ اللهِ وطنُه.

صورٌ من التكافلِ مع ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكينِ وابنِ السبيل، ترابطٌ بين الأقوياءِ والضعفاءِ، والصغارِ والكبارِ.

مؤمنون متقون، قلوبُهم من الشحِّ طاهرةٌ، ومن رِبقةِ الحرصِ منعتقةٌ، ومـن الأثَـرَةِ بريئـةٌ، فمـا عنـدَ اللهِ خيـرٌ وأبقـىٰ. تـأميـنٌ اجتماعيٌّ للأفرادِ والجماعةِ، ووقايةٌ لأهلِ الإسلامِ من التفككِ والانحلالِ. إنهـم بُـرءاءُ مـن عبـوديـةٍ تَستـذِلُّ النفـوسَ، وتُنكِّسُ الرؤوسَ، وتُذِلُّ أعناقَ الرجالِ.

أهلُ الحقِّ والإيمانِ قائمون بمسئولياتِهم على وجهِها من الودائعِ والعقودِ والنذورِ والعهودِ ﴿ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [المعارج: ٣٢] يراعونَها من جهةِ الحقِّ، ومن جهةِ الخلقِ، من غير غشٍ ولا خيانةٍ، لا في الصنائعِ، ولا في المعاملاتِ، لا يأتون الزورَ ولا يشهدونَ

مجالَسه ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ ﴾ [الفرقان: ٧٢].

في صفاتِهم الكريمةِ السلوكُ النزيهُ، والطهارةُ الأُسريةُ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٢٩) ﴾ [المعارج: ٢٩] قلوبُهم وأبصارُهم محفوظةٌ من التطلع إلى المحرَّم، وشهواتُهم ساميةٌ عن الانطلاقِ بغير حسابٍ، وآمنةٌ من فسادِ البَيوتِ، والأنسابِ، لا يخرِقون ثوبَ العفافِ، ولا يسلكون دربَ الخنا، حياتُهم عاليةٌ غيرُ هابطة، نظيفةٌ غيرُ قذرةٍ: ﴿ وَلَا يَزْنُونَ ﴾ [الفرقان: ٦٨] تحكمٌ إيمانيٌّ في الإرادةِ يكبَحُ جماحَ أهوائِها، وتستعلي به على رغباتِها، وتنتظمُ فيها دوافعُ الفطرةِ وغرائزُها، في صورٍ مثمرةٍ وسلوكٍ نظيفٍ: إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴾ [المعارج: ٣٠] ذلك أن مَنْ كان عبدَ نفسِه وشهوتِه فهو عبدٌ للناس، والذين تحرروا من شهواتِهم فهم أحرارُ الرؤوسِ والنفوسِ، وكَيف لا يكون ذلك لأهلِ الإيمانِ والتقىٰ، وهم الصابرونَ في البأساءِ والضراءِ وحين البأسِ، لا تنهارُ نفوسُهم جزَعاً أمامَ أيِّ كريهةٍ، أو تذهبُ أنفسُهم حَسراتٍ في أيِّ فاجعةٍ، أصحابُ تحمُّلٍ وتجملٍ، وثباتٍ وتماسكٍ حتى تنقشعَ الغاشيةُ، وتهدأَ العاصفةُ، ويجعلَ اللهُ بعد عسر يسرا. إنهم حين البأسِ والجهادِ: صُبُرٌ عند اللقاءِ، صُدُقٌ عند الإقدام ﴿ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ﴾ [الحجرات: ١٥] متهيئونَ لمشاقِّ الطرقِ، ووعثاءِ الدروبِ.

أما ما يقابُلهم في هذه الحياةِ من تطاوُلِ الأقزام، وسفَهِ الجهلاءِ فإنهم لا يلتفتون إلى حماقاتٍ، ولا يكترثون بنزواتٍ، ويترفَّعون عن المهاتراتِ، صيانةً للوقتِ والجهدِ والوجهِ، مما لا يليقُ بالكرامِ: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (٦٣) ﴾ [الفرقان: ٦٣]

مُعْرِضون عن اللغوِ بألوانِه، لغوِ الأقوالِ، ولغوِ الأفعالِ، ولغوِ الفكرِ والنظرِ: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢] فلا هزلَ ولا لعبَ، ولا صرفَ للأوقاتِ فيما لا ينفعُ، إن عندَهم من نبيلِ الصفاتِ مايكفي لملءِ حياتِهم، واستغراقِ جهودِهم وأعمارِهم، إنهم يدركون أن الوقتَ إذا لم يُنفقْ ويصرفْ فيما يُصلحُ الحياةُ، ويقوِّمُ السلوكَ، فإنما هو إنفاقٌ في الهزلِ واللغوِ واللهوِ. حياةٌ جادةٌ، وحقوقٌ محفوظةٌ، ومسئولياتٌ مرعيةٌ.

ويتحركُ عندِ هؤلاءِ الأخيارِ ـ أيها الإخوةُ ـ شعورٌ بالمسئوليةِ مع داعي الفطرةِ، وحنانِ الأبوةِ والأمومةِ، ومودةِ الزوجيةِ، فيتوجهون إلى مولاهم بهذا الدعاءِ الحاني: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ [الفرقان: ٧٤] إنها المحبةُ للأهلِ والذريةِ، والوقايةُ لهم من سخطِ اللهِ، والرغبةُ في زيادةِ السالكين دروبَ الخيرِ، إنه شعورٌ تامٌ بالمسئوليةِ، فالأقربون أشدُّ تبعةً وأعظمُ أمانةً: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤] همةٌ عاليةٌ، غير متعلقةٍ بأغراضٍ دنيةٍ، وهو مطلبٌ عظيمٌ يتوجهون به إلى ربِّهم؛ ليكونوا قدوةً خَيِّرَةً للأخيارِ، يأتمُّ بهم السائرون إلى اللهِ من المتقينَ الأبرارِ.

أيها الإخوةُ، أولئك هم المفلحون المؤمنون، أفراداً وأمةً، دنيا وأخرىٰ، لهم الفلاحُ والخيرُ، والنصرُ والسعادةُ، والتوفيقُ والمتاعُ الحسنُ. ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون: ١٠ ـ ١١] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٤] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧] ﴿أُولَٰئِكَ

﴿يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ۝٧٦﴾ [الفرقان: ٧٥ ـ ٧٦]. جعلنا الله وإياكم منهم، وأصلحَ أعمالنا وأعمالَكم، وأنفسَنا وأنفسَكم، والأهلينَ والذرية، إنه جوادٌ كريمٌ.

﴿۞لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

# نعوت أهل الإيمان، وصفات عباد الرحمن

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله يهدي إلى الحقِّ، وإلى طريقٍ مستقيمٍ، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وهو العليمُ الحكيمُ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسوله ذو النعتِ الأكملِ، والخلقِ الكريم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، اقتفوا أثرَ نبيِّهم، واقتدوا بهديه، ففازوا بالرضوانِ والنعيمِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

معاشرَ الإخوةُ: فحسبُ المتطلع لهذه الصفاتِ الكريمةِ، والراغبِ في هذه النعوبِ الجليلةِ أنَ يوطِّنَ العزمَ على اجتنابِ المذموم، ويروِّضَ النفسَ على الاستمساكِ بالمحمودِ، فيكون قويَّ الأملِ بعيدَ اليأس، يأخذُ نفسَه بالاجتهادِ والمجاهدةِ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فإن ضعفتْ نفسُه يوماً عن قيام الليلِ فلينظرْ في قولِ بعضِ السلفِ: طوبىٰ لمن رقدَ إذا نعسَ، واتقىٰ اللهَ إذا استيقظَ. وإن ألَمَّ بذنب، أو زلَّتْ به قدمٌ فليسارعْ إلى نهرِ التوبةِ، وليبادرْ إلى الندم، ويتجنبْ الإصرارَ فإن من صفاتِ المتقين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾ [آل عمران: ١٣٥] وبابُ التوبةِ مفتوحٌ،

يدخلُ منه كلُّ من استيقظ قلبُه، فحاسبَ نفسَه، وأدركَ سعةَ رحمةَ ربِّه، وفيض عطائه، حتى إنه سبحانه يبدِّلُ سيئاته حسناتٍ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٠ ـ ٧١].

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، واتصفوا بصفاتِ المؤمنينِ والمتقينِ وأولي الألبابِ وعبادِ الرحمن.

# حقـوق الطـريق وآدابـه

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينُه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملكُ وله الحمدُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذيرُ، والسراجُ المنيرُ، صلى الله وسلـم وبـارك عليـه وعلـى آلـه وصحبـه. ذوي القـدرِ العلـيِّ، والشرفِ الكبيرِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا اللهَ - أيهـا النـاسَ - وعظمـوا أمـرَه، واشكـروا نِعمَـه. وأعظمُ هذه النعم وأجلُّها.. الهدايةُ لهذا الدينِ ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن شرائعَ الإسلامِ استوعبتْ شتىٰ جوانبِ الحياةِ وشئونِها. وانتظمتْ كلَّ ما يعرِضُ للمرءِ من مهدِه إلى لحدِه.

إن الدينَ الذي يبني أمةً ذاتَ رسالةٍ لتبقىٰ قائدةً رائدةً.. صالحةً لكلِّ زمانٍ ومكانٍ - إن ديناً هذا شأنُه لا يدعُ مجالاً في

السلوكِ العامِّ، أو السلوكِ الخاصِّ، إلا وجاءً فيه بأمرِ السدادِ.

ومن هنا فلا غروَ أن تدخلَ توجيهاتُ الإسلام وأحكامُ الشريعةِ في تنظيم المجتمعِ، في دقيقِه وجليلِه، في أفرادِه ومجموعِه، وفي شأنِه كلِّه. ولا تزالُ مدوناتُ أهلِ الإسلامِ في الفقهِ والأخلاقِ مشحونةً بالحِكَمِ والأحكامِ في فكرٍ أصيلٍ، ونظرٍ عميقٍ، واستبحارٍ في فهمِ الحياةِ، وشئونِ الإنسانِ، وسياسةِ المجتمعِ، مع نماذجَ حيةٍ وسيرٍ فذةٍ، وتطبيقاتٍ جليةٍ طوالِ تاريخِ الأمةِ المجيدِ.

وإن مما يظهرُ فيه شمولُ هذا الدين ، وجلاءُ حِكَمِه وأحكامِه، ما أوضحه الكتابُ والسنةُ وآثارُ الأئمةِ.. من آدابِ الطريقِ، ومجالسِ الأسواقِ، وحقوقِ المارَّةِ، وأدبِ الجماعةِ... جاء في محكم التنزيل: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥] ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾﴾ [الإسراء: ٣٦ ـ ٣٨].

وفي السنةِ المطهرةِ من حديث أبي سعيدٍ الخدري ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ قال: «**إياكم والجلوسَ في الطرقاتِ**» قالوا: يا رسولَ اللهِ، ما لنا بدٌّ من مجالِسنا نتحدثُ فيها، قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**فإذا أبيتم إلا المجلسَ فإعطوا الطريقَ حقَّه**» قالوا: وما حقُّه؟ قال: «**غضُّ البصرِ، وكفُّ الأذىٰ، وردُّ السلامِ، والأمرُ**

**بالمعروفِ، والنهي عن المنكرِ»**[1] . متفقٌ عليه واللفظ لمسلمٍ.

وفي حديثٍ أخرجه الترمذيُّ والبخاريُّ في الأدبِ المفردِ وابنُ حبانَ عدَّ النبيُّ ﷺ من أبوابِ الخيرِ: «**تبسُّمُك في وجه أخيك لك صدقةٌ وأمرُك بالمعروفِ ونهيُك عن المنكرِ صدقةٌ، وإرشادُك الرجلَ في أرضِ الضلالِ لك صدقةٌ، وبصرُك الرجلَ الرديءَ البصرِ لك صدقةٌ، وإماطتُك الحجرَ والشوكةَ والعظمَ عن الطريقِ لك صدقةٌ، وإفراغُك من دلوِك في دلوِ أخيك لك صدقةٌ**»[2].

إن مصادرَ الشريعةِ الموثوقةَ قد طفحَتْ بأمثالِ هذه النصوصِ مؤكدةً هذه الحقوقَ، ومرشدةً إلى هذه الآدابِ.

فعبادُ الرحمن: هم خلاصةُ البشرِ.. يمشون في الطريقِ هَوْناً، لا تصنُّعَ ولا تكلُّفَ، ولا كِبْرَ ولا خيلاءَ، مشيةٌ تعبِّرُ عن شخصيةٍ متزنةٍ، ونفس سويةٍ مطمئنةٍ.. تظهرُ صفاتُها في مِشيةِ صاحبِها. وقارٌ سكينةٌ، وجدٌّ وقوةٌ.. من غيرِ تماوتٍ أو مذلةٍ.. تأسياً بالقدوةِ الأولىٰ محمدٍ ﷺ فهو غيرُ صخّابٍ في الأسواقِ حين يمشي يتكفأُ تكفياً، أسرعُ الناسِ مشيةً وأحسنُها وأسكنُها.. هكذا وصفه الواصفون، تلك هي مشيةُ أولي العزمِ والهمةِ والشجاعةِ.. يمضي إلى قصدِه في انطلاقٍ واستقامةٍ.. لايُصعِّرُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٣٤ ـ ح٢٤٦٥)، ومسلم (٣/ ١٦٧٥ ـ ح٢١٢١).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٢٩٩ ـ ح١٩٥٦) وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان انظر الاحسان (٢/ ٢٨٧ ـ ح٥٢٩)، والبخاري في الأدبِ المفرد (ص٣٨٨ ـ ح٨٩١)، وللحديث طرق أخرى ترقى به إلى مرتبة الحسن منها ما أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٦٨).

خدَّه استكباراً، ولا يمشي في الأرض مرحاً. لا خفقَ بالنعالِ، ولا ضربَ بالأقدام، لا يقصدُ إلى مزاحمةٍ، ولا سوءَ أدبٍ في الممازحةِ، يحترمُ نفسَه في أدبٍ جم، وخلقٍ عالٍ. . لا يسيرُ سيرَ الجبارين، ولا يضطربُ في خفةِ الجاهلينَ. إنه المشيُ الهَوْنُ المناسبُ للرحمةِ في عبادِ الرحمنِ، وحين يكونُ السيرُ مع الرفاقِ فلا يتقدمُ من أجلِ أن يسيرَ الناسُ خلفَه، ولا يركبُ ليمشي غيرُه راجلاً.

أما غضُّ الصوتِ وخفضُه. . فهو من سيما أصحابِ الخلقِ الرفيعِ، وذلك في الطريقِ، وأدبِ الحديثِ أولىٰ وأحرىٰ. إنه عنوانُ الثقةِ بالنفسِ، وصدقِ الحديثِ، وقوةِ الحجةِ. . يصاحبُ ذلك حِلمٌ وصفحٌ، وإعراضٌ عن البذاءِ من القولِ، والفحشِ من الحديثِ. . تجنباً لحماقةِ الحمقىٰ، وسفاهةِ السفهاء.

ولا يرفعُ صوتَه من غيرِ حاجةٍ. . إلا سيءُ الأدبِ. . ضعيفُ الحجةِ. . يريدُ إخفاءَ رعونتِه بالحدِّةِ من الصوتِ، والغليظِ من القولِ.

يُضمُّ إلى ذلك أيها الإخوةُ، غضُّ البصرَ، فذلك حقٌّ لأهلِ الطريقِ من المارةِ والجالسين. . تُحفظُ حرماتُهم وعوراتُهم. . فالنظرُ بريدُ الخطايا، وإنك لترىٰ في الطرقاتِ والأسواقِ من يُرسلُ بصرَه محمَّلاً ببواعثِ الفتنةِ، ودواعي الشهوةِ، وقد يُتبعُ ذلك بكلماتٍ وإشاراتٍ قاتلةٍ للدينِ والحياءِ. . مسقطةٍ للمروءةِ والعفافِ.

وكفُّ الأذىٰ عن الطريقِ من أبرزِ الحقوق. والأذىٰ كلمةٌ

جامعةٌ لكلِّ ما يؤذي المسلمين من قولٍ وعملٍ، يقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لقد رأيتُ رجلاً يتقلبُ في الجنةِ في شجرةٍ قطعَها من ظهرِ الطريقِ كانت تؤذي الناسَ**»(١).

وحينما طلبَ أبوبَرزةَ ـ رضي الله عنه ـ من رسولِ اللهِ ﷺ أن يعلِّمَه شيئاً ينتفعُ به قال: «**اعزلْ الأذىٰ عن طريقِ المسلمين**»(٢).

وفي خبرٍ آخر: «**بينما رجلٌ يمشي بطريقٍ وجدَ غصنَ شوكٍ على الطريقِ، فأخَّرَه؛ فشكرَ اللهُ له؛ فغفرَ له**»(٣).

أخرجَ ذلك كلَّه مسلمٌ في صحيحِه رحمه اللهُ.

وإذا كان هذا الثوابُ العظيمُ لمن يكفُّ الأذىٰ، فكيف تكون العقوبةُ لمن يتعمَّدُ إيذاءَ الناسِ في طرقاتِهم ومجالسِهم، ويجلبُ المستقذراتِ، وينشرُ المخلفاتِ في متنزهاتِهم، وأماكن استظلالِهم.

أخرجَ الطبرانيُّ من حديثِ حذيفةَ بن أُسيدٍ ـ رضي الله عنه ـ أن النبيَّ ﷺ قال: «**من آذى المسلمينَ في طرُقِهم؛ وجبتْ عليه لعنتُهم**»(٤) وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفي حديث أبي هريرةَ عند مسلم: «**اتقوا اللعَّانَيْنِ**»قالوا: وما اللعَّانانِ يا رسولَ اللهِ؟قال: «**الذي يتخلىٰ في طريقِ الناسِ أوفيظلِّهم**»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢١ ـ ح١٩١٤).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢١ ـ ح٢٦١٨).

(٣) أخرجه مسلم (٣/ ١٥٢١ ـ ح١٩١٤).

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٧٨ ـ ح٣٠٥٠) وحسنه الهيثمي في المجمع (١/ ٢٠٤).

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٢٢٦ ـ ح٢٦٩).

أما إفشاءُ السلام ـ أيها الإخوةُ ـ ابتداءً ورداً؛ فأدبٌ كريمٌ.. يتخلقُ به أبناءُ الإسلام، وحقٌ يحفظونَه لإخوانِهم، يغرسُ المحبةَ، ويزرعُ الألفةَ، ويغسلُ الأحقادَ، ويزيلُ الإحنَ، ويُستَجْلبُ به رضا اللهِ وغفرانُه، وفي الحديثِ: «**لا تدخلوا الجنةَ حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أو لا أدُلُّكم على شيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلامَ بينكم**»[1] رواه مسلمٌ من حديثِ أبي هريرةَ.

والجامعُ لهذه الآدابِ والحقوقِ ـ أيها المسلمون ـ هي تلك الكلمةُ الجامعةُ المانعةُ: (الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ) يدخلُ في ذلك ما شئتَ من مكارمِ الأخلاقِ والآدابِ والمرواءتِ.

فالحِملُ الثقيلُ ينوءُ به صاحبُه فتعينُه عليه.

تهدي ابنَ السبيلِ الضالَّ بعبارةٍ ملؤُها الأدبُ، وإشارةٍ كلُّها لطفٌ ورِقَّةٌ.. من غيرِ فظاظةٍ ولا مَلالٍ، لا تقولُ هجراً ولا تنطقُ فُحشاً، والبشاشةُ والتبسمُ في وجه أخيك من الصدقاتِ.

تعينُ صاحبَ المتاعِ في حَملِ متاعِه ورفعِه ووضعِه، وإن كنتَ تحملُ شيئاً فاحترسْ أن تصيبَ أحداً بأذىً. تفضُّ النزاعَ بين المتخاصمين، وتُصلحُ ذاتَ البينِ، وتحفظُ اللقطةَ، وتدلُّ على الضالةِ.. تعينُ على ردِّ الحقوقِ لأصحابِها، والذبِّ عن أعراضِ المسلمين، والأخذِ على أيدي الظالمين، ونصرةِ المظلومين.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٤ ـ ح٥٤).

لا تتعرضْ لأحدٍ بمكروه، ولا تذكرُ أحداً بسوءٍ، لا تهزأْ بالمارةِ، ولا تسخرُ من العابرين.. لا تُشِرْ ببنانٍ، لا تستطلْ بلسانٍ، لا تحتقرْ صغيراً، ولا تهزأْ من ذي عاهةٍ. وإياكَ والجلوسَ في مضايقِ الطريقِ وملتقىٰ الأبوابِ ومواطنِ الزحامِ، ويتأكدُ ذلك أثناءَ قيادةِ المركباتِ بأنواعِها.. مع حفظٍ تامٍ لحقوقِ المشاةِ والراكبين والقاعدين، وإهمالُ ذلك يصيبُ المسلمينَ بفسادٍ عريضٍ.

أمةَ الأدبِ والخُلقُ: إن من الناسِ من يتخذون من الطرقِ وأماكنِ البيعِ.. مقاعدَ وأنديةً ينشرونَ الأرائك والفُرُشَ ليتتبعوا العوراتِ، ويمزقوا الأعراضَ، ويُحرجوا أهلَ الأدبِ والمروءةِ.. فضوليون يدسُّون أنوفَهم فيما لا يعنيهم.

يتناولون السابلةَ غمزاً بالأبصار، وطعناً باللسان: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [القلم: ١١ ـ ١٤].

إنه لا يحلُّ لهؤلاءِ أن يجعلوا أماكنَهم أوكاراً تمتدُّ منها النظراتُ المحرمةُ، وطريقاً إلى الرذيلةِ والمقابلاتِ المريبةِ. وقد وردَ في الخبرِ أن النبي ﷺ سُئل عن قوله تعالىٰ: ﴿وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت: ٢٩] فقال: «**كانوا يحذفون أهلَ الطريقِ ـ أي: يرمونَهم بالحجارة ـ ويسخرون منهم، فذاك المنكرَ الذي كانوا يأتون**»[1]، ذكره أحمدُ من حديثِ أمِّ هانىء.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣١٩ ـ ح٣١٩٠) وقال: حديث حسن، وأحمد (٦/ ٣٤١) واللفظ له.

وإن أمثال هذه المجالس. يترفعُ الفضلاءُ وذوو المروءاتِ عن المرورِ بها.. فضلاً عن الَجلوس فيها.. تلك أسواقٌ لا يرتادُها إلا الأراذلُ من الناسِ.. الذينَ لا يتحرجون من البَذَاءِ ولا يعرفون الاحتشامَ.

أيها المسلمون: إن من لم يعطِ الطريقَ حقَّه يُتْبِعْ نفسَه هواها، ويريدُ أن يملأَ عينه بمناها، فيذلُّ بعدَ عزٍّ ويفسقُ بعد عفةٍ، وينحدرُ بعد الكمالِ. إن هذه المواطنَ إن لم تُرْعَ فيها آدابُ الإسلام؛ فهي مرتعٌ خصيبٌ للغيبةِ والنميمةِ والسخريةِ والكذبِ والإفكِ المبينِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾

[لقمان: ١٧ ـ ١٩].

# حقـوق الطـريق وآدابـه

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على ما منح من الإنعامِ وأسدى. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره من خطايا وذنوبٍ لا تُحصىٰ عداً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه أعظِمْ به رسولاً وأكرِمْ به عبداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه كانوا أمثلَ طريقةً وأقومَ وأهدى، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ واعلموا أن من أَوْلىٰ الآدابِ وأَكرمِ الأعمالِ الاشتغالَ بذكرِ اللهِ كثيراً. . ففيه الانبعاثُ على الخيراتِ، والعونُ على الطاعاتِ، والقيامُ بالحقوقِ، وحفظُ النفسِ من الشيطانِ.

جاء في حديثٍ عند الترمذي وصححه واللفظ له، وأبي داود وغيرِه عن أنس ـ رضي الله عنه ـ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**من قال ـ يعني: إذا خَرج من بيتِه ـ بسمِ اللهِ، توكلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قـوةَ إلا بـاللهِ، يقـال لـه: كُفيـتَ ووقيـتَ، وتنحـىٰ عنـه الشيطانُ**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥٥ ـ ح٣٤٢٦) وقال: حديث حسن صحيح غريب، وأبوداود (٤/ ٣٢٥ ـ ح٥٠٩٥) وابن حبان انظر الاحسان (٣/ ١٠٤ ـ ح٨٢٢) وله شواهد يتقوى بمجموعها.

ولا ينبغي أن يغفلَ المسلمُ عن الدعاءِ المأثورِ عند خروجه من منزِله: «**اللهمَّ إني أعوذُ بك أن أَضلَّ أو أُضَلَّ أو أزِلَّ أو أُزَلَّ أو أَظْلِمَ أو أُظْلَم أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ**»[1] راوه الأربعةُ، واللفظ لأبي داود.

والمرأةُ إن احتاجتْ إلى الخروجِ، فتخرجُ محتشمةً في لباسِها، حييةً في مشيتِها، بعيدةً عن حركاتِ الريبةِ، ومواضعِ التهم، غيرَ متعطرةٍ ولا متلفِّتةٍ، سريعةَ العودةِ إلى منزِلها، بعد انقضاءِ حاجتِها ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

فاتقوا اللهَ - أيها المسلمون والمسلمات - والتزموا بآدابِ دينِكم، واحفظوا حقوقَ إخوانِكم.

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٣٢٥ - ح٥٠٩٤) واللفظ له، والترمذي (٥/ ٤٥٧ - ح٣٤٢٧) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/ ٢٦٨ - ح٥٤٨٦)، وابن ماجه (٢/ ١٢٧٨ - ح٣٨٨٤).

# مباحثات السلام (بين اليأس والأمل)

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونستهديه ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، يقلبُ الليلَ والنهارَ، بيده تصريفُ الأمورِ ومجرياتُ الأقدارِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له هو الواحدُ القهارُ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، صبرَ وصابرَ، وجاهدَ وكابدَ؛ حتى أعلى اللهُ به المنارَ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه من المهاجرين والأنصارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم عبادَ الله ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فتقوىٰ اللهِ فيها الفرجُ والمخرجُ وصلاحُ الحالِ والمآلِ.

عبادَ الله: في تعاقبِ الشدةِ والرخاءِ، والعسرِ واليسرِ؛ كشفٌ عن معادنِ النفوسِ، وطبائعِ القلوبِ، ما بين غَبَشٍ وصفاءٍ، وهَلَعٍ وصبرٍ، وثقةٍ وقُنوطٍ، في تقلباتِ الدهرِ، وتنوعِ الأحداثِ يتمحصُ المؤمنون، وينكشفُ الزائفون، وتتجلىٰ دخائلُ النفوسِ ومكنوناتُ الصدورِ، ومن دَرىٰ حكمةَ اللهِ في تصريفِ الأمورَ، وجريانِ الأقدارِ؛ لن يجدَ اليأسُ إلى قلبه سبيلاً، مهما أظلمتْ المسالكُ، وقَسَتْ الحوادثُ، وتوالتْ العقباتُ، وتكاثرتْ

النكباتُ، فالإنسانُ إلى ربِّه راجعٌ، والمؤمنُ بإيمانِه مستمسكٌ، وبأقدارِ اللهِ مسلِّمٌ، وعلى سُننه جارٍ، وإن شرَّ ما مُنيتْ به النفوسُ يأسٌ يميتُ القلوبَ، وقُنوطٌ تُظلمُ به الدنيا وتتحطمُ معه الآمالُ. اليأسُ قرينُ الكفرِ، والقنوطُ بريدُ الضلالِ ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧] ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الحجر: ٥٦].

ولقد عَلِمَ أولو الأبصارِ والألبابِ أن الهمومَ والمحنَ لا يُقصِّرُها شدةُ الجزعِ، ولا يزيدُ في طولِها قوةُ الصبرِ والجلدِ.

أيها الإخوةُ، وإن تقلباتِ الدنيا في سرائِها وضرائِها، ومدِّها وجَزْرِها، ليست حكراً على قومٍ دون قومٍ، أو أمةٍ دون أمةٍ، أو فردٍ دون فردٍ، ولكنها سنةُ اللهِ في ابتلاءِ أهلِ هذه الدنيا: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

غيرُ أن قلبَ العبدِ إذا تجردَ من الإيمانِ، أو ضَعُفَ عنده وازعُ الإسلام؛ جَزِعَ للشرِّ وتألَّمَ، ودعا بالويلِ والثبورِ وتبرَّم، يحسبُ أن الشرَّ دائمٌ لا يُكشفُ، يستبعدُ الفرجَ، ويمزِّقُه الهلعُ. وإذا أصابَه خيرٌ أرجعه إلى عِلمِه وكسبِه، فمنع غيرَه، وحبَسه على نفسِه، وتلك صورٌ لابنِ آدمَ بائسةٌ، حين يكونُ محصوراً بين يأسٍ وقنوطٍ، وطمعٍ وهَلعٍ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٢].

أما من عُمِرَ بالإيمان قلبُه، واطمأنتْ به نفسُه؛ استقامَ أمرُه، وصحَّ نهجُه، وطابتْ حياتُه. متصلٌ بربِّ الأربابِ، ومسببِّ الأسبابِ، يؤمنُ بالابتلاءِ، مؤملٌ في الفرجِ بعد الضيقِ، واليسرِ

بعد العسرِ، يسلك دروبَ الخيرِ، موقنٌ بالعوضِ من ربِّه في الدنيا والآخرةِ.

معاشرَ الإخوةِ، الوقائعُ ومداولةُ الأيام محكٌ لا يخطىءُ، وميزانٌ لا يظلمُ. وفي تقلُّبِ الدهرِ عجائبٌ، وفي تغيرِ الأحوالِ مواعظُ، القويُّ لا يستمرُّ أبدَ الدهرِ قوياً، والضعيفُ لا يبقىٰ طولَ الحياةِ ضعيفاً، ولكنها سُنةُ اللهِ، أدوارٌ وأطوارٌ، تجري على الأممِ والشعوبِ، وتمرُّ بالأفرادِ والآحادِ، وتنتظمُ المتقينَ والفجارَ، وأهلَ السوءِ والأخيارَ، هذا آدمُ عليه السلامُ تسجدُ له الملائكةُ، ثم بعدَ بُرهةٍ يخرجُ من الجنةِ، وإبراهيمُ عليه السلامُ أراد به قومُه كيداً؛ فكانوا هم الأسفلين، وأضرموا ناراً لحرقِه؛ فكانت برداً وسلاماً على إبراهيمَ، وهذا الذبيحَ يضطجعُ مستسلماً، ثم يأتيه من عندِ ربِّه الفداءُ، ويبقىٰ له الفضلُ والثناءُ، ويعقوبُ عليه السلام يذهبُ بصرُه من ألمِ الفراقِ، ثم يعودُ التواصلُ والتلاقِ.

أما نبيُّكم محمدٌ ﷺ اليتيمُ الفقيرُ؛ فيتقلبُ في عجائبِ المدِّ والجزرِ، والرجاءِ والأملِ، إلى أن يجيءَ نصرُ اللهِ والفتحُ. ويدخلُ الناسُ في دينِ اللهِ أفواجاً. هذا ما كان من أنبياءِ اللهِ وأوليائِه والمصطفَيْنَ من عبادِه. فما بالُك بمن هو دونَهم من سائرِ أهلِ الأرضِ.

إن من تأمَّلَ صروفَ الدنيا، ورياحَ التغيير، وأمواجَ التقلباتِ، لا يُفجعُ عند نزولِ البلاءِ، ولا يفرحُ بعاجلِ الرخاءِ.

وما يكونُ في الأفرادِ يكونُ في الأممِ. كم من أمةٍ ضعيفةٍ نهضتْ بعد قعودٍ، وتحركتْ بعد خمودٍ، وكم من قريةٍ بطِرتْ

معيشتَها فزالتْ من الوجودِ، أذاقها اللهُ لباسَ الجوعِ والخوفِ لمَّا بدلتْ الشكرَ بالكفرِ والجحودِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: حين يريدُ ربُّنا أمراً فإنه يأتي إليه كما يشاءُ، فهو العليمُ القديرُ، السببُ والنتيجةُ من صنعِه وتقديرِه، والوسيلةُ والغايةُ من خلقِه وتدبيرِه. لا يمتنعُ عليه سببٌ، ولن تعجزَه غايةٌ. يتحصنُ المتحصنون فيأتيهم اللهُ من حيثُ لا يحتسبون، وقديماً خاطبَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ والمؤمنين، في قصةٍ توالتْ فيها الأحداثُ كما يشاءُ الله؛ لا كما يتوقعُ المؤمنون، وخالفتْ على ما يبدون ظواهرَ الأسبابِ ومظاهرَ السننِ: ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢] لم تكونوا تتوقعونَ خروجَهم، فقد كانوا من القوةِ والمنعةِ في حصونِهم بحيث لا تظنونَ خروجَهم، وغرَّتَهم المنعةُ؛ فنسوا قوةَ اللهِ التي لا تردُّها حصونٌ: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ﴾ [الحشر: ٢] أتاهم من داخلِ أنفسِهم لا من داخلِ حصونِهم، أتاهم من قلوبِهم فقذفَ فيها الرعبَ؛ فعلموا أنهم لا يملكون أنفسَهم ولا يحكمون قلوبَهم.

معاشرَ الأحبةِ: في هذا وأمثالِه: كم تمرُّ على أهلِ الحقِّ والإيمانِ من أيامِ حرجٍ وضيقٍ، وساعاتِ شدةٍ وكربٍ، يواجوهن فيها أهلَ الباطلِ في إصرارِهم وجحودِهم، تحيطُ بهم ظروفُ الباطلِ في قوَّتِه وكثرةِ أهلِه، وأهلُ الحقِّ في قلةٍ من العددِ والعُدَّةِ، الباطلُ ينتفشُ ويتعاظمُ، ويبطشُ ويغدرُ، وأهلُ الحقِّ والإيمانِ ينتظرون وعدَ الحقِّ، ويطولُ بهم الانتظارُ، وتهجسُ في خواطرِهم الهواجسُ: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾﴾ [البقرة: ٢١٤]
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ [يوسف: ١١٠].

تلك سننُ اللهِ في الدنيا وأهلِها، في مدِّها وجزرِها، في أهلِ الكفرِ والإيمانِ، في الدعواتِ وأصحابِها. شدائدُ وكروبٌ، ومضايقُ وخطوبُ، ثم يجيءُ النصرُ والانفراجُ بعد اليأسِ من ظاهرِ الأسبابِ. يجيءُ النصرُ من عندِ اللهِ؛ فينجو من يستحقُ النجاةَ، ويحُلُّ بأسُ اللهِ بالمجرمين مدمراً ماحقاً.

وكلُّ هذا البلاءِ، وكلُّ هذا الصبرِ والتصبرِ، حتى لا يكونَ النصرُ رخيصاً، وحتى لا تكونَ دعوةُ الحقِّ هَزْلاً وهُزْواً، نعم دعوةُ الحقِّ لا تكون عبثاً ولا لَعِباً، ولكنها تسيرُ على قواعدَ ومناهجَ يكون فيها البلاءُ والبأساءُ، ويُتخذُ فيها الشهداءُ، ويُمحَّصُ فيها المخلصون من الأدعياءِ. أما الأدعياءُ فيعجَزون عن الحِمْلِ، وتثقلُ عليهم التكاليفُ، ويطولُ عليهم الطريقُ؛ ومن ثَمَّ يتبينُ الحقُّ من الباطلِ على محكِّ الشدائد، فيصمُدُ المخلصون، ويتميزُ الصادقون، ولو تباطأَ النصرُ ما تباطأَ.

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، واعرفوا سننَ اللهِ، فالدينُ والتكاليفُ في هذه الدنيا ليست تجارةً قصيرةَ الأجلِ يُحصدُ ربحُها في زمنٍ محدودٍ، ولكنها حملٌ ثقيلٌ، وعبءٌ شديدٌ يوطن فيها المؤمنُ نفسَهُ، يواجه أعداءَ اللهِ بما يملكون من قوةٍ ومالٍ وألسنةٍ حدادٍ؛ تُرِي الأسودَ أبيضَ، والأبيضَ أسودَ، وتجمعُ الناسَ من حولِهم.

ويَميلون ويُميلون بشواتِهم ميلاً عظيماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الأنعام: ٣٤].

# مباحثات السلام (بين اليأس والأمل)

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبينُ. وأشهد أن محمداً عبدُاللهِ ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أن الذين ينظرون إلى هذه الحياةِ بنظراتٍ قاتمةٍ هم أولئك الذين إذا نزلتْ بهم نازلةٌ، أو تكدَّرَ لهم عيشٌ، أو حلَّتْ بهم بلوىٰ، يئسوا من الفرجِ، وطالَ عليهم سوءُ الأملِ، وظنوا بربِّهم ظنَّ السَوْءِ، ولكنَّ أهلَ الإيمانِ موصولةٌ قلوبُهم، نديةٌ أرواحُهم، لا ييأسون من رَوْحِ اللهِ، يفيئون إلى ظلالِ الإيمانِ، ويأنسون بصلةِ الكريمِ المنانِ؛ على الرغم ممَا هم فيه من مضايقِ الشدةِ ومخانقِ الكروبِ.

وفي قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣] في ذلك بِشارةٌ لأهلِ الإيمانِ بحفظِ اللهِ لدينِه وكمالِه، ورضا ربِّ العالمين عنه، وتمامِ النعمةِ به

والكافرون آيسون من أن ينالوا منه شيئاً؛ غير أنهم قد يَغلبونَ في موقعةٍ أو يَهزمون في فترةٍ، ولكنهم عاجزون من أنْ يَمسُّوا هذا الدين، فهو محفوظٌ لا ينالُه تحريفٌ، ولا يرقىٰ إليه تبديلٌ، وعلى شدةِ ما كاد الأعداءُ، وعِظَم ما أصابَ المسلمين من ضعفٍ وبلاءٍ في بعضِ الأعصارِ والأمصارِ؛ فلن تزالَ على الحقِّ طائفةٌ منصورةٌ تحفظُ أمرَ اللهِ وتنصرُه، وتسعىٰ لإعلانِ كلمتِه، سدَّد اللهُ الخطىٰ، وبارك في الأعمالِ، وحقَّقَ الآمالَ.

# في بناء الشباب

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أعادَ وأبدىٰ، وأجزلَ علينا النعمَ وأسدىٰ. . لا هاديَ لمن أضلَّ، ولا مضلَّ لمن هدىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، أكرمْ به نبياً، وأنعمْ به عبداً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه كانوا أمثل طريقةً وأقومَ وأهدىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، زينةُ الحياةِ الدنيا، وعُدَّةُ الزمانِ بعدِ اللهِ شبابُ الإسلامِ الناشئونَ في طاعةِ ربِّهم، لا تكادُ تعرفُ لهم نزوةٌ أو يُعهدُ عليهم صبوةٌ. . يَستبِقون في ميادينِ الصالحاتِ، أولئك لهم الحياةُ الطيبةُ في الدنيا، ولهم الظلُّ الظليلُ يومَ القيامةِ، يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّ المولىٰ.

ولئن تطلعتْ الأمةُ لإصلاحِ ناشئتِها، ورغبتْ في أن تَقرَّ عينُها بصلاحِهم؛ فعليها أن تهتمَّ بتربيتِهم، وتسليحِهم بسلاحِ الإيمانِ، وتحصينِهم بدروعِ التقوىٰ، وأخذِهم بجدٍّ وقوةٍ إلى العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ.

إن العنايةَ بالنشءِ مسلكُ الأخيارِ، وطريقُ الأبرارِ، ولا تفسدُ

الأمةُ وتَهلَكُ في الهالكين إلا حينَ تفسدُ أجيالُها، ولا ينالُ الأعداءُ من أمةٍ إلا إذا نالوا من شبابِها وصغارِها.

وفي كتابِ الله إخبارٌ عن أنبياءِ اللهِ حين توجهوا إلى ربِّهم بصلاحِ ذرياتِهم من قبلِ وجودِهم ومن بعدِ مجيئِهم فمن دعاءِ زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾﴾ [آل عمران: ٣٨] ولا خير في ذريةٍ إن لم تكن طيبةً، ويقولُ إبراهيمُ عليه السلام: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾﴾ [إبراهيم: ٣٥]. وفي دعاء له آخرَ: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾ [إبراهيم: ٤٠] وكلُّ صالح من عبادِ الله يبتهل إلى ربِّه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥].

من الشبابِ ينشأُ العلماءُ العاملون، والجنودُ المجاهدون، وفيهم الصناعُ المحترفون، إذا صلَحوا سعِدتْ بهم أمتُهم، وقرَّت بهم أعينُ آبائِهم وأمهاتِهم، وامتدَّ نفعُهم وحسُنتْ عاقبتُهم: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾

[الرعد: ٢٣ ـ ٢٤].

ولقد رسمَ النبيُّ ﷺ فيما رسمَ مَنهجاً واضحاً في وصايا وجَّهها لشبابِ الأمةِ المحمديةِ.. ممثلةً في ابنِ عمِّه الغلام عبدِالله بنِ عباس ـ رضي الله عنهما ـ حيث قال له: «**يا غلامُ إني أعلِّمُك كلماتٍ: احفظْ اللهَ يحفظْك، احفظْ اللهَ تجدْه تُجاهَك، إذا سألتَ فاسألْ اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، واعلمْ أن الأمةَ لو اجتمعتْ على أن ينفعوكَ بشيءٍ لم ينفعوك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ لكَ،**

**وإن اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضروك إلا بشيءٍ قد كتبه اللهُ عليك، رُفعتْ الأقلامُ وجفَّتْ الصحفُ»[1].**

إن أولَ لَبِنةٍ في بناءِ الشبابِ لبنةُ العقيدةِ، ورسوخُ الإيمان، وصدقُ التعلُّقِ باللهِ وحدَه، والاعتمادُ عليه. إن أولَها حفظُ اللهِ بحفظِ حقوقه وحدودِه، ومن ثَمَّ الاستعانةُ به وحدَه في الأمورِ كلِّها، والتوكلُ عليه، واليقينُ الجازمُ بأن بيدِه سبحانِه الضرَّ والنفعَ.

يأتي كلُّ ذلك ـ أيها الإخوةُ ـ ليكونَ دافعاً للشبابِ، وهو في فورتِه وطموحِه وتكاملِ قوتِه؛ ليكونَ قويَّ العزيمةِ عاليَ الهمةِ.

وإن شبابَ الإسلامِ اليومَ بحاجةٍ إلى المعرفةِ التامةِ بالعزائم من الأمورِ، والعالي من الهممِ.

إن قويَّ العزيمةِ من الشبابِ ـ أيُّها الشبابُ ـ من تكونُ إرادتُه تحتَ سلطانِ دينِه وعقلِه، ليس عبداً لشهواتِه، فتعسَ عبدُ الدنيارِ وعبدُ الدرهمِ.

ومن صرامةِ العزيمةِ وعلوِّ الهمةِ.. ان يفرغَ الفؤادُ عن الشهواتِ القريبةِ، والعواطفِ السريعةِ.

اسمعوا إلى صقرِ قريشٍ عبدِالرحمنِ الداخلِ في قصةٍ حفظها لنا التاريخُ؛ يقول التاريخُ:

حينما عبرَ هذا الصقرُ البحرَ أولَ قدومِه على الأندلسِ..

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٧٦ ـ ح٢٥١٦) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (١/٢٩٣).

أُهديتْ له جاريةٌ بارعةُ الجمالِ.. فنظر إليها، وقال: إن هذه من القلبِ والعينِ بمكانٍ، وإن أنا شُغلتُ عنها بما أهُمُّ به؛ ظلمتُها، وإن أنا اشتغلْتُ بها عما أهُمُّ به؛ ظلمتُ همَّتي.. ألا فلا حاجةَ لي بها.. ثم ردَّها إلى صاحبِها.

أيها الشبابُ: إن الشهواتِ والعواطفَ، وحبَّ الراحةِ وإيثارَ اللذاتِ.. هو الذي يُسقطُ الهممَ، ويُفَتِّرُ العزائمَ.. فكم من فتيانٍ يتساوون في نباهةَ الذهنِ، وذكاءِ العقلِ، وقوةِ البصيرةِ، ولكنَّ قويَّ الإرادةِ فيهم، وعاليَ الهمةِ منهم، ونفَّاذ العزيمةِ فيهم هو الكاسبُ المتفوقُ.. يجدُ ما لا يجدون، يبلغُ من المحامدِ والمراتبِ ما لا يبلغون..

بل إن بعضَ الشبابِ قد يكون أقلَّ إمكانياتٍ، وأضعفَ وسائلَ، ولكنه يفوقُ غيرَه بقوةِ الإرادةِ، وعلوِّ الهمةِ، والإصرارِ على الإقدامِ.

وإنه لحقيقٌ بالرجالِ القوَّامين على التربيةِ أن يُعطوا هذا الدرسَ مكانَه من التوجيه.. من أجلِ بناءِ صروحٍ من العزِّ شامخةٍ. إن لم يكنْ ذلك؛ فقد ظلمتْ الأمةُ نفسَها، وخسرتْ أجيالها، وهضمتْ حقَّ دينها، وأضاعتْ رسالتَها: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾ [مريم: ١٢] وما اقترنَ العزمُ الصحيحُ مع التوكُّلِ الوثيقِ على من بيدِه ملكوتُ كلِّ شيءٍ إلا كانت العاقبةُ فوزاً ونجاحاً: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وإن من مظاهرِ ضعفِ الهممِ في التعليمِ والتوجيهِ، ومن بخسِ

حقِّ العلمِ والمعرفةِ أن يَطلُبَ الفتى العلمَ لينال به رِزقا، أو ينافسَ به زميلاً حتى إذا أدركَ الوظيفةَ، أو فازَ على الزميلِ أخلدَ إلى الراحةِ، ونسى العلمَ، وأضاعَ المعرفةَ، وتنحىٰ عن الطلبِ. وإنما يرتفعُ رأسُ الأمةِ ويظهرُ عزُّها بهِمِم أولئك الذين يُقبلون على العلمِ بجدٍ وصبرٍ وثباتٍ، ولا ينقطعون عن التحصيلِ والاستزادةِ إلا حين ينقطعونَ عن الحياةِ.

والعلومُ ـ أيها الإخوةُ ـ ما وُضعتْ إلا لتهدي إلى العملِ النافعِ، فلا شرفَ لها في نفسِها، وإنما شرفُها بما يترتبُ عليها من عملٍ صالحٍ، وأثرٍ حسنٍ.

فالفقيهُ من يجدُ في علمِه ما يعرفُ به أحكامَ الوقائعِ والنوازلِ.

وكيف تكونُ المفاخرةُ بفتيانٍ درسوا من العلوم التجريبيةِ ما درسوا، ثم لم ينفعوا بلادَهم في معاملَ ولا مصانعَ تكونُ بها أمتُهم رائدةً إلى الصلاحِ، وقائدةً إلى مناهجِ الحقِّ والصوابِ في كلِّ ميدانٍ، وفي كلِّ مجالٍ.

ومن هنا كان لزاماً ـ أيها المسلمون ـ اقترانُ العلم بالعملِ، فمن علِم خيراً؛ فيبادرْ إلى فعلِه، ومن علِم شراً؛ فليحذرْ الاقترابَ منه، وما يُحيِيْ القلوبَ بالمعرفةِ واليَقظةِ والعلم النافعِ، إلا المبادرةُ إلى العملِ.. فبه تستنيرُ القلوبُ، ويصحُّ المَسيرُ في دروبِ الحياةِ. يقولُ بعضُ السلفِ: كنا نستعينُ على حفظِ أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ بالعملِ بها.

ويقولُ بعضُ الحكماءِ: إذا أردتَ الاستفادةَ من النصائحِ المكتوبةِ والمسموعةِ فجرِّبْها واعملْ بها فإنك إن لم تفعلْ كانَ

نصيبُك نسيانَها.

إن المعلوماتِ النظريةَ التي لم ينقلْها العملُ من دائرةِ الذهنِ والأفكارِ المجردةِ، إلى واقعِ الحياةِ لا فائدةَ فيها، فالجنديُّ لا تنفعُه معلوماتُه إذا لم يمارسَها في الميدانِ، وماذا ينفعُ الطبيبَ علمُه وكراريسُه وآلاتُه إذا لم يمارسْها طباً وعلاجاً.

يضمُّ إلى ذلك ـ يا شبابَ الإسلامِ ـ العلمُ بما اقتضته سنةُ اللهِ ـ سبحانه ـ وحكمتُه من اختلافِ النفوسِ في استعداداتِها ورغباتِها ومواهبِها. من أجلِ أن ينتظمَ الشأنُ في هذه الحياةِ. فلربَّما نشأ وليدان في مهدٍ واحدٍ، فتختلفُ ميولُهما واختصاصاتُهما في العلومِ والمطالبِ.

وإن لكم في أصحابِ رسولِ اللهِ ﷺ لخيرَ أسوةٍ، وفي توجيه النبيِّ ﷺ لهم حسبَ طبائِعهم وقدراتِهم لأوضحَ قدوةٍ. فقد اختلفوا في طبائِعهم ومهماتِهم وأعمالِهم ومعارِفهم. فبلالٌ غيرُ أبي بكر، وخالدٌ غيرُ أبي ذرٍ، وابنُ عباس غيرُ ابنِ عمرَ، ومُصعبٌ غيرُ ابنُ عوفٍ. كانوا مهاجرين وأنصاراً، وكان فيهم أصحابُ بيعةِ الرضوان.. فيهم الولاةُ والحكامُ وفيهم العسكريون والقادةُ، وفيهم أوعيةُ العلمِ والفقهِ، وكلُّهم أبلىٰ في الإسلامِ بلاءً حسناً، وكلُّهم كان على ثغرٍ من ثغورِ الإسلامِ فحفظه وصانَه.

من أجل هذا ـ أيها الإخوةُ ـ فلا فرقَ بين عملٍ وعملٍ، فالأعمالُ المباحةُ على كثرتِها واختلافِها مطلوبةٌ متأكدةٌ حسَبَ حاجةِ الأمةِ إليها، وبناءِ حياتِها وقوتِها عليها. ألا فاعلموا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له.

أمةُ الإسلامِ مطالبةٌ بالدعوةِ إلى اللهِ، مطالبةٌ بإعدادِ القوةِ لإرهابِ أعداءِ اللهِ، بحاجةٍ إلى التكاملِ والتكافلِ. إن على كلِّ شابٍ أن يعلمَ من العلمِ ما يقودُه إلى حُسنِ العملِ، فيتخذَ موقعَه المناسبَ حسَبَ قدرتِه وموهبتِه وحاجةِ الأمةِ إليه، والعلمُ بشئونِ الدنيا وأمورِها مطلوبٌ إذا كان طريقاً لعزِّ أمةِ الإسلامِ وقوتِها.. حيثُ الابتكارُ والاختراعُ والتفوقُ.. فالعزةُ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين.

واحذروا الوقوفَ عند حدودِ الأماني، والاقتصارَ على الكلامِ والمقترحاتِ المجردةِ.. فذلك يفتحُ أبواباً مخوفةً من الجدلِ الطويلِ، والثرثرةِ القاتلةِ للوقتِ والجهدِ والمواهبِ، وما الأماني إلا رؤوسُ أموالِ المفاليسِ.

فاتقوا اللهَ جميعاً ـ أيها المؤمنون ـ والزموا العملَ الصالحَ.

﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَـٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ربنا هبْ لنا من أزواجِنا وذرياتِنا قرةُ أعين، واجعلنا للمتقين أماما.

نفعني اللهُ وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي سيد المرسلين، وهدانا صراطَه المستقيمَ، ووقانا عذابَ الجحيم.

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم.

# في بناء الشباب

## الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوثُ بالرحمةِ والهدى ـ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن بنهجهم اهتدىٰ.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ ـ أيها المؤمنون ـ اتقوا الله أيها الناشئةُ، واعلموا أن للعمرِ أجلاً، والآمالُ عريضةٌ في بحرٍ لا ساحلٍ له.. فسارعوا إلى العملِ الصالح، واحفظوا لحظاتِ العمرِ، واشغلوا الوقتَ بما ينفعُ في العاجلِ والآجلِ.

إن الشبابَ إن لم ينشغلْ في مشروعاتِ الخيرِ والجهادِ والمجاهدةِ والإنتاجِ المثمرِ؛ نهبْته الأفكارُ الطائشةُ، وعاشَ في دوامةٍ من التُرَّهاتِ والمهازلِ.

إن شَغْلَ الأوقاتِ وشحنَها بالأعمالِ والواجباتِ، والانتقالَ من عملٍ إلى عملٍ، ومن مهمةٍ إلى مهمةٍ، ولو كانت خفيفةً؛ يحمي المرءَ من عِللِ البطالةِ ولوثاتِ الفراغ. والنفسُ ـ كما قال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله ـ إنْ لم تشغلْها بالحقِّ شغلتْك بالباطلِ.

وإن الأمةَ تتخلصُ من مفاسدَ كثيرةٍ، وشرورٍ عريضةٍ، لو أنها تحكَّمتْ في أوقاتِ الفراغِ لأبنائِها، وليس بالإفادةِ منها بعد أن توجدَ، ولكن بإيجادِ ترتيبٍ لا يكونُ معه فراغٌ قاتلٌ.

إن مشاعرَ الخوفِ والقلقِ، والحقدِ والغيرةِ والحسدِ، لا تندفعُ إلى النفسِ الإنسانيةِ.. إلا حينما تكون فارغةً غيرَ مشغولةٍ.

وإن توزيعَ التكاليفِ الشرعيةِ في الإسلامِ منظورٌ فيه إلى هذه الحقيقةِ. إن شرائعَه تدورُ على الجهادِ والمجاهدةِ، مجاهدةِ النفس ومجاهدةِ الناس. فالصلواتُ الخمسُ في ترتيبِها وتوزيعِها، والعبَاداتُ الأخرىٰ فَي واجباتِها ونوافلِها بدنيةً وماليةً، والأذكارُ بكرةً وعشياً، قياماً وقعوداً وعلى المضاجعِ، والحرفُ والمهنُ، والقيامُ بالحقوقِ للقريبِ والبعيدِ.. كلُّ أولئك جهاداتٌ ومجاهداتٌ تستغرقُ العمرُ كلَّه لحظةً لحظةً، لا تبقيٰ فرصةٌ للغفلاتِ والذهولاتِ.

فاتقوا اللهَ - عبادَ الله - واعملوا صالحاً، وسيروا على النهجِ وأصلحوا في النشءِ.

# هل نتخذ من فتح كابل طريقـاً للخلاص؟؟

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله ذي العزةِ والملكوتِ، والقدرِ والقهرِ والجبروتِ، لا إله إلا هو مالكُ الملكِ، عالمُ الغيبِ والشهادةِ، يحكمُ بين عبادِه فيما كانوا فيه يختلفون، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، يؤتي الملكَ من يشاءُ، وينزعُ الملكَ ممن يشاء، ويعزُّ من يشاءُ، ويذلُّ من يشاءُ، بيدِه الخيرُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

وأشهدُ إلا إلـه إلا الله وحدَه لا شريك لـه، يكتبُ النصرَ والتأييدَ والعزَّ والتمكينَ لعبادِه الصالحين، وأشهدُ أن محمداً عبدُاللهِ ورسولُه، قائدُ الغرِّ المحجلين، وإمامُ المجاهدين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم أيها المسلمون ونفسي بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ، فاتقوه وأطيعوه، واشكروا له. . إليه ترجعون.

أيها المسلمون: تأكيداً لروابطِ الإسلامِ وتوثيقاً لعُرىٰ الإيمان، نقول لإخوانِنا في أفغانستان، وللمسلمينَ جميعاً: هنيئاً لكم ولنا هذا النصرُ المؤزرُ، وهنيئاً لأهلِ الإسلامِ قيامُ دولةٍ دستورُها كتابُ اللهِ، وسنةُ رسولِ اللهِ ﷺ وحكمُها شرعُ اللهِ.

ويومَئذٍ يفرحُ المؤمنون بنصرِ اللهِ، بهجةٌ ونشوةٌ، وقوةٌ وعزةٌ، يعيشها المسلمون، كلُّ المسلمين، وهم يقطفونَ ثمارِ الجهادِ والمجاهدةِ، جهادٌ دامَ طوالَ أربعةَ عشرَ عاماً ضدَّ دولةٍ كافرةٍ، كانت تمتلكُ الآلةَ العسكريةَ الثانية العظمىٰ في عالم اليوم، انتصرَ الضعفاءُ واندحر الكافرون، جاءَ الحقُّ وزهقَ الباطلُ.

انتصارٌ وابتهاجٌ يُحسُّ كلُّ مسلمٍ أنه قد شاركَ فيه بدمٍ أو مالٍ أو موقفٍ أو دعاءٍ أو تعاطفٍ مخلصٍ.

أيها المسلمون: لقد جاءَ انتصارُ إخوانِنا في أفغانستان في وقتٍ أحوجَ ما تكون في الأمةُ الإسلاميةُ إلى نصرٍ يعززُ ثقتَها بنفسِها، ويُطمئِنُها إلى قدرِتها ومقوماتِها، ويعيدُ إليها الأملَ في أَهلِها ورجالِها.

وما ذلك ـ أيُّها الأحبةُ ـ إلا لأنَّ المسلمينَ يعيشونَ في ليلِ حزنٍ طويلٍ، ويَتهيون في نَفَقِ ظلامٍ عميقٍ، يعيشون ذلك في أماكنَ كثيرةٍ من ديارِهم.

في كلِّ بقعةٍ طعناتٌ داميةٌ، وفي كلِّ ركنٍ جروحٌ نازفةٌ، فواجعُ وقوارعُ لا ينقضي منها العجبُ.

ولئن كان المسلمون يريدونَ مراجعةً صادقةً لأحوالِهم وأوضاعِهم، ولئن كانوا جادِّين في النظرِ في مصيرِهم وعاقبةِ أمرِهم، فليقرءوا قولَ اللهِ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١] المسلمون لم يفتحوا ثغراً إلا بذكرِ اللهِ، ولم تقمْ دولتُهم إلا على منهجِ اللهِ. ثم لم تُغْزَ ديارُهم ولم تُنتقصْ أراضيهم إلا بالغفلةِ عن اللهِ، والإعراضِ عن صراطِ اللهِ:

﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

أيها الإخوةُ في اللهِ، وهذه وقفةٌ مع التاريخِ، تاريخِنا ـ أهلَ الإسلامِ ـ فما أشبه الليلةَ بالبارحةِ.

ها هي الفصولُ الإخيرةُ من حياةِ المسلمين في الأندلسِ، فصولٌ جديرةٌ بالدراسةِ والنظرِ والتأملِ، فترةٌ تاريخيةٌ تحكي عصرَ الضعفِ والانحلالِ.

حكَمَ الإسلامُ في الأندلسِ ثمانيةَ قرونٍ (ثمانمائة عامٍ)، حكَمها بالدينِ والعلمِ والحضارةِ والمدنيةِ والمجدِ التليدِ، ثم تمزقتْ الأندلسُ بإماراتِها وطوائِفها، وحين تمزَّقَتْ انصبتْ عليها حروبُ الإبادةِ، ومعاركُ الاستئصالِ من الصليبيةِ الحاقدةِ.

كلُّ ذلك زالَ وأُبيدَ بسببِ الفرقةِ وحروبِ الطوائفِ. ألا نقولُ ما أشبه الليلةَ بالبارحةِ؟ ألا يدركُ البصيرُ المتأملُ أن الفُرقةَ في المسلمين قائمةٌ، فكثيرٌ منهم في بلاءٍ طائفيٍّ، وتمزقٍ فكريٍّ، يعبثُ بالديارِ وبالصدورِ.

ماذا استفادَ المسلمونَ من التاريخِ؟ وأين الدروسُ من عِبَرِ الماضي؟.

في عصرِنا المعاصرِ فشا التعليمُ في بلادِ المسلمين، وانتشرتْ المدارسُ واكتظتْ بالمناهجِ. ماذا تعلموا من تاريخِ الأندلسِ؟ ماذا تضمنتْ مناهجُهم من أَنباءِ أسلافِهم في الأندلسِ؟.

لا يعرفُ الطلابُ من هذه المناهجِ إلا الحياةَ الأدبيةَ، والمقطعاتِ الشعريةَ، والموشحاتِ الأندلسيةَ، لا يعرفونَ إلا تاريخَ الحياةِ الرضِّيةِ المترفةِ، لم يلقنوا بصدقٍ كيفَ ضاعَ ذلك

الفردوسُ، لم تُملأْ جوانِحُهم ولم يُلْقَ في رَوعِهم كيف تقطَّعتْ الأندلسُ من قِبَلِ أهلِها أولاً، ثم أجهزَ عليها الصليبيون آخِراً.

في المناهجِ أديرتْ الظهورِ بقصدٍ أو بغيرِ قصدٍ عن التفاصيلِ التي تُحرقُ الأكبادِ، وعن الأسبابِ التي أدتْ إلى الهلاكِ والفسادِ.

لم تُعطَ جريمةُ الإبادةِ حقَّها، ولم يُشخَّصْ داءُ الفرقةِ حقَّ التشخيصِ، ولم يقفوا وقفةَ صادقٍ عند سوءِ المصيرِ، بينما يلقِّنُ اليهودُ بني قومهم، ويذكِّرون العالمَ في كلِّ ساعةٍ وحينٍ دروسَ الحربِ النازيةِ على الطريقةِ اليهوديةِ.

في الأندلسِ سكاكينُ العداءِ النصرانيِّ نزلتْ بالساحةِ هناك، فمحتْ الشعبَ بأكملِه، وأزالتْ الإسلامَ من جزيرةِ الأندلسِ.

استمعوا - رعاكم اللهُ - إلى هذه الومضةِ من التاريخِ السالفِ.

كان المعتمدُ بنُ عباد - أكبرُ ملوكِ الطوائفِ بأشبيلية - يحاربُ ألفونسو السادسَ النصرانيَّ، فاستشارَ المعتمدُ بعضَ أصحابِه في الاستعانةِ بالأميرِ يوسفَ بن تاشفين أحدِ حكامِ المسلمينِ في بلادِ المغربِ، فأشارتْ عليه بطانةُ السوءِ بنصيحةٍ كاذبةٍ خاطئةٍ، وقالوا له: نخشىٰ أن ابنَ تاشفينَ إذا دخلَ الأندلسَ أن يستولي عليها، ثم لا يخرجُ منها. فأجابَهم المعتمدُ إجابةً حاسمةً، في حكمةٍ بالغةٍ، وبصيرةٍ نافذةٍ: لأن أرعىٰ الجمالَ أحبُّ إليَّ من رعيِ الخنازيرِ.

ومراده من ذلك معلومٌ، فالخضوعُ لملكٍ مسلمٍ خيرٌ من اتباعِ ملكٍ كافرٍ حاقدٍ.

ما أكثرَ العبرَ وأقلَّ الاعتبارَ. أُفٍّ لقلبٍ لا يعتصرُ ألماً، ويا حسرتا على عينٍ لا تذرفُ دمعاً، بل إن لم تنزفْ دماً. استبيحَ في كثيرٍ من المواقعِ الحمىٰ، واستُرخصتْ الدماءُ، وإلى ربِّنا المشتكىٰ.

ها هي بلادُ المسلمين، بعد أن فشَتْ فيها الفرقُ والأحزابُ، ينهشُها الأعداءُ ليأكلوا القاصيةَ منها والدانيةَ. إن حالَ كثيرٍ من بلادِ الإسلامِ تسيرُ في نفس الطريقِ الأندلسيِّ، وتحفُرُ لنفسِها حُفراً، قد تتضاءلُ أمامَها مآسي الأندلس. كم في بقاعِ الإسلام وديارِ المسلمين من تُهددُّهم طريقةُ الإبادةِ الأندلسيةُ، الصومالُ تقطعها الحربُ الأهليةُ، يذبِّح فيها المسلمون بعضُهم بعضاً، وفي بعضِ دولِ غربِ أفريقيا حالٌ مشابه، وها هم في بورما يطردون من بيوتِهم، ويهجَّرون من أوطانِهم، ويجرَّدون من ممتلكاتِهم، تُنتهكُ حرماتُهم ويساقون سوقَ النعاجِ إلى خارجِ ديارِهم، وفي كشميرَ من ذلك حالٌ مشابهٌ.

أما الجزءُ المسلمُ من أوروبا الشرقيةِ عموماً، وفي بلادِ البوسنا والهرسكْ خصوصاً، ذلك الجزءُ الذي عاشَ في الإسلامِ مئاتِ السنين ثم رَزَح تحت لواءِ الشيطانِ الأحمرِ متلقياً حروبَ إبادةٍ، فلما انجلتْ غمَّتُه خَلَفه أهلُ الصليبِ الحاقدِ فهاهم يبادون بالطريقةِ الأندلسيةِ نفسِها، إنهم الأحفادُ، يفعلون فعلَ الأجدادِ، بطونٌ تُبقرُ، وأعراضٌ تنتهكُ، ومدنٌ تُدَكُّ، ليس في سياساتِ الصليبيةِ، ولا في مفاوضاتِها إلا أحدُ خيارين، إما الكفرُ وإما الإبادةُ، ولن تجدَ غيرَ ذلك تفسيراً ولا مصيراً، اللهم إلا طولُ النفَس ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

و لا تكادُ تجدُ في المسلمين حراكاً، وإن سمعتَ فلا تسمعُ إلا همْساً. اليهودُ والنصارىٰ يقيمونَ الدنيا، ثم لا يُقعدونَها من أجلِ رجلٍ واحدٍ، وقد تكونُ مشكلتُهم كما يقولون: إنه يعادي الساميةَ، يحركون هيئاتِ العالمِ، منظماتِه ومجالسَه، من أجلِ حادثةِ خطفٍ تَهمُّهم، أو قضيةِ تفجيرٍ تعنيهم، ولا يكترثون بما يمتلىءُ به العالمُ من قضايا التفجيرِ، والخطفِ المنتشرةِ.

وحينما يُقْتلُ المسلمون؛ تقومُ وسائلُ الإعلامِ المعاديةُ، ومنها بعضُ وسائلِ المسلمين المغفلةُ أو المغرضةُ. بتفسيرِ هذه الأحداثِ الداميةِ على أنها نزاعاتٌ عرقيةٌ ومشكلاتٌ عنصريةٌ. وعلم اللهُ والناسُ أنها لم تكن إلا من أجلِ الدينِ والإسلامِ ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨﴾ [البروج: ٨].

أعيذكُم باللهِ ـ أيها المسلمون ـ من الابتلاءِ بداءِ التبلدِ وموتِ الإحساس، وأنتم تتلونَ الكتابَ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

أعيذُكُم باللهِ أن يكونَ ذلك فيكم، وسنةُ رسولِ اللهِ ﷺ: «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضا**»[1] متفق عليه من حديثِ أبي موسى، «**مثلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتراحمِهم**

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩ ـ ح٢٤٤٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٥).

**وتعاطفِهم، مَثَلُ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمىٰ»**[1] رواه البخاريُّ، ومسلمٌ واللفظُ له من حديثِ النعمانِ بن بشيرٍ، «**لا ترجعوا بعدي كفارا يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**»[2] متفق عليه من حديثِ جريرٍ بن عبدالله البجلي رضي الله عنه.

يقال كلُّ ذلك أيها المسلمون.. وفي وَسطِ هذا الحزنِ الكئيبِ، وهذه المآسي المتواليةِ، يشرقُ انتصارُ الجهادُ في أفغانستان، ويستبينُ بها الطريقُ، وفي مواقفِ المسلمين المتضامنةِ في القضية الأفغانيةِ، مواقفُ سياسيةٌ داعمةٌ وقفتْها هذه البلادُ بحكّامِها وأهلِها، شيبِها وشبابِها ووقفَها معها دولٌ إسلاميةٌ أخرىٰ بشعوبِها، دماءُ شبابٍ زكيةٌ، وبذلٌ ماليٌّ مشكورٌ، وضراعةٌ ودعاءٌ إلى ربِّ البريةِ، بمثلِ هذا الدعمِ، وبمثلِ هذه المواقفِ، وبمثلِ هذا التعاضدِ تُحمىٰ الديارُ، وبإذنِ اللهِ يكونُ الانتصارُ، وتُغرسُ المهابةُ، وتقوى كلمةُ المفاوضِ ويُمحىٰ العارُ.

أيها المسلمون، هل يكونُ طريقُنا إلى القدسِ، وطريقُنا إلى كشميرٍ وبورما، ودعمُنا لإخوانِها في البوسنا والهرسك، هل يكونُ طريقُنا هذا كطريقِنا إلى كابول؟؟ هذا هو المأمولُ، وما ذلك على اللهِ بعزيزٍ، واللهُ غالبٌ على أمرِه، ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون.

اللهم من أرادَنا وأراد دينَنا، وإخوانَنا وديارَنا بسوءٍ فأشغلْه

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢ ـ ح٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٧١١ ـ ح٤٤٠٥)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ح١٦٧٩).

بنفسِه، واجعلْ كيدَه في نحرِه، واجعلْ تدبيرَه تدميرَه، اللهم كن لإخوانِنا المسلمين المستضعفين في كلِّ مكانٍ، اللهم كنْ لهم ناصراً ومعيناً، اللهم أزلْ عنهم البأساءَ واكشفْ الضراءَ، اللهم اجعلْ لهم من همِّهم فرجاً، ومن ضيقِهم مخرجاً، واخذلْ اللهم أعداءَهم، وفرقْ شملَهم، ومزقْهم كلَّ ممزقٍ، واشددْ عليهم وطأتَك وأنزلْ بهم نِقمتَك. اللهم قاتلْهم، واهزمْهم، وزلزلْ الأرضَ من تحتِهم، وأنزلْ بهم بأسك الذي لا يردُّ عن القومِ المجرمين. اللهم هذا الجهدُ وعليك التكلانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم. سبحان ربِّك ربِّ العزةِ عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

# هل نتخذ من فتح كابل طريقا للخلاص؟

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ وحدَه، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، أحمده سبحانه وأشكره لا شيءَ قبلَه، ولا شيءَ بعدَه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صبرَ وصابرَ وجاهدَ وقاتلَ حتى ارتفعت أعلامُ الملةِ. العزُّ والنصرُ معقودٌ لمن أطاعَه وسارَ على نهجِه، ومن خالفَ أمرَه أذلَّه اللهُ وأبعدَه، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ جميعاً ـ أيها المؤمنون ـ لعلكم تفلحون.

يا رجالَ الأفغانِ، لئن استبشرتُم واستبشرنا معكم بهذا النصرِ المؤزرِ الذي أطلَّ وأضاءَ عليكم وعلينا أهلَ الإسلامِ في ليلٍ حالكٍ. فالحذرَ الحذرَ أن تقتلوا هذه البُشرىٰ، أو تَئدوا هذه الفـرحـةَ. إن كُرْه الكفـارِ وحَّـدكـم، وآلامَ الاحتـلالِ جمعْتكـم، فاحذروا أن تفرِّقكم أطماعُ السياسةِ، ومنافساتُ الرئاسةِ، إن لم يجمعْكم الإخلاصُ والحقُّ فلسوفَ يفرقُكم الباطلُ والهوىٰ.

اذكروا الآلافَ من الشهداءِ والأراملِ واليتامىٰ، اذكروا آلاف الشبابِ الذين هرعوا إليكم مقاتلين، أرواحُهم في أكفِّهم، تفرقتْ

دماؤُهم واشلاؤُهم مع أبنائِكم في الجبالِ والوهادِ، يريدون أن يطهِّروا أرضَ الإسلامِ من رجسِ الشيطانِ وكفرِ الشيوعيةِ.

لقد بدأتُم جهادَكم فقراءَ حفاةً، أسلحُتكم كليلةٌ، ومعداتُ عدوِّكم ثقيلةٌ، كنتم تقاتلون في السهلِ والوعرِ، بالخيلِ والبغالِ والحُمُرِ، وكانت جحافلُ الروس تمتطي الطائراتِ، وتعلو المصفحاتِ، فجاءَ الحقُّ وظهرَ أمرُ اللهِ، فإياكم أن ينخرَ سوسُ السياسةِ في مجدِكم العظيم: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾[الأنفال:٢٦] أقيموا دولةَ الإسلامِ التي تسعُ الجميعَ، بخيرِها وعدلِها ورحمتِها: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

يا رجالَ أفغانستانَ، لا تسفكوا دماءَكم، ولا تخرجوا أنفسَكم من ديارِكم، وقد علمتم وعيدَ اللهِ لبني إسرائيلَ إن هم فعلوا ذلك ﴿فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [البقرة: ٨٥] فهذا وعيدُ اللهِ، وهذه سنتُه، إننا نربأُ بكم أن يوصَم عملُكم، أو يفسرَ جهادُكم بأنه قد ضاعَ أمامَ إغراءاتِ السلطةِ، وبريقِ الكراسي، لقد أهلكَ عدَّوكم واستخلفكم في الأرضِ لينظرَ كيف تعملون.

هذه هي الوصيةُ، فاتقوا اللهَ رحمكُم اللهُ، واتقوا اللهَ جميعاً أيها المؤمنون.

# مع أيد تبتغي محبة الله (العمل والعمال)

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالِنا. من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله بعثه بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدين كلِّه، فهو قدوةُ العاملين وحجةُ السالكين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الغرِّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون؛ فمن يتق اللهَ يجعلْ له مخرجاً ويرزقْه من حيث لا يحتسبُ، ومن يتوكلْ على اللهِ فهو حسبُه.

أيها المؤمنون، خلقَ اللهُ البشرَ في هذه الدنيا.. أنشأَهم من الأرضِ، واستعمرهم فيها، تتعاقبُ على ذلك الأممُ والأجيالُ إلى أن يرثَ الأرضَ ومن عليها، ليبلوكم أيُّكم أحسنُ عملاً. والأحقُّ بذلك والأجدرُ عبادُ اللهِ الصالحون. ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء ١٠٥].

ومن هنا فإن كلَّ قصدٍ من أجلِ عمارةِ الأرضِ كما أمر اللهُ فهو توجُّهٌ محمودٌ، وكلُّ عمل في هذا السبيلِ فهو من الصالحاتِ،

وكلُّ مجهودٍ في سبيلِ الحقِّ فهو سعيٌ مبرورٌ.

إن هذا الدينَ أيها الإخوةُ يوجبُ على أهلِه أن يكونوا أجدرَ بالحياتين، وأقدَرَ على النجاحِ في النجدين، وكلُّ ما يعينُ على ذلك؛ فهو من الدينِ، وكلُّ طريقٍ يوهنُ المسلمين؛ فهو غيرُ سبيلِ المؤمنين.

يخوضُ المؤمنُ كلَّ المجالاتِ المشروعةِ من أجلِ نصرةِ دينِ اللهِ وإعلاءِ كلمتِه وعزةِ أمتِه، له الحياةُ الطيبةُ الكريمةُ في الدنيا، ورضوانُ اللهِ في الآخرىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧] ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤].

وإنه لقصورٌ في النظرِ بل فشلٌ ذريعٌ أن يظنَّ ظانون أن الحقَّ والقوةَ في كلماتٍ تقالُ، أو مظاهرَ تقامُ من غيرِ مضامين.

إن هذا الدينَ لا يقامُ بالهمهماتِ، ولا بالبطالةِ، بل كيفَ يُستنزلُ نصرُ اللهِ إن لم تأخذْ الأمةُ بأسبابِ القوةِ، وإعدادِها، القوةُ في الذاتِ، والقوةُ في الأعمالِ، والقوةُ في السلاحِ: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحديد: ٢٥].

أيُّ قوةٍ تُرجىٰ في أقوامٍ ليس عندَهم مما عملتْ أيديهم ما يكتسون أو ينتعلون؟؟ وليس لديهم من صنعِهم ما يأكلونَ أو يركبونَ؟.

إنها طفولةٌ صارخةٌ تجعلُ غيرَهم يمنُّ عليهم بالطعامِ وبالكساءِ، ويحسنُ إليهم بالعلاجِ وبالدواءِ.

أين استجداءُ الأطفالِ من قُدُراتِ الأبطالِ؟! ماذا يُرجىٰ من ناشئةٍ لا تعرفُ قيمةُ العملِ؟ كيف يرمقُ المعاليَ من همتُه في الدنايا؟ لا تخشَنُ له يدٌ ولا يعرَقُ له جبينٌ؟؟ إن أقواماً عاجزين عن استخراجِ بركاتِ اللهِ من أرضِ اللهِ؛ لا تقومُ بهم رسالةٌ، وإن أمماً عاجزةً عن تجنيدِ مواهبِ أبنائِها في أنواعِ الأعمالِ والصنائعِ من أجلِ إعزازِ كلمةِ اللهِ. . أممٌ على غيرِ جادةِ الصوابِ تسيرُ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: لقد سمَّى فقهاؤُنا رحمهم الله حاجاتِ الأمةِ من الأعمالِ والصنائعِ والحرفِ فروضَ الكفاياتِ. إنها تتناولُ حراسةَ الأمنِ، ودواوينَ القضاءِ، وإجادةَ الأعمالِ، وامتهانَ الحرفِ، وكلَّ ما فيه عمرانُ الأمةِ، كما تتناولُ أجهزةَ الدولةِ وإداراتَها وأعمالَها ودواوينَها، إنها فروضُ كفاياتٍ ليس كلُّ أحدٍ مستطيعاً لها. لكن يُتحرَّىٰ لها الكفءُ الذي تكون به الكفايةُ قضاءً وتدريساً وإدارةً وصناعةً ومهنةً وحرفةً، صنوفٌ متعددةٌ لا يحسنُها كلُّ أحدٍ، ولا يقوىٰ عليها كلُّ أحدٍ، ولكن يحتاجُ إليها كلُّ أحدٍ، إنما هي مواهبُ وقدراتٌ وهممٌ متفاوتاتٌ قسمَها اللهُ بين خلقِه؛ ليتخذَ بعضُهم بعضاً سُخرياً.

وإذا ترشَّحَ كفءٌ بمؤهلاته في عملٍ أو وظيفةٍ أو مهنةٍ، وباشرَ القيامَ بها؛ أصبحتْ في حقِّه فرضَ عينٍ، لا يحلُّ له أن يتراخىٰ أو يفرطَ، والتهاونُ خيانةٌ وعصيانٌ.

ومن جانبِ آخرَ أيها المؤمنون، فإن هذه الأعمالَ نوعٌ من

العباداتِ. فهي طريقُ الحفاظِ على الأمةِ، وصيانةِ الدينِ، وقد يقصُرُ فقهُ بعضِ الناسِ؛ فيظنُّ أنها أقلُّ من فروضِ الأعيانِ.

يقولُ الأمامُ الجوينيُّ رحمه الله: «إن القيامَ بما هو من فروضِ الكفاياتِ، أحرىٰ بإحرازِ الدرجاتِ وأعلى في مثوبةِ القرباتِ، من فروضِ الأعيانِ. فإن ما تَعيَّنَ على المتعبِّدِ المكلفِ، لو تركَه اختصَّ بالإثمِ وحدَه، وإذا أقامه انفردَ بالأجرِ وحدَه، أمَّا لو تعطلَ فرضٌ مَن فروضِ الكفاياتِ، لعمَّ الإثمُ الكافةَ، على اختلافِ الرُّتبِ والدرجاتِ. فالقائمُ به كافٍ نفسَه وكافٍ جميعَ المخاطبين ورافعٌ عنهم الحرجَ والعقابَ، وآملٌ في أفضلِ الثوابِ فكيف يستهانُ بقدرِ مَنْ يُحلُّ محلَّ المسلمين أجمعين؟!» اهـ كلامه.

ومن نقصِ الفقهِ كذلك. ما يبدو من اختلالٍ في التوازناتِ عندَ بعضِ أصحابِ الوظائفِ والأعمالِ. فتراه مجتهداً في العباداتِ العينيةِ. وهذا حقٌّ ومتعينٌ، ولكن حينَ يلي عملاً من أعمالِ المسلمينَ فالسآمةُ على محياه باديةٌ، والتبرمُ على جبينِه مرسومٌ.. يأتيه أصحابُ الحوائجِ والمراجعاتِ، فيؤخرُ هذا، ويهملُ هذا، ويضيِّع أوراقَ هذا، إن حقوقَ الناسِ ومصالَحهم لا يجوز العبثُ بها، ولا التسويفُ فيها بغيرِ حقٍّ.

هلا تأملتمْ تخفيفَ اللهِ على الصالحين من عبادِه في نوافلِ العباداتِ من أجلِ القيام بمهماتِ الأمة ومصالحها العامة، اقرءوا إن شئتم قولَه عزَّ شأنُه: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَلَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُۚ

﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًاۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠].

إن العباداتِ والأعمالِ عينيَّها وكفائيَّها وسائلُ لتزكيةِ الفردِ، ورفعةِ الجماعةِ، والحفاظِ على قوةِ الأمةِ وعزةِ الدين.

أيها الإخوةُ، أيها الشبابُ، لابد من ارتفاعِ الهممِ، ونفضِ غبارِ الكسلِ، إنك لا تكادُ ترى سبباً لأنواعِ البَطالاتِ المكشوفةِ والمقنّعةِ إلا سقوطَ الهمةِ وفتورِ العزيمةِ، فالرجلُ إنما يتركُ الجدَّ في طلبِ العملِ، ويتهاونُ في السعي من أجلِ الرزقِ حين تنحطُّ همتُه وتصغرُ نفسُه، أما من شمَّر عن الساعدِ، وضربَ في الأرضِ ابتغاءَ فضلِ اللهِ. طرقَ الأبوابَ، وسلكَ المسالكَ، استسهلَ كلَّ صعبٍ من أجلِ معالي الأمورِ، فهو الجديرُ بالحياةِ الكريمةِ تأسياً بعظماءِ الرجالِ. حتى قال ابنُ الجوزي «ينبغي للعاقلِ أن ينتهي إلى غايةِ ما يمكنه، فلو كان يتصورُ صعودُ السمواتِ لرأيتَ من أقبحِ النقائصِ رضاه بالأرضِ، ولو كانت النبوةُ تحصلُ بالاجتهادِ رأيتَ المقصرَ في تحصيلِه في حضيضٍ».

وإذا كان العملُ يُلبسُ أهلَه لباسَ الاستغناءِ والكرامةِ، فإن في البطالةَ ثوبَ حقارةٍ فَضْفاضاً. يقولُ عمرُ رضي الله عنه: «أرىٰ الفتىٰ فيعجبُني، فإذا قيلَ لا حرفةَ له سقط من عيني».

ويقول أيضاً: «مكَسَبَةٌ فيها دناءةٌ خيرٌ من مسألةِ الناس». ويأبى الرجالُ أصحابُ الهممِ العاليةِ، الرضا بالدونِ من العَيشِ، حتى لو وجدوا من يكفلُ لهم معاشَهم ها هو عبدالرحمنِ بن عوفٍ لا يقبلُ عَرضَ أخيه من الأنصارِ سعدِ بن الربيعِ؛ ليشاطرَه مالَه، بل

قالَ: دلوني على السوقِ فنزلَ وعمِلَ في التجارةِ، حتى أصبَح من أغنياءِ الصحابةِ، ينفقُ على الجيوشِ في سبيلِ اللهِ، ويسيِّرُ القوافلَ لنصرةِ دينِ اللهِ.

وأبوالوليدِ الباجيُّ: أحدُ علماءِ الإسلامِ، يرحلُ من الأندلس في طلبِ العلمِ إلى بغدادَ، في حالٍ من البؤس والفاقةِ.. فمَا كان منه إلا أنَ اختارَ عملاً قد لا نراه مناسباً لَمقامِه العلميِّ إذ أجَّرَ نفسَه لحراسةِ دربِ بغدادَ في الليلِ ليستعينَ بأجرتِه على طلبِ العلمِ بالنهارِ.

إن البطالةَ أيها الناسُ، تجعلُ صاحبَها كَلًّا على غيرِه، يتنكر له العارفون، ويستثقلُه حتى الأقربون، تتفككُ من حوله الأواصرُ، وتتقطع الصلاتُ، إنها مصيبةٌ ماحقةٌ، تحترقُ في سعيرِها الفضائلُ والمصالحُ، وتذوبُ في مضاعفاتِها الأفرادُ والجماعاتُ.

فاتقوا اللهَ يرحمكُم اللهُ واعملوا صالحاً وأحسنوا: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة: ١٠٥].

# مع أيد تبتغي محبة الله (العمل والعمال)

## الخطبة الثانية

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، إن كافةَ الأعمالِ المباحةِ ممتدحةٌ في الإسلامِ، محترمةٌ في الأمةِ، ولكنَّ الاحتقارَ والعارَ في أن يعيشَ المرءُ القادرُ عالةً على سعي غيرِه.

وليس بعدَ أنبياءِ اللهِ قدوةٌ، فقد زاولوا مناشطَ من الأعمالِ متنوعةً، وما نقصَ ذلك في اصطفاءِ اللهِ لهم، ولقد قال سبحانه: ﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣].

وقال نبيُّكم محمدٌ ﷺ: «**ما بعثَ الله نبياً إلا رعىٰ الغنم**»[(١)] .

فكلُّ عاملٍ له كرامتُه، وكلُّ حرفةٍ لها مكانُها، والحاجةُ لكلٍّ قائمةٌ، والثوابُ على قدرِ النيةِ والعملِ. وكلُّ عملٍ أو صناعةٍ أو حرفةٍ تسدُّ حاجةً وتجلبُ نفعاً فهي عملٌ صالحٌ إذا نصحَ فيها

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٥١٦ ـ ح٢٢٦٢)، وابن ماجه (٢/ ٧٢٧ ـ ح٢١٤٩).

صاحبُها وأتقنَ، لا تقومُ على حرامٍ، ولا تعينُ على حرامٍ، ولا يخالطُها حرامٌ.

فليهنأْ كلُّ مسلمٍ بعملِه، واعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلقَ له.

هذا، وصلوا وسلموا على المبعوث رحمة للعالمين نبيكم محمد بن عبدالله، فقد أمركم بذلك ربكم، فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

# بين الغرور والعزة وبناء الأمة

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله كتبَ العزةَ لنفسِه ولرسولِه وللمؤمنين. والذلةَ والصغارَ للمخالفين، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا يذلُّ من والاه، ولا يعزُّ من عاداه، بيدِه مقاليدُ الأمورِ، وأَزِمَّةُ الخلائقِ أجميعن. وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، جُعل رزقُه تحت ظلِّ رمحِه، والذلةُ والصغارُ لمن خالفَ أمره، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ذوي النفوسِ الكبيرةِ، والهممِ العاليةِ، اندكتْ بعزائمِهم صروحُ الباطلِ، وتهاوتْ بمعاولِهم قِلاعُ الضالين، ورضي اللهُ عن التابعينِ أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها المسلمون: الغرورُ والإعجابُ بالنفسِ أمراضٌ تبتلىٰ به بعضُ النفوس، يبعثُ عليها نعمةٌ من اللهِ مخَّولةٌ، أو بسطٌ في الرزقِ ممدودٌ، أو علمٌ متميزٌ، أو جاهٌ عريضٌ. كما قد يكون الدافعُ اعتداداً بالأحسابِ، أو تفاخراً بالأنسابِ، أو تعاظماً بالقبائلِ والعشائرِ، واحتماءً بحمىٰ الجاهليةِ المقيتِ.

والغرورُ كما يصيبُ الأفرادِ تقعُ فيه أممٌ، وتصابُ به شعوبٌ. ولقد قال قومُ عادٍ كما في كتابِ اللهِ: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ

﴿ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا۟﴾ [فصلت: ١٥] ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨].

فردَّ اللهُ عليهم غرورَهم وتعاظمَهم: ﴿بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ١٨]. فليس ثمة شعبٌ متميزٌ على آخر، وليس بين اللهِ وبين خلقِه سببٌ غيرُ طاعتِه واتباع أمرِه والعملُ بمرضاتِه: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ [النساء: ١٢٣].

وفي مقام آخر قالتْ طوائفُ من أهلِ الكتابِ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]. إنه الغرورُ المطبوعُ عليه هؤلاء القوم، غرورٌ فلسفوا عليه خياناتِهم وجشعَهم، مدعين أن لهم في ذلك مستنداً من الدين.

قفلهم الغرورُ فجعلوا للأخلاقِ مقاييسَ متعددةً، فالأمانةُ وحفظُ الحقِّ محصورٌ في بني ملتِهم، أما غيرُهم من الأميين فلا حرجَ في أكلِ أموالِهم، ونهبِ حقوقِهم، والتدليسِ عليهم.

وأمةُ محمدٍ ﷺ خيرُ الأمم ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ولكنْ هذه الخيريةُ خاضعةٌ لسنةِ اللهِ في الطاعةِ والتقوىٰ والإيمانِ، وصلاحِ الحالِ بالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وإذا هي قصرتْ أو خالفت أدال[1] اللهُ عليها، ووقعَ عليها عدلُ

(١) أدال: نصر.

اللهِ في عبيدِه، وحينما حصلَ شيءٌ من تقصيرٍ في أولِ عهدِها حوسبتْ عليه، وجوزيت به: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

خالفوا أمرَ رسولِ اللهِ ﷺ في أُحُدٍ، فمضتْ فيهم سنةُ اللهِ التي لا تُحابي أحداً. ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ [التوبة: ٢٥].

هذا هو الغرورُ في بعضِ صورِه، وتلك هي بعضُ المظاهرِ في الغفلةِ عن سنةِ اللهِ.

أما العزةُ والثقةُ بالنفس فشيءٌ غيرُ الغرورِ، العزةُ خلقٌ محمودٌ أينما وجدَ، والثقةُ بالنفسِ خصلةٌ كريمةٌ لا طغيانَ معهَا ولا تَعالي.

المسلمُ عزيزٌ غيرُ مغرور، معتدٌ بنفسه في مواقفِ الذُّلِّ والهوانِ، يأبىٰ أن يُسامَ خُطةَ خسفٍ، لا يقبلُ النيلَ من دينِه ولا نفسِه ولا أن يُمسَّ في أهلِه ولا مالِه بغيرِ حقٍّ. جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، أرأيتَ إن جاء رجلٌ يريدُ أخذَ مالي؟ قال: «**فلا تعطِه مالَك**». قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتلْه**». قال: أرأيتَ إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيدٌ**». قال: أرأيتَ إن قتلتُه؟ قال: «**هو في النارِ**»(١) رواه مسلم.

من عزةِ المؤمنِ ألا يكونَ مستباحاً لكلِّ طامعٍ، أو غرضاً لكلِّ هاجمٍ. عزتُه ونخوتُه تقتضي أن يستميتَ دون دينِه ونفسِه وعرضِه ومالِه.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١٢٤ ـ ح١٤٠).

ومكمنُ العزةِ في المؤمنِ قوةُ إيمانِه، وجميلُ صبرِه، وحسنُ ثباتِه. غيرَ هيابٍ ولا وَجِلٍ، ولو تكررَ منه الإخفاقُ والفشلُ.

والأمةُ تكونُ عزيزةً حين تربي أبناءَها على خلقِ الشجاعةِ، وصرامةِ العزمِ، وعلوِّ الهمةِ، تكون عزيزةً حين تَلِدُ أبطالاً، وتُعدُّ أجيالاً، وتبذلُ جهوداً لا يقعدُ بها بخلٌ، ولا يُلهيها غِنىٰ.

لا يصنعُ التاريخَ إلا الرجالُ الأعزةُ، أهلُ الحقِّ والإيمانِ، يُغيِّرون مجرىٰ التاريخِ بكفاحِهم المتواصلِ، وعزائمِهم التي لا تلينُ. تسيرُ الدنيا في ركابِهم ولا يسيرونَ في ركابِها. وأولُ من يجبُ أن يتحلىٰ بالعزةِ ويمتطي صهوةَ الكرامةِ، ويبتعدُ عن الغرورِ؛ رجالُ الأمةِ الذين وُكلَ إليهم تدبيرُ شئونها من العلماءِ والمعلمينَ والقادةِ والسياسيين، قياداتُها وأولو الأمرِ فيها، في جماعاتِها ودولِها، وأصحابُ النفوذِ فيها. قياداتٌ صالحةٌ مصلحةٌ قويةٌ راشدةٌ طاهرةٌ مؤمنةٌ. ذلك ركنٌ ركينٌ من أركانِ العزةِ، ودعامةٌ من دعائِم الحفاظِ على الحقِّ.

ولتعلموا رحمكم اللهُ: أن العزةَ لأهلِ الإيمانِ والحقِّ باقيةٌ ما استقاموا على النهجِ، وأصلحوا نفوسَهم، وحافظوا على الصلاحِ، وأخذوا بدروبِ الاستقامةِ ومسالكِ الفضيلةِ.

ذلك أن العزةَ لا تجتمعُ مع السفاسفِ والدنايا، والبعدِ عن اللهِ ومحاداةِ اللهِ ورسولِه، والجرأةِ على انتهاكِ حرماتِه، والمجاهرةِ بالفسوقِ والمعاصي.

تَذِلُّ الأمةُ ـ أيها الإخوةُ ـ وتفقدُ كرامتَها حين تنحرفُ نفوسُها عن غاياتِها، وتضلُّ أقدامُها طريقَها حين يتلاشىٰ الدينُ من مظاهرِ

الحياةِ؛ فتتغيرُ وجوهُها وقلوبُها، يحلُّ محلَّ عزةِ المؤمنِ ورجولةِ المجاهدِ صورُ النساءِ وعلائمُ الكفارِ، تصطبغُ ثيابُهم بألوانِ أعداءِ اللهِ، تختفي علومُ الإسلامِ ومعارفهُ لتحلَّ محلَّها ثقافاتٌ ضالةٌ ومقاييسُ منحرفةٌ. تنحرفُ في سلوكِها الراشدِ لتتمسكَ بعاداتٍ باليةٍ وتقاليدَ جاهليةٍ. غاضَ من قلوبِها عزةُ الإيمانِ وكرامةُ الإسلامِ.

استصغروا أنفسَهم، واستعظموا أعداءَهم، وتناسوا إيمانَهم وجنودَ ربِّهم ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ [المدثر: ٣١].

نفوسٌ صغيرةٌ ذليلةٌ فقدتْ طعمَ العزةِ، وأفئدةٌ غافلةٌ لاهيةٌ نسيتْ ربَّها، واستخفتْ بوعدِه ووعيدِه في الدنيا والآخرةِ.

أين العزةُ فيمن يرىٰ في اتباعِ أوامرِ اللهِ عبئاً ثقيلاً على كاهلِه؟ ويرى اللذةَ والبهجةَ في سلوكِ المعاصي، ودروبِ المخالفاتِ؟ إنه الضعيفُ المستضعَفُ، الهينُ على نفسِه، الخاضعُ لكلِّ قوةٍ، المنحرفُ مع كلِّ تيارٍ، يرتعشُ خوفاً ويرتعدُ فَرَقاً يقول: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢] ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

أيها الناسُ، لم تَبْنِ أمةٌ مجدَها، ولم ينلْ شعبٌ عزتَه بالانقيادِ خلفِ الملذاتِ، أو بانتشارِ الفوضىٰ والظلمِ وغيابِ الحقِّ والعدلِ.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، إن عزَ هذه الأمةِ، ورفعةَ أهلِ الحقِّ لا تتمُّ ولن تكونَ إلا بالعضِّ على هذا الدينِ عقيدةً وشريعةً، صدقاً

وعدلاً، إحلالاً للحلالِ، وتحريماً للحرام، ثباتاً في الموقفِ، لا يزعزعه تهديدٌ ولا إغراءُ، ومن فقدَ الجُرأةَ، ورضيَ بالحياةِ الهينةِ، واستثقلَ حَملَ الشدائدِ؛ فلن يحققَ مجداً، أو يُحرزَ عزاً، ويحفظَ حقاً، ولكنه سيسيرُ في ركابِ الآخرين، ويجرفه التيارُ، ويَهلَكُ في الغابرين: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨] ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾ [فاطر: ١٠].

# بين الغرور والعزة وبناء الأمة

## الخطبة الثانية

الحمد لله وحدَه، نصر عبدَه، وأعز جندَه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بالحقِّ أعزَّه، وبملائكته أمدَّه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على أمره والتزم عهدَه.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا اللهَ أيهـا الأحبـةُ: واعلمـوا أن نقـدَ الـذاتِ، وتجـاوزَ الأخطاءِ وتصحيحَها من مظاهرِ الكمالِ الإنساني، ودليلُ الصدقِ مع النفسِ، ومعرفةِ الواقعِ والطبائعِ.

كما أن الفشلَ في بعضِ المواطنِ، أو الفتراتِ لا يجوز أن يكونَ مثبطاً للعزائمِ، مؤدياً إلى قتلِ الهممِ.

ولقد وجه الله نبيَّه ﷺ والمؤمنين إلى سنتِه في هذا الشأن، فقال: عزَّ من قائلٍ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فلقد أصابَ المسلمين في غزوةِ أحدٍ ما أصابَهم من انتكاسةٍ وقتلٍ وقروحٍ وكسرٍ للمعنوياتِ، حتى أشيعَ فيهم قتلُ رسولِهم محمدٍ ﷺ فواسىٰ القرآنُ جروحَهم، وهوَّنَ عليهم قروحَهم، ورفعَ من

معنوياتِهم مؤكداً لهم ألاَّ وهنَ ولا حزنَ مادامَ الإيمانُ باقياً: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

فاتقوا اللهَ - رحمكم الله - واستقيموا على أمرِ ربِّكم؛ تصلحْ أحوالُكم؛ وتُحفظْ هيبتُكم، ويتحققْ عزُّكم.

# حال الأمة وسنن الله في التغيير

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ لله، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، من يطع اللهَ ورسولَه فقد رشدَ، ومن يعصي الله ورسولَه فلا يضرُّ إلا نفسَه، ولن يضرَّ اللهَ شيئاً. وأشهد ألا إله ألا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيُّه وخليلُه، أظهر به الدينَ، وأعلى به الملةَ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فيقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أيها المسلمون: من دينِ الإسلام تُستمدُّ الأحكامُ، وبدينِ الإسلام تستقيمُ الأحوالُ، وترتفعُ الأعلامُ، شئونُ الأمةِ فرديةً كانت أَو اجتماعيةً، ماديةً أو معنويةً، محليةً أو دوليةً، سلميةً أو حربيةً، كلُّها محكومةٌ بدينِ اللهِ، ليس لهذه الأمةِ رصيدٌ غيرُه، وليس لها قيامٌ بدونِه.

حريٌّ بالأمةِ وهي تعيشُ خِضمَّ الأحداثِ، ومتغيراتِ الأيامِ أن تحسَّسَ موقعَها وموقفَها، وأن تتلمسَ دربَها وطريقَها.

أين العروةُ الوثقىٰ؟ وكيف المعتصم؟ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

أمةُ محمدٍ ﷺ خيرُ أمةٍ أُخرجتْ للناس، هذا كلامُ ربِّنا في وحيٍ يُتلىٰ، وخبرٍ لا يتخلفُ، أمةٌ وسطٌ، شَهيدةٌ على الناسِ.

هذه الخيريةُ والوسطيةُ في أمةٍ مؤمنةٍ، يحمدونَ اللهَ في السراءِ والضراءِ، يذكرونَ اللهَ قياماً وقعوداً وعلى جنوبِهم، وفي مساجدِهم ومجالسِهم. أناجيلُهم في صدرِوهم، رهبانٌ بالليلِ، فرسانٌ في النهارِ، يجاهدونَ في سبيلِ اللهِ، ولا يخافون لومةَ لائم، هم الآخِرون السابقون، غايتُهم ومقصَدُهم إخراجُ الناس من الظلماتِ إلى النورِ، إخراجُ الناسِ من عبادةِ العبادِ إلى عبادةِ ربِّ العبادِ، ومن جورِ الأديانِ إلى عدلِ الإسلام، ومن ضيقِ الدنيا إلى سعةِ الآخرةِ. هم أولياءُ اللهِ وأحباَؤُه، يأمرون بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ، ويقيمون الصلاةَ، ويؤتون الزكاةَ، ويطيعون اللهَ ورسولَه. هؤلاء هم خيرُ أمةٍ أخرجتْ للناسِ، محفوظون بدينِ اللهِ، مستقيمون على هديِ رسولِ اللهِ ﷺ، أكملَ اللهُ لهم دينَهم ، وأتم به عليهم نعمتَه.

تنبعُ خيريةُ الأمةِ، وتتأكدُ وسطيتُها في دينِها الكاملِ الخاتم. حاربَ الشركَ، وما يُفضي إليه، وفضحَ الانحرافاتِ في الدياناتِ السابقةِ من اليهوديةِ والنصرانيةِ وغيرِها. ابتدعوا في دياناتِهم، فابتعدوا عن هدي ربِّهم، دينُ هذه الأمةِ الخيِّرةِ كاملٌ تامٌ، لا يقبلُ التجزئةَ؛ إيمانٌ بكلِّ ما جاء به القرآنُ الكريمُ، وصحَّ به النقلُ عن النبيِّ المعصومِ ﷺ، كمالٌ وشمولٌ في التوحيدِ

والنبواتِ والقضاءِ والقدرِ، والبعثِ والنشورِ، الخيريةُ والوسطيةُ في تمامِ العبادةِ وشمولِها، حيثُ رُسمتْ حدودُها، وحُدِّتْ صفاتُها، ونُبِّه على أركانِها وشروطِها، ومُنعَ الإحداثُ والابتداعُ فيها: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وفي الحديث: **«من أحدثَ في أمرِنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»**(١). رواه البخاريُّ ومسلمٌ واللفظُ له.

نظرٌ شاملٌ في كلِّ مناحي الحياةِ، ومعاملاتِها وعاداتِها، أصولٌ عامةٌ، ونظمٌ مفصلةٌ.

حَفِظَ هذا الدينُ لهذه الأمةِ خيريتَها ووسطيتَها، حفظَ للناس حقوقَهم، الأقربين منهم والأبعدين، حدَّ الحدودَ، وشرعَ التعازيرَ، وصانَ الدماءَ والأنفسَ والأموالَ والأعراضَ، أمرَ بالعدلِ والإحسانِ، والصدقِ والأمانةِ، والوفاءِ والصبرِ والعفافِ والحياءِ، والتعاونِ على البرِّ والتقوىٰ، ونهىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ والبغيِ.

ومن علائم أهلِ النفاقِ في هذا الدينِ خُلفُ الوعدِ، وكَذِبُ الحديثِ، والفجورُ في الخصومةِ، وخيانةُ الأماناتِ. وحوتْ آدابُ الإسلامِ فيما حوت من أجلِ هذه الأمةِ الخيِّرةِ، وهذه الأمةِ الوسطِ، حوتْ آدابَ الأكلِ والشربِ، والنومِ واليقظةِ، واللباس والزينةِ. والمشيِ والجلوسِ، والزيارةِ والاستئذانِ، والتحيةِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٣٥٥ ـ ح٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣ ـ ح١٧١٨).

واللقاءِ، وأدبِ الحديثِ والطريقِ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

لو صدقَ المسلمون في دينِهم والتزموا آدابَه وأحكامَه بهذا الكمالِ والشمولِ؛ لتميزوا بالحقِّ والخيرِ، ولعرَفَ بعضُهم بعضاً، ولسوفَ يتميزونَ بهيئاتِهم ولباسِهم، كما يتميزون بعقائدِهم وشعائرِهم، ولسوف يتميزون بالتنزُّه عن الموبقاتِ والفواحشِ، كما يتميزون بالآدابِ الفاضلةِ، والأعمالِ الخيِّرةِ، وكما يُعرفون بإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، فإنهم يُعرفون بالأكلِ باليمينِ، وإفشاءِ السلامِ، وتشميتِ العاطسِ.

إنها آدابٌ رفيعةٌ خفيفةٌ، تكشفُ كلَّ الكشفِ عن شخصيةِ المسلمِ المميَّزةِ، ذلكم المسلمُ الخلوقُ العابدُ التقيُّ.

أيها المسلمون، هذا الحقُّ، وهذا الخيرُ هو لهذه الأمةِ محفوظٌ ما استقامتْ على الطريقة، واستكملتْ شروطَ المهمةِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد: ١١].

إن على المسلمين اليومَ وبين أيديهم كتابُ ربِّهم وسنةُ نبيِّهم محمدٍ ﷺ أن يتقوا ربَّهم. ألا فليتقِ اللهُ المسلمونَ.. ألا فليتقوا ربَّهم، ويراجعوا أحوالَهم، وينظروا في سننِ اللهِ، وأحوالِ من قبلُهم، وأحوالِهم مع غيرِهم: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [يونس: ١٤].

الخلافةُ في الأرضِ لم تكن إلا من أجلِ إقامةِ الحقِّ والعدلِ، من أجلِ تطهيرِها من الرجسِ والشركِ والفسوقِ، ونقائِها في العقائدِ والأخلاقِ والأحكامِ.

أمرُ الخلافةِ والتمكينِ منوطٌ بالأعمالِ الصالحةِ. واللهُ سبحانه ناظرٌ كيف يعملون، مطلعٌ على ما يبرمون، وكلُّ من ظلمَ وخالفَ فلن يُفلِتَ من سنةِ اللهِ في الظالمين.

المذنبون والمقصرون فريقان: فريقٌ يقعُ في الذنبِ، ثم يرجعُ ويتعظُ ويتوبُ، وفريقٌ يصابُ بذنبه، ويصرُّ على حنثِه حتى يُطبعَ على قلبه: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٠] إذا طُبِعَ على القلبِ فقد وَصَلَ الفسادُ إلى حالٍ لا يقبلُ صاحبُها خيراً، ولا يفقهُ قولاً، ولا تنفعهُ عبرةٌ ولا ذكرىٰ: ﴿ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس: ١٠١].

أيها المسلمون، ما أعاق الأمةَ اليومَ، وما حاق بها من بلاءٍ إلا أنها في كثيرٍ من مواطنِها وأوضاعِها اختارتْ غيرَ ما اختارَ اللهُ، ودانتْ بمناهجَ على غيرِ طريقِ رسولِ اللهِ ﷺ، اختلطتْ عليها السبلُ، واصطبغتْ بغيرِ صبغةِ اللهِ، تغيرتْ أحوالُهم، وفرطوا في دينِهم، أضاعوا الصلاةَ، واتبعوا الشهواتِ، أكلوا الربا، وفشا فيهم الفحشُ والزنا، اتبعوا خطواتِ الشيطانِ، تفرقوا شيعاً وأحزاباً، وتركوا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ، لم يكونوا أشداءَ على الكفارِ، ولا رحماءَ بينهم، ولم يُعدُّو ما استطاعوا من قوة.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾ [الرعد: ١١].

أما أعداءُ الأمةِ فإنهم مخذولون مهزومون، وخبرُ اللهِ فيهم لا يتخلفُ: ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ ﴾ [آل عمران: ١١١] إنه ضُرٌّ لا

يؤدي إلى هدم كيان الأمةِ، ولا إلى إضمحلالِها. إنه ضمانٌ قرآنيٌّ حقٌّ، وخبرٌ إلهيٌّ صدقٌ، مؤكدٌ بخبرٍ آخرَ: ﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١]. ويتبعهُ خبرٌ ثالث: ﴿ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ [آل عمران: ١١١] إنها بشاراتٌ كريمةٌ مشروطةٌ بمحافظةِ الأمةِ على دينها: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠] فهل يهتدي المسلمون إلى العروةِ الوثقىٰ؟ وهل يعرفون كيف المعتصمُ؟.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾ [النور: ٥٥ ـ ٥٧].

# حال الأمة وسنن الله في التغيير

## الخطبة الثانية

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهِه وعظيم سلطانِه، والشكرُ له على جزيلِ فضلِه وكريمِ إحسانِه. وأشهد ألاَّ إله إلا الله وحده لا شريك له. اعترافاً بجوده وامتنانِه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله، الداعي إلى هُدىٰ اللهِ ورضوانِه. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه وأتباعِه بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها الإخوةُ: إن أمةَ الإسلامِ مسئولةٌ عن حمايةِ الحقِّ، وإقامةِ المُثُلِ العليا، ونشرِ الفضائلِ الكريمةِ، تأخذُ على يدِ الظالمِ، وتحاربُ الجريمةَ. إن غايتَها في ذلك تهذيبُ البشريةِ، ومناهضةُ النزعاتِ الشيطانيةِ، ووضوحُ الفرقانِ بين الحقِّ والباطلِ، والخيرِ والشرِ، والحسَنِ والسيِّءِ، والفضيلةِ والرذيلةِ.

إن في دينِ هذه الأمةِ تلازماً وثيقاً بين العقائدِ والعباداتِ، وبين سلوكِ الإنسانِ وأخلاقِه في البيتِ والعملِ والسوقِ والمدرسةِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣]. إنه تلازمٌ يوجبُ على المسلمين أن يأخذوا بالدينِ كلِّه، فالدينُ كلٌّ لا يتجزأُ: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[البقرة: ٨٥].

ولم تؤتَ الأمةُ، ولم تحصلْ النكباتُ إلا من أناس ظنوا أن الإسلامِ مقصورٌ على علاقةِ العبدِ بربِّه، ولا صلةَ له بالمجتمعِ، ولا بالحياةِ.

إن الخروجَ على أحكام الإسلام وأصوله اعتقاداً أن غيرَه أقربُ إلى الحقِّ، أو أدنىٰ إلى العدلِ، أو أحفظُ للمصلحةِ؛ من اعتقد هذا؛ فقد خلعَ رِبقةَ الدينِ من عنقِه.

فاتقوا الله ربّكم ، اتقوا الله ربّكم أيها الناسُ، واستمسكوا بدينكِم وأقيموا الدينَ ولا تتفرقوا فيه، أقيموه في أنفسِكم وأهلِيكم، وسائرِ جوانبِ حياتِكم. وعودوا إلى ربّكم، وتوبوا إليه.

# الهـوىٰ والخـلاف

## الخطبة الأولى

الحمدُ لله على ما منحَ من النعماءِ، والشكرُ له على عظيمِ الآلاءِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأعوذُ به من مكرِ الأعداءِ. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، جعلنا على المحجةِ البيضاءِ، وحذر من الاختلافِ والفرقةِ والشحناءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبهِ، استقاموا على النهجِ، وقصدوا الحقِّ، فكانوا إخوةً أصفياءَ، ورضي الله عن التابعين، ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم، واجتنب سبيلَ أهلِ الأهواءِ.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا اللهَ حقَّ تقاتهِ، ولا تموتنَّ إلا وأنتم مسلمون. اتقوا اللهَ وقولوا قولاً سديداً، يصلحْ لكم أعمالكم، ويغفرْ لكم ذنوبَكم، ومن يطعِ الله ورسولَه فقد فاز فوزاً عظيماً.

أيها الإخوةُ في اللهِ، عقيدةُ التوحيدِ تجمعُنا، ودارُ الإسلامِ تُؤوْينا، ولكن من المحزنِ أن يحسَّ المسلمُ الغيورُ بغاراتٍ شعواءَ، يشنُّها خصومُ الإسلامِ على الإسلامِ وأمةِ الإسلامِ، خصومٌ من الداخلِ والخارجِ.

أغراضٌ متباينةٌ، وأهواءٌ كامنةٌ، وراءَ اتساعِ هذه الهجماتِ، وإلحاحٌ مقيتٌ من مُسْعِرِيها، مع كثرةِ الدخلاءِ، وفشوِّ سوقِ النفاقِ.

أيها الإخوةُ في العقيدةِ وطلابَ الحقيقةِ: على حسابِ مَنْ تُستثارُ المشاعرُ المشبوهةُ؟.

إن أصحابَ الأغراضِ والأهواءِ لا يجدون مُتنفساً في صدورِهم إلا بتتبعِ الهفواتِ، واستغلالِ الزلاتِ، وتلفيقِ الاتهاماتِ.

إن الهوىٰ ما خالطَ شيئاً إلا أفسدَه. بالهوىٰ يخرجُ العالِم من السنةِ إلى البدعةِ، وبالهوىٰ يقعُ الزاهدُ المتزهدِ في الرياءِ والسمعةِ، وبالهوىٰ يقعُ المسئولُ في الظلمِ، ويبتعدُ عن الحقِّ والحكمةِ.

إذا ساد الهوىٰ، واختلفتْ النياتُ؛ تولدتْ الجرأةُ على اللهِ وعلى الناسِ، وفشتْ الطعونُ والمكائدُ، ونُصِبتْ حبائلُ المكرِ وشباكُ الخَديعةِ. ومن ثَمَّ تحصلُ الفُرقةُ والشحناءُ، ويتمكنُ الأعداءُ، ويذلُّ أهلُ الإسلامِ.

إن أهلَ الأهواءِ يريدون في الأمةِ اختلافاً وتنافراً، وتنابذاً وتنابزا، يريدون منها أن تذِلَّ بعد عزِّها، وتنحطَّ بعد رِفعتِها، يريدونها أن تتفرقَ في دينِها شيعاً ومذاهبَ وأحزاباً.

أيها المحللون الإخباريون، أيها الساسةُ المحترفون من المسلمين: إنكم مسئولون عن أمانةِ الكلمةِ، مسئولون عن جمعِ الأمةِ على الحقِّ، لا يجوزُ الركون إلى مفاهيم غيرِ المسلمين،

والجنوحُ إلى تصوراتِ الكافرين، والرضا بتحليلاتِ المارقين، وتفسيراتِ المشبوهين. ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾ [النساء: ٤٦].

وقد وردَ في الخبرِ: «**لا تسألوا أهلَ الكتابِ عن شيءٍ، فإنهم لن يَهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تُصدِّقوا بباطلٍ وإما أن تكذِّبوا بحقٍّ**»(١). رواه البخاريُّ بمعناه.

أيها العلماءُ، أيها الدعاةُ، أيها الكُتَّابُ: لا يتنازعُ الناسُ، ولا تتسعُ بينهم الشقةُ؛ إلا حين يكون الهوىٰ متبعاً، ويُعجبُ كلُّ ذي رأيٍ برأيه.

إن الاختلافَ في وجهاتِ النظرِ بذاتِه لا يثيرُ نزاعاً، ولا يولِّد تنافراً، ولكن صاحبَ الهوىٰ والمعجبَ بنفسِه يجعلُ الحقَّ في كفةٍ، ونفسَه المخذولةَ في كفةٍ.

إن الخلافَ العلمي لا يثيرُ حفائظَ النفوس، ومكنوناتِ الصدورِ إلا عند من قلَّ في دينِ اللهِ فقههُ، وضعفتْ تربيتُه، وساءَ قصدُه ونيتُه.

أما العلماءُ الراسخون، والدعاةُ الصادقون، والكتَّابُ المخلصون فأولئك عن هذا مبعدون، ذلكم ـ أيها الإخوةُ ـ لأن سنةُ اللهِ في البشرِ أن يختلفوا ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩].

---

(١) أخرجه عبدالرزاق في المصنف مرفوعا (٦/ ١١٠ ـ ح١٠١٥٨)، (١٠/ ٣١٢ ـ ح١٩٢٠٩) وفيه انقطاع، وأخرجه موقوفا (١٠/ ٣١٣ ـ ح١٩٢١٢)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح: سنده حسن (١٣/ ٣٤٥)، ومعناه عند البخاري (١٣/ ٣٤٥ ـ ح٧٣٦٣).

والفقهاءُ والعلماءُ والدعاةُ ليسوا بدعاً من البشر، وليسوا بخارجين عن هذه السنةِ، فالأنظارُ متفاوتةٌ، والأدلةُ مختلفةٌ، والاستنتاجُ متباينٌ، وكلُّ ذلك خلافٌ سائغٌ ووجهاتُ نظرٍ محترمةٌ، ومن أصابَ من أهل الاجتهادِ فله أجران، ومن أخطأ فله أجرٌ.

حجَّ عثمانُ رضي الله عنه سنةَ تسعٍ وعشرين، فأتمَّ الصلاةَ في منى وعرفةَ أربعَ ركعاتٍ، فتكلَّم الناسُ في ذلك، وعابَ عليه جمعٌ من الصحابة. حتى قال له عليٌّ رضي الله عنه: لقد أحدثتَ أمراً والعهدُ برسولِ الله ﷺ لا يزالُ قريباً، وإنك قد عِهدتَ النبيَّ ﷺ وأبابكرٍ وعمرَ يصلون ركعتين، وأنت صليتَ ركعتين صدراً من خلافتِك. فقال عثمان: هذا رأيٌ رأيتُه، وفي بعضِ رواياتٍ، إن عبدَالرحمن بنَ عوفٍ ناقشَه بنحو ما قالَ عليٌّ رضي الله عنه، فقال عثمانُ: إني أُخبرتُ أن بعضَ من حجَّ من اليمنَ وجفاةَ الناس قالوا: إن الصلاةَ للمقيم ركعتان، واحتجوا بصلاتي وقد اتخذتُ بمكةَ أهلاً. فقال عبدُالرحمن: ما في هذا عذرٌ، فخرجَ عبدُالرحمن فلقيَ عبدَالله بن مسعودٍ، فقال: يا أبا محمدٍ، لقد غُيِّرَ ما نعلمُ. قال ابن مسعودٍ: فماذا أصنعُ؟ قال: اعمل بما ترىٰ وتعلمُ، قال ابنُ مسعود: الخلافُ شرٌّ كلُّه، وقد صليتُ بأصحابي أربعاً، فقال عبدُالرحمن: قد صليتُ بأصحابي ركعتين، وأما الآن فسوفَ أصلي أربعاً.

أيها المسلمون: ما من شكٍ في أن خلافَهم في هذه المسألةِ شديدٌ، ولكنه خلافٌ في الرأي، لم يُرِدْ به عثمانُ رضي اللهُ عنه عِصياناً ولا تنكراً، حاشا وكلا، وما كان صادِراً عن هوىً في

النفس، ولكنه رأيٌ غلبَ عنده رجحانُه، ومخالفوه من الصحابةِ كعبدالرحمنِ بن عوف وعبدِالله بن مسعود لم يكن عندهم تحزبٌ ولا تعصبٌ؛ بل تركوا ما كان عندَهم أرجحَ وأقوىٰ، وعدلوا إلى المرجوحِ الضعيفِ؛ لما يرونه ويدركونه من أن الخلافَ شرٌّ فأتمُّوا الصلاةَ، ولم يقصروا، توحيداً للكلمةِ، ووحدةِ للصفِّ.

أيها الفضلاءُ: بمثلِ هذا النظرِ البصيرِ، والقلبِ السمْحِ، يُنظَرُ في مسائلِ الخلافِ، فيرتفعُ الملامُ، ويُحفظ حقُّ الأئمةِ الأعلامِ.

الاختلافُ في الرأيِ لا يمكنُ أن يكونَ مؤدياً إلى فتنةٍ، أو مُورثاً فُرقةً، إلا إذا صاحبَه بغيٌ أو هوىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩].

وبناءً على هذا أيها الإخوةُ: فإن كلَّ ما أوجبَ فتنةً، وأورثَ فُرقةً؛ فليس من الدين في شيءٍ، وليس من نهجِ محمدٍ ﷺ في شيءٍ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

إن من علاماتِ الرجولةِ، ودلالاتِ الكمالِ أنكَ حين تُخالِفُ امرأً في تفكيرِه، أو تعارِضُه في وجهةِ نظرِه، لا ينطوي فؤادُك على كرهِه، أو يمتلىءُ صدرُك بالغيظِ منه، وينطلقُ لسانُك بتجريحِه واتهامِه.

إن من المآسي أن ترىٰ كاتباً مغرضاً، أو قارئاً مسيئاً، أو مستمعاً متجنياً، يطالعُ في سيرِ الرجالِ، ويقرأُ في كتبِهم، ويستمعُ إلى تسجيلاتِهم، فلا يستوقفُه إلا ما ينسبُ إليهم من هناتٍ، أو يَزِلُّون فيه من أخطاءٍ، أما ما أفاءَ اللهُ عليهم من

محامدَ، وما قدَّموه للناس من حقٍّ وخيرٍ فلا يأبهون به، ولا يذكرونه، إنهم كجيرانِ السَوءِ، إذا رأوا خيراً دفنوه، وإذا رأوا شراً طاروا به وأذاعوه.

إن التماسَ الأخطاءِ وتحريفِ الكلِم، وتأويلَ النصوصِ، من أجلِ التشهيرِ والتنقيصِ، لا يقيمُ عوجاً، ولا يرفعُ خسيسةً.

وباللهِ نعوذُ وإليه نلتجىءُ من أقوامٍ رائدُهم الهوىٰ، وقائدُهم الشيطان، وحاكمُهم التعصبُ، ومركبُهم التجني، وبالله نستغيثُ من فئاتٍ تتلمسُ العيبَ للبُرءَاء والأخطاءَ للمصيبين، والذنبَ لمن لا ذنب له.

إن المؤمنَ الحقَّ، ورجلَ الدعوةِ الصِّدقَ: هو الذي يملكُ نفسَه في مثلِ هذه المقاماتِ، ويتثبتُ في هذه المنعطفاتِ، يملكُ زمامَ لسانِه وفكرِه وقلمِه من أن يُفلتَ بسببِ كلمةٍ طائشةٍ، أو وشايةٍ حاقدةٍ.

ألا فاتقوا اللهَ أيها الأحبةُ، اتقوا اللهَ جميعا، والزموا التآخي متواضعين، واجتمعوا على الإسلامِ متحابين، وانشروا التسامحَ مع العاثرين. فإنه إن يُصبْ الإسلامَ في هؤلاء فلا أملَ في غيرِهم من الزنادقةِ المتنكرين لكلِّ شريعةٍ أو دينٍ.

اللهم إنا نسألُك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، ونسألُك كلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، ونعوذ بك أن نقولَ زُوراً، أو نغشىٰ فُجورا، أو نتكلفَ ما لا يعنينا. اللهم اجمعْ على الحقِّ كلمتَنا، وأصلحَ لنا شأننَا، واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين، إنك أنت الغفور الرحيم.

# الهوىٰ والخلاف

## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفى، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تجاوز عن الذنوب وعفا، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبي المصطفى، أفضل الخلق وأزكاهم شرفا. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أهلِ البرِّ والوفا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجهم واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، واعلموا أنه ينبغي للمسلم أن يكونَ أوسعَ أُفُقاً، وأكثرَ حكمةً، وأشدَّ تدقيقاً فيما يقولُ ويكتبُ، وفيما يأتي ويسمعُ.

وكم هو جميلٌ من المثقفِ وطالبِ العلمِ أن ينظرَ في رأي المخالفِ، ويزنُه بميزانِ العدلِ والإنصافِ، ويبذلَ وسعه في الفهم والإفهام، مع التباحثِ والمذاكرةِ مكاتبةً أو مشافهةً. والأهَمُّ من ذلكَ معرفةُ أقدارِ الرجالِ وسوابقِ فضلِهم، والاعترافُ بجهودِهم، وجميلِ أفعالِهم.

يقول سعيدُ بنُ المسيِّبِ: ليس من عالمٍ ولا شريفٍ ولا ذي فضلٍ إلا وفيه عيبٌ، ولكن من كان فضلُه أكثرَ من نقصِه ذهبَ نقصُه لفضلِه، كما أن منْ غلبَ عليه نقصانُه ذهبَ فضلُه.

وقال غيره: لا يسلمُ العالمُ من الخطأ، فمن أخطأ قليلاً وأصابَ كثيراً فهو عالمٌ.

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ، وتحروا العدلَ. وإياكم والانسياقَ في الهوىٰ، والوقوعَ في التجريح، فالذين يؤذون المؤمنين والمؤمناتِ بغير ما اكتسبوا قد احتَملوا بهتاناً وإثماً مبيناً.

# محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل

## الخطبة الأولى

الحمد لله يبدئُ ويعيدُ، خلق السمواتِ والأرضَ بالحقِّ، يكورُ الليلَ على النهارِ، ويكورُ النهارَ على الليلِ. أحصىٰ على الخلقِ أعمالَهم، فهو بكلِّ شيءٍ محيطٌ، وعلى كلِّ شيءٍ شهيدٌ، أحمده سبحانه وأشكره، وأسأله من فضلِه المزيدَ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وهو الوليُّ الحميدُ.. وأشهد أن محمداً عبدُ اللهِ ورسولُه.. دعا إلى اللهِ وهاجرَ في سبيلِ اللهِ وجاهدَ وصابرَ.. حتى أقامَ الملةَ، ورفعَ رايةَ التوحيدِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه أهلِ الهجرةِ والنصرةِ والتأييدِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون حقَّ التقوىٰ ، فالأعمار تُطوىٰ، والآجالُ تَفنىٰ، والمُؤَمِّلُ يقعدُ به أملُه، والمُسوِّف يعاجلُه أجلُه. فاتقوا اللهَ وأحسنوا، إن الله يحبُّ المحسنين.

أيها الإخوةُ المسلمون: تتعاقبُ أمواجُ السنينَ على ساحلِ الحياةِ. فتنفي الخبثَ، وتطرحُ الغُثاءَ، وتركُم الأحداثَ، ويزدادُ سجِّلُ التاريخِ صفحةً بعدَ صفحةٍ، وابنُ آدمَ بأمرِ اللهِ محمولٌ على هذه الأمواجِ. تتقاذفه من هنا وهناك. والفلكُ الدائرُ يتحركُ ـ

بإذن الله ـ فيلفظُ القشرَ، ويصفّي الأكدارَ، ويحفظُ الُلبابَ.

وفي استقبالِ عامٍ وتوديعِ آخرَ.. تأمَّلوا وتدَّبروا.. اقرءوا ما خطَّه التاريخُ في صفحتِه التي طواها الدهرُ بالأمس. هل انجلتْ غواشي الغفلةِ عن العيونِ السادرةِ؟ هل ارتفعَ الذَلُّ عن النفوس العزيزةِ؟ هل اجتمعتْ القلوبُ المتنافرةُ؟ هل ملَّتْ النفوسُ الحديثَ عن الآمالِ والبشائرِ؟ هل لم تستفدْ من زمنِها، وتقلُّبِ الأيامِ بها إلا الجدلَ العقيمَ في تأييدِ رأيٍ وتفنيدِ آخرَ؟ هل هي خُططٌ بالكلامِ، وانتصاراتٌ بالأماني والأحلامِ؟.

أيها الإخوةُ، من أجلِ إجاباتٍ شافيةٍ، ونظراتٍ صادقةٍ أمامَ هذه التساؤلاتِ.. لابد من وقفةٍ محاسبةٍ جادةٍ، ومراجعةٍ دقيقةٍ.. فلقد تفجرتْ في وجوه الأمةِ الأهوالُ، واغبَّرتْ في عيونِها الآمالُ.. بين أنَّاتِ الشاكي، ودموعِ الباكي، وانكسارِ الجناحِ المَهيضِ.

أيها الإخوةُ: أمامَنا حالاتٌ من التأملِ، حالُ التأملِ الأولىٰ: إن هذه الأمةَ، أمةَ الإسلامِ ـ حين هاجرتْ من مكةَ إلى طيبةَ ـ هاجرتْ وهي ضعيفةٌ في قواها، راسخةٌ في إيمانِها.. ثم انطلقتْ من طيبةَ الطيبةَ غالبةً في الشرقِ والغربِ. . في الشمالِ والجنوبِ. انطلقتْ من قُريَّاتِ الجزيرةِ إلى قاراتِ الدنيا. ذلكم هو دينُ الله الذي به الأمةُ قامتْ، وإليه دعتْ، وبه فازتْ. إنه توحيدُ اللهِ وتوحيدُ الكلمةِ، وتوحيدُ القوةِ وتوحيدُ الغايةِ. أعلنتْ الأمةُ كلمةَ اللهِ، وبلغتْ رسالةَ الحقِّ، وحملتْ أمانةَ العلم، أرشدتْ ـ بتوفيقِ اللهِ ـ الضالَّ فاهتدىٰ، وانتصرتْ للذليلِ فاعتزَّ، وعلَّمتْ الجاهلَ فاستنارَ. مكَّنتْ في حكمِها وأرضِها لعناصرِ الحقِّ والخيرِ.

فتربتْ عليها كلُّ نفسٍ، وازدهرَ بها كلُّ جنسٍ. وانتشرتْ في كلِّ أفقٍ، وحققتْ للإنسانِ الطريدِ والمستعبدِ، حققتْ له الأمانَ في أخوَّةٍ ساميةٍ، ومواساةٍ راحمةٍ، ومساواةٍ عادلةٍ، وحريةٍ حقةٍ.. استنارتْ فيها العقولُ، ونمتْ فيها المداركُ.

لماذا كانت الأمةُ كذلك؟ ولماذا حققتْ كلَّ ذلك؟ لأن رسالتَها وحيُ السماءِ، وليستْ وحيَ الجوعِ والمطامعِ. أوحاها ربُّنا الذي خلقَ الموتَ والحياةَ، وجعلَ الظلماتِ والنورَ.. الذي يعلمُ المفسدَ من المصلحِ.. هذا حالٌ من التأملِ.

ولكن في فترةٍ من الزمنِ.. ضعُفتْ الكواهلُ عن حَملِ التكاليفِ، واستثقلتْ أعباءَ المجدِ، وغلبتها سِنةٌ من النومِ والكسلِ.. فلما استيقظتْ، لتمسحَ الكرىٰ عن الجفونِ، وتنفضَ الغبارَ عن المتاعِ... فإذا العالمُ يعصفُ به سعارٌ من الجشعِ المسلحِ، والطمعِ الباغي، وإذا الدينُ الحقُّ يغطيه غبشٌ المزاجِ الغربيِّ الكافرِ بعلمانيتِه وماديتِه، وإذا المنتسبونَ لموسىٰ ـ عليه وعلى نبيِّنا أفضلُ الصلاةِ والسلامِ ـ ينهجون نهجَ المكرِ والدَّسِ، ويتعاملون تعاملَ الرِّبا والغشِّ، والمنتسبون لعيسىٰ ـ عليه السلامُ ـ ينشرونها حروباً وخصوماتٍ،ويروِّجونَها تفسُّخاً وخنا في أصقاعِ الدنيا وأطرافِ المعمورةِ.. حضارةٌ ماديةٌ.. هي علةُ شقاءِ هذا العصرِ. تباعدتْ بها القُربىٰ،وتنافستْ فيها الأطماعُ، وتنامتْ فيها الأحقادُ، واضطربَ الناسُ في سبيلِ المعاشِ، وألهبهم حوافزُ النهمِ والطمعِ، وتخاصموا على بلادِ الضعفاءِ، وحكَّموا في رقابِهم السلاحَ.. فكانت الدنيا بحضارتِهم عذاباً أليماً.. ينضجُ الجلودَ، ولا يزهقُ الأرواحَ، وهذا حالٌ من التأملِ آخرُ..

أما الحالُ الثالث ـ أيها الأخوةُ ـ فإن الإسلامَ حقٌّ بذاتِه، وقوتُه من داخلِه، ولا يزالُ كتابُ اللهِ محفوظاً. . . يعمرُ القلوبَ، ويغمرُ النفوسَ بالحياةِ والقوةِ. . حياةِ الروحِ وقوةِ الإيمانِ.

نعم ـ بحمدِ اللهِ ـ الإسلامُ روحٌ، فهو حياةٌ وعقيدةٌ، وهو قوةٌ وشريعةٌ، وهو دستورٌ ومحبةٌ، وهو سلامٌ وأمانٌ.

وهؤلاءِ الكفارُ ورجالُ الاستعمارِ. . هالهم سِرُّه، وراعهم حقيقتُه. . فحاولوا أن يطفئوه في مشرقِ نورِه، ويخنقوه في مصدرِ صوتِه. . من أجلِ أن يسرقوا الضمائرَ في الظلامِ، ويسلبوا الكنوزَ والذخائرَ في الغفلةِ.

ولقد أخطئوا ـ واللهِ ـ فهمَه، وجهلوا قوتَه. . إنه نورٌ اللهِ يسطعُ ما سطعت الشمسُ، ونداءُ السماءِ يرتفعُ ما ارتفعَ الحقُّ.

ويتأكدُ هذا أيها الإخوةُ، ونحن في حالِ التأملِ، ومقامِ النظرِ والمحاسبةِ. تتأكدُ قوةُ الإسلامِ وحقيقةُ هذا الدين. . حين برزتْ في هذا العصرِ دعواتُ إصلاحٍ، وقام رجالٌ مخلصون فقِهوا في دينِ اللهِ، وصحتْ فيهم عقائدُه. . من لدنْ محمدِ بنِ عبدِالوهابِ ـ رحمه اللهُ ـ ومن ناصرَه، والروّادِ المصلحين المخلصين من بعدِه، وعلى أثرِه في رجالِ الدعوةِ وشبابِ الصحوةِ مصداقاً لقولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: **«لا يزالُ من أمتي أمةٌ قائمةٌ بأمرِ اللهِ، لا يضرُّهم من خذلَهم ولا من خالَفهم حتى يأتيهم أمرُ الله وهم على ذلك»**[1] متفق عليه، واللفظ للبخاري من حديث معاوية.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٧٣١ ـ ح٣٦٤١)، ومسلم (٣/ ١٥٢٤ ـ ح١٠٣٧).

فأخذتْ تسري في جذعِ الأمةِ الحياةُ، وتنشرُ في سيقانِها الربوعُ، وأشبالُ الفاتحين وأحفادُ الأبطالِ قاموا لينفضوا عن المعدنِ الكريمِ غبارَ الزمنِ، ويميطوا عن الجوهرِ الأصيلِ قتامَ العوادي في حكمةٍ وصبرٍ.. وجدٍّ ومصابرةٍ.. يخطون للأجيالِ وصيةَ المستقبلِ.

موقفُ المحاسبةِ، ونظرُ التأملِ، يؤكد أن المسلمين الصادقين لا تتزعزعُ فيه الثقةُ بأن المستقبلُ لهذه الدعوةِ التي آمنوا بها، وما عليهم إلا أن ينهضوا بحقوقِ هذا الدينِ، ويثبتوا على صراطِه المستقيم.. مهما تكاثرت المحنُ، وترادفت الفتنُ، يقينٌ جازمٌ بأن نصرَ اللهِ للمؤمنين حقٌ، ولو كان الواقعُ المشاهدُ يستبعدها، والظرفُ الراهنُ يرتابُ فيها: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الروم: ٤٧] نعم، يوقنون بأن النصرَ لهم ولو طالَ الأمدُ وامتدَّ السُّرىٰ.

المسيرةُ الصحيحةُ، والسيرُ على الجادةِ... يقتضي أن يؤديَ المؤمنُ واجبَه في دينِ اللهِ من غيرِ تعجلٍ للنصرِ، فليس الأمرُ متعلقاً بفوزِه الشخصيِّ، أو اندحارِ عدوِّه الحاضرِ.. فمن يدري فلربما تحوَّلَ هذا الخصمُ إلى صديقٍ مؤمنٍ.. يعتزُّ به دينُ اللهِ.

المؤمنون يعملون ويغرسون، وإنهم ليرقبون ثمارَ غرسِهم في المستقبلِ القريبِ أو البعيدِ: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾ [غافر: ٥١ ـ ٥٢].

المؤمنون يدعون إلى اللهِ، ويعملون من أجلِ دينِهم من غيرِ أن

يخامرَهم قنوطٌ، أو يداخلَهم شكٌّ، ولن يسأموا تكاليفَ الجهادِ، ومعاناةَ الصبرِ والمصابرةِ، ولو كلَّفهم ذلك الهجرةَ والاستشهادَ والتضحيةَ.

﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤١ ـ ٤٤].

# محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل

## الخطبة الثانية

الحمد لله شرحَ صدورَ المؤمنين لطاعتِه، وسهَّلَ لهم سُبُلُ الخيرِ والإحسانِ، وأعان على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أنزل عليه الكتابَ واصطفاه لرسالتِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه وسيرتِه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ ـ عبادَ الله ـ، واجتهدوا في الأعمالِ الصالحةِ، فالأعمارُ سريعةُ الذهابِ.. إن هي إلا أيامٌ وشهورٌ، وأعوامٌ سريعةُ المرورِ.

أيها المسلمون: ها أنتم في مقتَبلِ عامٍ هجريٍ جديدٍ. جعله الله عامَ خيرٍ وبركةٍ وأمنٍ وأمانٍ، وجمعَ فيه كلمةً المسلمين على الحقِّ والهدىٰ، وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه.

أيها الإخوةُ: ولئن كنتم تستلهمون من أعوامِكم الصبرَ، وتأخذون من تاريخِكم الدروسَ. فإن من أظهرِ دروس الهجرةِ، درسَ التضحيةِ والفداءِ الإيثارِ. وأوضاعُ المسلمين الحاضرةُ في كثيرٍ من المواقعِ والديارِ تحتاج مدَدكم ورِفدَكم ومعروفَكم وإحسانَكم. فلقدَ حلّتْ بإخوانٍ لكم في مواطنَ شتىٰ كروبٌ

وكوارثُ.. عجزتْ عنها كواهلُهم، ونزلت بهم قوارعُ دهمتهم في ديارِهم ومنازِلهم، ومن نماذجِ هؤلاء المسلمين في بلادِ البوسنةِ والهرسكِ، ولقد وجَّه النداءَ وليُّ أمرِ هذه البلادِ ـ يحفظه الله ـ من بعدِ نداءِ إخوةِ الإسلامِ، وأمر بتكوينِ لجانٍ من أجلِ ذلك.. كي تستنهضَ هممَكم وتذكِّرَكم بحقوقِ إخوانِكم عليكم.. فبادرَ مسئولون، واستجابَ موسرون.. فجادوا بما جادوا. تقبل اللهُ منا ومنهم.. ولقد كان لكم بلاءٌ حسن في أفغانستان وفي مواقَع أخرى منكوبةٍ، فأحسنَ الله إليكم وزادَكم من فضلِه. ولا زال إخوانُكم بحاجةٍ.. فاعرفوا نعمَ اللهِ عليكم، واستفتحوا عامَكم بالذي هو خير.. قدِّموا لأنفسِكم من غير منٍّ ولا أذىً.. اقدُروا نعمَ اللهِ حقَّ قدرِها... أمنٌ ورخاءٌ وصحةٌ وعافيةٌ، وقد جاءَ في الخبرِ: «**إن لله أقواماً يختصُّهم بالنِّعم لمنافعِ العبادِ، ويقرُّهم فيها ما بذلوا لها، فإذا منعوها نزعَها منهم، فحوَّلها إلى غيرهم**»(١). فلا تتركوهم وفقكم اللهُ وباركَ لكم فيما آتاكم. لا تتركوهم يتجرَّعون غصصَ المحنِ والابتلاءاتِ.. قفوا إلى جانبِهم وشدُّوا من أزرِهم.. أَسْهِموا بمشاركةٍ تدفعُ الضوائقُ، وترفعُ كابوسَ المحنةِ، وتقومُ بسدِّ الخَلَّةِ، ولا تحقِروا من المعروفِ شيئاً، ومن كان في حاجةِ أخيه؛ كان اللهُ في حاجتِه.

هذا من حقوق إخوانِكم، ولا تنسوا حقوقَ أنفسِكم، فإنكم في أيامٍ فاضلةٍ.. فأروا اللهَ من أنفسِكم خيراًو وقد كان نبيُّكم

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في (قضاء الحوائج)، والطبراني في الأوسط، وأبونعيم في الحلية، والخطيب في التاريخ وحسن إسناده الألباني.

محمدٌ ﷺ يخصُّها بصيام، ويحثُّ على صيامِها. ذلكم هو يومُ عاشورا، ويومٌ قبلَه أو يومٌ بعدَه.

يقولُ عبدُاللهِ بنُ عباس رضي الله عنه: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يتحرىٰ صيامَ يومٍ فَضَّلَهُ على غيره إلا هذا اليومَ يومُ عاشوراءَ، وهذا الشهرَ يعني: شهرَ رمضانَ»[1] متفق عليه واللفظُ للبخاري.

وتقولُ حفصةُ أمُّ المؤمنين رضي الله عنها: «أربعٌ لم يكن يدعُهنَّ النبيُّ ﷺ: صيامُ يومِ عاشوراءَ، وعشرُ ذي الحجةِ، وثلاثةُ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، وركعتاَ الفجرِ»[2] خرَّجه النسائي.

وعنْ بعضِ أزواجِ النبيِّ ﷺ: «أن رسول اللهِ ﷺ كان يصومُ تسعاً من ذي الحجةِ، ويومَ عاشوراءَ، وثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهرٍ، وأولُ إثنين من الشهرِ وخَمِيسَيْنِ»[3] رواه أبوداود، والنسائي واللفظُ له.

فبادروا ـ وفقكم اللهُ ـ إلى الصالحاتِ وتزودوا من الباقياتِ، وأكثروا من الصلاةِ والسلامِ على رسولِ اللهِ ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٨٧ ـ ح٢٠٠٦) واللفظ له، ومسلم (٢/ ٧٩٧ ـ ح١١٣٢).

(٢) أخرجه أحمد (٦/ ٢٨٧)، والنسائي (٤/ ٢٢٠ ـ ح٢٤١٧)، وابن حبان انظر الاحسان (١٤/ ٣٣٢ ـ ح٦٤٢٢)، وأبويعلى في مسنده (١١/ ٤٦٩ ـ ح٧٠٤١).

(٣) أخرجه النسائي (٤/ ٢٠٥ ـ ح٢٣٧٢)، وأبوداود (٢/ ٣٢٥ ـ ح٢٤٣٧).

# التعاون والمسئولية الجماعية

## الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. أنقذ به اللهُ من الضلالةِ، وهدىٰ به من العمىٰ، وجمع به من الفُرقة. فالذين آمنوا به واتبعوه أشداءُ على الكفارِ رحماءُ بينهم، كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه، كانوا بنعمةِ ربِّهم إخوانا، وعلى الحقِّ أعوانا، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها الناسُ: لقد منَّ اللهُ علىٰ المؤمنين إذ جعلهم أمةً واحدةً فيما يقولون وما يفعلون، وما يأتون وما يذرون. ربُّهم واحدٌ، وعبادتُهم واحدةٌ، ألَّف بين قلوبِهم، ونزعَ العداوةَ من صدورِهم، زيَّنَ الإيمانَ في قلوبِهم، ووقاهم حَميَّةَ الجاهليةِ. دعوتُهم توحيدٌ واتحادٌ، وحياتُهم إخاءٌ وتعاونٌ. صلاتُهم واحدةٌ، وقبلتُهم واحدةٌ. بيوتُ اللهِ تجمعُهم، وحكمُ اللهِ يشملُهم. المفاضلةُ بينهم بتقوىٰ اللهِ والعملِ الصالحِ.

بحقائقِ الوحدةِ ومظاهرِها ملكوا العبادَ، وسادوا البلادَ، وسعُدَ

بهم الأشقياءُ، وبعدلِهم ضعُفَ الجبابرةُ، وانتصفَ الضعفاءُ. لقد كانوا في الحقِّ كالبنيانِ المرصوصِ، فعزَّ دينُهم، وحُفِظَت أوطانُهم، وصينتْ أعراضُهم وأموالُهم.

ولمثلِ هذا جاء التوجيهُ في محكم التنزيل: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

ولمثلِ هذا آخىٰ النبيُّ ﷺ بين المهاجرين والأنصارِ، موضحاً هذه الصورةَ للأجيالِ القادمةِ من أمتِه بقول: «**المؤمنُ للمؤمن كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضاً**»(١) متفق عليه من حديثِ أبي موسى وزادَ البخاريُّ: «**وشبَّكَ بين أصابعِه**».

أيها الإخوةُ في الله: وفي وقفةٍ عند هذا التمثيلِ النبويِّ الكريم نقول: إن الجدارَ إذا كان قائماً وحدَه فعمُرُه قصيرٌ، تُزَلْزِلُه الهزاتُ، وتزعزعُه العواصفُ، وقد ينهارُ أمامَها انهيارا. أما إذا اتصلَ بغيرِه وتكوَّنتْ به غرفةٌ، وارتبطتْ بها غرُفاتٌ، وتراصَّ البنيانُ، وتماسكَ العمرانُ، فحينئذٍ يرسخُ البناءُ، وتستقرُّ الأركانُ، فلا يتأثرُ بالحوادثِ. فالجدارُ وحدَه ضعيفٌ، ولكنه بأمثاله قويٌّ شديدٌ.

ذلكم هو مثلُ المؤمنِ للمؤمنِ. بنيانٌ مرصوصٌ يشدُّ بعضُه بعضا.

المسلمون بجماعتِهم مسئولون عن حمايةِ الحقِّ، وإقامةِ المُثُلِ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/١١٩ ـ ح٢٤٤٦)، ومسلم (٤/١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٥).

العليا، والأخلاقِ الكريمةِ، يَدُلُّون على الخيرِ، ويحاربون السوءَ، يأمرون بالمعروفِ وينهون عن المنكرِ. يتعاونون على البرِّ والتقوىٰ، تعاوناً يشملُ أمورَ الحياةِ كلِّها. بقدرِ ما تشمله هاتان الكلمتان الجامعتان: كلمةُ البرِّ وكلمةُ التقوىٰ. فالبرُّ جماعُ كلِّ خيرٍ، والتقوىٰ اتقاءُ كلِّ شرٍ.

نعم إن بابَ التعاونِ مفتوحٌ، يلجُه كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فلا يتركُ مناسبةَ خيرٍ إلا سارعَ فيها، ولا يرى نافذةَ سوءٍ إلا اتقاها وأغلقها. وبهذا يكونُ المؤمنُ عوَّاناً مِعْواناً، وعند حدودِ اللهِ وقَّافا.

أيها الإخوةُ في اللهِ، هذا التعاونُ مبدأٌ من مبادىءِ هذا الدينِ، يجبُ أن يشيعَ في الأمةِ، فالأفرادُ حقٌّ عليهم أن يتعاونوا في دفعِ الكروبِ، وتجنبِ الخطوبِ. يتآزرون في جلبِ المصالحِ ودرءِ المفاسدِ. والله في عونِ العبدِ مادام العبدُ في عونِ أخيه.

تعاونٌ في الأسرةِ حيث تكونُ الزوجةُ ظلاًّ وارفاً، وسكناً دافئاً، ويكونُ الزوجُ قوّاما منفقاً، وحامياً أمينا. تعاونٌ بينهما في رعايةِ صغارِهما لينشئوا تنشئةً مؤمنةً، ثم تتسعُ الدائرةُ لتحيطَ بالأقربين والجيران، رحمةً ومواساةً، ودفعاً للبأساءِ، ومشاركةً في السراءِ والضراءِ.

تعاونٌ مع ولاةِ الأمورِ، قيامٌ بحسنِ الطاعةِ، والتزامٌ بالأدبِ، واحترامٌ للنظمِ الشرعيةِ؛ من أجلِ سعادةِ الدنيا وانتظامِ مصالحِ العبادِ. تعاونٌ لإعلاءِ كلمةِ اللهِ، وطاعةِ ربِّ العالمين. حتى لقد أقسمَ الحسنُ البصريُّ ـ رحمه الله ـ بأن طاعةَ ولاةِ أمورِ

المسلمين غيظٌ للأعداءِ، وفُرقتُهم كفرٌ بالنعمةِ، ويجمعُ هذا وصيةُ رسولِ اللهِ ﷺ في حجةِ الوداعِ حين قال: «اعبدوا ربَّكم، وصلوا خمسَكم، وصوموا شهرَكم، وأدوا زكاةَ أموالِكم، وأطيعوا ذا أمرِكم تدخلوا جنةَ ربِّكم»[1] رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح وابن حبان والحاكم من حديث أبي أمامة.

تعاونٌ يشملُ طبقاتِ الأمةِ، وفئاتِ المجتمع. الصناع المهرةُ قوةٌ، والزراعُ الكادحون قوةٌ، والعلماءُ والخبراءُ وأصحابُ المعارفِ والأفكارِ كلُّ أولئك قوىً فعالةٌ حينما يفشو بينهم التعاونُ: تعاونٌ يحققُ التكافلَ والتكافؤَ، بهم تسعدُ الأمةُ، ويقوى البنيانُ.

بل إن الإنسانَ المسلمَ يرتقي بنظرتِه التعاونيةِ إلى الحياةِ كلِّها. فيشملُ الأحياءَ كلَّهم برحمتِه وإحسانِه. حتى يدخلَ تحت ذلك الكلبُ اللاهثُ، وكلُّ كبدٍ رطبةٍ.

معاشرَ الأحبةِ: بتحقيقِ التعاونِ على البرِّ والتقوىٰ، يهونُ كلُّ عسيرٍ، ويتحققُ كلُّ مطلوبٍ، وتُحَلُّ المشكلاتُ، ويأمَنُ الخائفُ، ويُنْصَرُ المظلومُ، وتُسْتَرَدُّ الحقوقُ. إذا سادَ التعاونُ على وجهِهِ؛ يكون في الأمةِ الحراسُ، الذين يقومون بمحاربةِ تياراتِ الشرِّ والإلحادِ، ويدفعون الناسَ إلى الخيرِ والسلوكِ الحسنِ، ويُسْهِمُ كلُّ عضوٍ في بناءِ الأمةِ على صرحِ الحقِّ والعزةِ

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٥١)، والترمذي (٢/ ٥١٦ ـ ح٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/ ٩)، وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٠/ ٤٢٦ ـ ح٤٥٦٣).

والكرامةِ، وبمثلِ هذا تستردُّ أمةُ الإسلام حقوقَها المنقوصةَ وأراضيَها المغصوبةَ. وتبقىٰ متماسكةً شامخةً مهما تكاثرتْ الزلازلُ، وتوالتْ العواصفُ، وأجْمعَ الأعداءُ أمرَهم، وأجلبوا بخيلِهم ورَجِلِهم.

والعكسُ بالعكسِ أيها الإخوةُ، حينما يكون التعاونُ على الإثمِ والعدوانِ.. فلسوفَ يقلُّ الظهيرُ، ويَضْعُفُ النصيرُ، ويتفرقُ الإخوانُ، ولسوف يَيْبَسُ العودُ، ويذهبُ المعدودُ والمحدودُ، ولسوفَ يضيعُ الحقُّ، ويضعفُ الخلقُ، ويتسعُ الخرقُ.

إن التخاذلَ والتدابرَ، وتقطيعَ عُرىٰ الإخاءِ لن يجلبَ إلا الضعفَ والخورَ.. فَصَيْحةٌ من العدوِّ تكفي لزعزعةِ الأمةِ، وفَرْضِ أنواعِ المذلةِ. فلا دنيا حفظوا، ولا ديناً أقاموا.. وذلك هو الخسرانُ المبينُ.

إن التخاذلَ في التعاونِ، وحجَبِ الخيرِ عن الناس دليلُ ضعفِ الإيمانِ وكذبِ الإدعاءِ، وضلالِ المقصدِ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٧].

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ واستيقنوا أن التعاونَ سلاحٌ ماضٍ، وجيشٌ غلابٌ، وعُدةٌ عتيدةٌ، تنفعُ بإذنِ اللهِ في البأساءِ وفي الضراءِ، وتدفعُ كيدَ الأعداءِ. إنه سلاحُ الائتلافِ، وسلاحُ ضمِّ اليدِ إلى اليدِ، ومعونةُ الأخِ للأخ. ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٣].

# التعاون والمسئولية الجماعية

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ جميلِ الثناءِ، جزيلِ العطاءِ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله أفضلُ الأنبياءِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأوفياءِ، وأصحابهِ النجباءِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ، الإنسانُ مهما كثُرَ مالُه، وعظُمَ جاهُه، وكبُرَ عقلُه، واتسعتْ علومُه ومداركُه.. فإنه لا يستطيعُ القيامَ بأمرِ نفسِه وحدَه، ولا يباشرُ كلَّ شيءٍ بعملِ يدِه. فهو محتاجٌ لعونِ أخوانِه، ولن يبلغَ مرادَه إلا حين يكونُ أليفاً مألوفاً... يبذلُ من نفسِه لإخوانِه مثلَ ما يريدُ أن يُبْذَلَ له.

إن المؤمنَ الحقَّ هو الذي يقدِّرُ مسئوليتَه نحوَ إخوانِه ومجتمعِه وولاةِ أمرِه، يدركُ أن أمرَ الأمةِ لا يستقيمَ إلا إذا تحملَ مسئوليتَهُ تجُاهَ ذلك كلِّه، ما جلَّ منه وما حقُر، وما كبُرَ منه وما صَغُر: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

وإذا أردتم مثالاً حياً وصورةً ناصعةً من صورِ التعاونِ وحفظِ حقوقِ المتعاونين في شريعةِ محمدٍ ﷺ فتأملوا في مصرفٍ من مصارفِ الزكاةِ. . ذلكم هو مصرِفُ الغارمين، إن فيهم طائفةً تحملوا مغارَم لإصلاحِ ذاتِ البينِ فحُفظَ لهم نصيبُهم من الزكاةِ، ولو كانوا أغنياءَ، جزاءَ ما قدَّموا نحو جمعِ الكلمةِ وتحقيقِ التآلفِ، فلقد وفَّوا بمسئوليتِهم الجماعيةِ وحقِّهم الاجتماعي.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ وقوموا بمسئولياتِكم، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، واعتصموا بحبلِ ربِّكم، وصلوا خمسَكم، وصلوا أرحامَكم، وأطيعوا ذا أمرِكم؛ تدخلوا جنةَ ربِّكم.

# عندما تختـل المـوازين

## الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُالله ورسوله، بعثه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه على الدينِ كلِّه ولو كره المشركون، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله حجاجَ بيتِ اللهِ، اتقوا اللهَ جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

معاشرَ الإخوةِ: كتابُ ربِّنا يهدي للتي هي أقومُ، يهدي للتي هي أقومُ بعقائِده الواضحةِ، وتوحيدِه الخالصِ، ينبِذُ الخرافةَ والجهالةَ.

يهدي للتي هي أقومُ في العباداتِ، واستقامةِ السلوكِ، في تكاليفُ ميسرةٍ، واعتدالٍ في المنهجِ، وقصدٍ في العملِ.

يهدي للتي هي أقومُ في علاقاتِ الناسِ بعضِهم ببعضٍ أفراداً وأزواجاً، وشعوباً وحكاماً، دولاً وأجناساً، سِلماً وحرباً. يهدي للتي هي أقومُ في عقائدَ وأحكامٍ وشرائعَ متوازنةٍ، لا مدخلَ فيه

للهوىٰ والمحاباةِ، ولا مجالَ فيها للمصالح الخاصةِ والأغراضِ، وأحكامُه وشرائعُه هي العدلُ، وهي القسطَاسُ، توزنُ بها القيمُ، وتتميزُ بها الحقوقُ، وتُقاسُ بها الأعمالُ والتصرفاتُ.

ميزانُ حقٍّ وضعه اللهُ، ولم يضعْه البشرُ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾﴾ [الرحمن: ٧ ـ ٩].

هذا التوازنُ وهذا العدلُ أمرُه خطيرٌ، وشأنُه عظيمٌ، يعجَزُ أن يستقلَّ به الإنسانُ، لا يدركُه بعقلِه المحدودِ، ولا ينالُه بعلمِه القاصرِ.

البشرُ تُؤثِّرُ عليهم الميولُ النفسيةُ، والنزعاتُ الشخصيةُ، والعلاقاتُ الأسريةُ، والانتماءاتُ الحزبيةُ، والارتباطاتُ الإقليميةُ والعنصريةُ، فكلُّ هذه غالبةٌ عليهم لا محالةَ، شعرُوا أو لم يشعرُوا، شاءوا أم أبوا.

من أجلِ هذا، فإن أيَّ منهجٍ أو نظامٍ يضعُه البشرُ لأنفسِهم فهو محلُّ النقصِ والخللِ، يتجاذبه الإفراطُ أو التفريطُ، والغلوِّ والتقصيرِ. ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النساء: ٨٢].

يقالُ ذلك أيها الإخوةُ، ويأتي التذكيرُ بهذه الحقيقةِ، وعالمُ اليوم يموجُ بمبادىءَ وشعاراتٍ، والألسنُ تلوكُ نظماً وقوانينَ زعموا أنهم حققوا بها المساواةَ والحريةَ، وحفظوا بها حقوقَ الإنسانِ، وأقاموا بها العدلَ والقسطَ بين الناس. وواقعُ الناسِ ظلمٌ وتهارشٌ، وفتنٌ وبأساءُ، وتنازعٌ وشقاءُ إلا ما رحم ربي.

إن هؤلاء المنحرفين عن الحقِّ، الصادين عن سبيلِ اللهِ أوضحَ أمرَهم كتابُ اللهِ الذي يهدي للتي هي أقومُ: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾ [الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥]. ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ﴾ [فاطر: ٨]. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾﴾ [البقرة: ١١].

كلُّ هؤلاء مختلةٌ موازينُهم، بسببِ كفرِهم وفسادِ سرائرِهم. ميزانُ الخيرِ والشرِّ، والصلاحِ والفسادِ، والحقِّ والباطلِ، يتأرجحُ عندهم مع الأهواءِ الذاتيةِ، والمصالحِ العارضةِ، والتوجهاتِ الفكريةِ.

هذا أنموذَجُهم فرعونُ، يقولُ في ميزانِه الفرعونيِّ في حقِّ نبيِّ اللهِ موسى عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾ [غافر: ٢٦].

إن من عجبِ القولِ أن يقولَ فرعونُ الضالُّ الوثنيُّ عن داعي الحقِّ موسى كليم اللهِ عليه السلام أنه: بدلَ الدينَ وأظهرَ الفسادَ. ويزولُ العجبُ إذا علمنا أنها كلماتٌ ومصطلحاتٌ يقولُها كلُّ صاحبِ هوىً، وكلُّ ذي طغيانٍ، وهي تُهمٌ توجَّهُ لكلِّ مُصلحٍ وداعٍ إلى الخيرِ، إنها كلماتُ الخداعِ والمكرِ لإثارةِ المشاعرِ، وتهييجِ النفوسِ ضدَّ الحقِّ وأهلِ الحقِّ.

وهو منطقٌ واحدٌ، ومسلكٌ واحدٌ، يتكررُ كلَّما التقىٰ الحقُّ الباطلُ، والإيمانُ والكفرُ، والصلاحُ والفسادُ، على توالي الزمانِ

واختلافِ المكانِ ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ۝٥٣﴾ [الذاريات: ٥٣] قصةٌ قديمةٌ مكرورةٌ تعيشها الأجيالُ المتعاقبةُ بين حينٍ وحينٍ.

وما مصطلحاتُ الكفارِ التي يلوكونُها في وسائلِ إعلامِهم من التطرفِ والأصوليةِ والإرهابِ ونظائرِها إلا على نفسِ الشاكلةِ، يقلِّبونها كيف شاءوا، ويصرِّفونها كيفما أرادوا.

ثم يقولُ فرعونُ، وبنفس الميزانِ الطائشِ: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٢٩﴾ [غافر: ت٢٩]. وردَّ عليه القرآنُ الذي يهدي للتي هي أقومُ، ردَّ عليه ميزانَه المختلَّ: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ۝٩٧﴾ [هود: ٩٧].

أما أعداءُ الإسلامِ اليومَ فينهجون ذاتَ المنهجِ، ويكيلون بنفسِ المكيالِ. انظروا إليهم وقد قال كتَّابهم وساستُهم: إن المسلمين شعوبٌ غيرُ متحضرةٍ، شعوبٌ متعطشةٌ للدماءِ، وإزهاقِ أرواحِ الأبرياءِ، المسلمون في ميزانِهم كمٌّ هائلٌ من البشرِ غيرُ متحضرٍ، ولا يستحقُّ الوجودَ.

هكذا تختلُّ موازينُهم، وهكذا الحالُ حين تكونُ الموازينُ أرضيةً بشريةً.

لقد أصابهم العمىٰ، وكسا قلوبَهم الرانُ، فعجَزوا أن ينظروا إلى حالِهم، وقد سلَّحوا أنفسَهم، ورسموا على راياتِهم الصليبَ يظلِّل جيوشَهم، التي طالما اشتغلتْ بالسلبِ والنهبِ، واستلابِ الخيراتِ، وقهرِ الشعوبِ في المشارقِ والمغاربِ، تثيرُ الرعبَ، وتجلبُ الفزعَ. هذا هو العدوُّ بميزانِه وبمبادئِه يريدُ أن يقنع نفسَه أو غيرَه بأن المسلمين مصاصو دماءٍ.

كيف يكونُ ذلك، وها هم قد جثَموا على الشرقِ الأعزلِ يبغون استذلالَه أو استئصالَه، ارجعوا إلى عهودِ الاستعمارِ القريبةِ حين كانت جحافلُ جيوشِهم تجوسُ خلالَ الديارِ، يبحثون عن أسواقٍ لبضائِعهم وأراضٍ لبني جنسِهم؛ ليستبدلوا بالمواردِ والخيراتِ، ويفتشوا عن مصادرِ الثرواتِ في ظاهرِ الأرضِ وباطنِها، غذاءً لبطونِهم ومدداً لمصانعِهم، يبحثون عن ذلك وقلوبُهم مليئةٌ بالجشعِ، وأفواهُهم فاغرةٌ بالشرهِ. تتقدمُهم دباباتٌ، وتعلوهم طائراتٌ، لم تكن حروباً في سبيلِ اللهِ، ولا لمصلحةِ الإنسانيةِ، ولا من أجلِ حقوقِ الإنسانِ، لكنها كانت في سبيلِ الشهواتِ الذاتيةِ، والأهواءِ الأنانيةِ، حملاتٌ وغاراتٌ على شعوبٍ وادعةٍ آمنةٍ، لم يكن ذنبُها إلا أن اللهَ قد أنعمَ عليها بخصبٍ ومواردَ.

ولئن كانوا في هذه الأيامِ أظهروا تحضُّراً واستمساكاً بالقوانينِ الدوليةِ والمواثيقِ العالميةِ، فما ذلك إلا لأنهم أحسُّوا بنوعٍ من الاطمئنانِ، وشيءٍ من إحكامِ السيطرةِ، ولو اختلَّ شيءٌ من ذلك لما حفظوا عهداً ولما التزموا بقانونٍ، وإنَّ لهم من البراعةِ في تفسيرِ القوانينِ، ولَيِّ العباراتِ ما يجدون فيه ألفَ مخرجٍ، وينفذون به من ألفِ معبرٍ، ناهيك بما أعدَّوا به أنفسَهم من فنونِ الأسلحةِ الفتاكةِ، هذا واقعُهم وهذا هو مكيالُهم وميزانُهم.

وها هي المواقعُ الملتهبةُ من الأرضِ بحروبِها ومجاعاتِها ومشردِيها، هل ميزانُهم فيها واحدٌ؟ وهل مواقفُهم وقراراتُهم فيها عادلةٌ؟ ألا ساءَ ما يحكمون.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعتصموا بحبلِ اللهِ، واستمسكوا بكتابِ اللهِ، وأقيموا الوزنَ بالقسطِ، ولا تخسروا الميزانَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾ [طه: ١٢٤ _ ١٢٦].

# عندما تختـل المـوازين

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ معزِّ من أطاعه، ومذلِّ من عصاه، أحمده سبحانه وأشكره، من توكل عليه كفاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له لا إله غيرُه، ولا ربَّ سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أكرمه ربُّه بالرسالةِ واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها الناسُ، واعلموا أن هناك قضايا كثيرةً تثارُ في عالمِ اليوم طاشتْ فيها الموازينُ، وكثرتْ فيها الدعاوى من الحريةِ والمساواةِ، وحقوقِ الإنسانِ وقضايا المرأةِ، ومصائبِ الربا، أين منها ميزانُ القرآن؟ وماذا بلغتْ في ميزانِ الناسِ؟ إنها ما زالتْ وستبقىٰ دعاوى عريضةً باسم الانتصارِ للمرأةِ، ومحاربةِ التفرقةِ العنصريةِ، والدندنةِ حول المساواةِ والحريةِ، وحقوقِ الإنسانِ، نعم إنها دعاوى لها بريقُها عند المهزومين، والمغلوبِ على أمرِهم، ولكنها عند التحقيقِ والتدقيقِ سرابٌ يحسبُه الظمآنُ ماءً، حتى إذا جاءه لم يجدْه شيئاً بل سوف يجدُ كبيراً متعاظماً يحتضنُ صغيراً محقوراً، يربِّتُ على كتفٍ؛ ليأكلَه حالاً، أو يحتفظَ به حتى يسمنَ فيأكلَه مآلاً.

إنها شريعةُ الغابِ، الغاياتُ التي تبرُّرها الوسائلُ مغلفةً بأغلفةٍ رقيقةٍ من القانونِ والمدنيةِ، ودعوى التحضرِ والتقدمِ.

ومن خلالِ هذه الموازينِ المضطربةِ ينشأُ جيلٌ مقهورٌ، ليس في علمِه وثقافتِه إلا تاريخُ الدولِ الغالبةِ، لا يعجبُه إلا فكرُها، ولا يكبرُ في عينِه إلا رجالُها.

أيها المسلمون: هذا هو الواقعُ الحزينُ المهيمنُ على كثيرٍ من بقاعِ الأرضِ، ولكن المؤمنَ موقنٌ بأن اللهَ حافظٌ دينَه، مُعْلٍ كلمتَه، ولن يزالَ في أمةِ الإسلام موفقون، يهدون بالحقِّ وبه يعدلون، ولا تزالُ في أمةِ محمدٍ ﷺ طائفةٌ على الحقِّ منصورةٌ، لا يضرُّهم من خذلَهم، ولا من خالَفهم حتى يأتيَ أمرُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ. وميزانُ الحقِّ ظاهرٌ، والمحجةُ بيضاءُ، وما على أهلِ الحقِّ من المسئولين والعلماءِ والدعاةِ إلا أن يصدُقوا في النوايا، ويشمِّروا في العملِ، فرجلُ الأصالةِ وصاحبُ الاستقلالِ المحمودِ والميزانِ العدلِ، هو المسلمُ المستمسكُ بدينِه، الواثقُ به، المعتزُّ بتعاليمه. سددَ اللهُ الخطىٰ، وباركَ في الجهودِ، وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه.

# في استقبال رمضان

## الخطبة الأولى

الحمد للهِ سهَّلَ للعبادِ طرقَ العبادةِ ويسَّرَ، وأفاضَ عليهم من سحائبِ الجودِ وسوابغِ الإنعامِ مالا يعدُّ ولا يحصرُ، أحمده سبحانه وأشكرُه، شرعَ مواسمَ، وهيأ مناسباتٍ ينيبُ فيها العبدُ إلى ربِّه، ويغسلُ قلبَه وجوارحَه من دنسِ الذنوبِ ويتطهرُ.

وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبيِّنا محمداً عبدُه ورسولُه، نبيٌّ غُفرَ له ما تقدَّم من ذنبِه وما تأخرَ، اللهم صلِ وسلم وبارك على محمد وعلى آلِ محمدٍ وعلى صَحْبِ محمدٍ، ما اتصلتْ عينٌ بنظرٍ، وأذنٌ بخبرٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المحشرِ.

أما بعـدُ:

فأصيكم ونفسي ـ عبادَ الله ـ بتقوىٰ اللهِ حقَّ تقاته، وسارعوا إلى مغفرةِ ربِّكم، ورضوانِه وجناتِه.

أيها المسلمون، في تقلُّبِ الأيامِ ودورانِ الأفلاكِ فرصٌ للتأملِ، ووقفاتٌ للنظرِ، فرصٌ ووقفاتٌ تحتاجهُا الأممُ والأفرادُ لتنظرَ في أحوالِها، وتتفكرَ في شئونِها، تسعىٰ في إصلاحِ ما فسدَ من أوضاعِها، وتجدِّدُ ما ضعُف من مقوماتِها، وتعالجُ ما اختلَّ من شئونِها وموازينِها، فتراتٌ ولحظاتٌ قد تكونُ فاصلةً في تاريخِ

الفردِ والجماعةِ، ومفتاحاً لمستقبلٍ مشرقٍ وخيرٍ عميمٍ.

نعم - أيها الإخوةُ - في الحياةِ تقلبٌ في السراءِ والضراءِ، وفي دروبِ الزمنِ خطوبٌ ومشاقٌّ، وفي النفوسِ نوازعُ شهوةٍ وهوىً، وفي الصدورِ دوافعُ غضبٍ وانتقامٍ.

تجدُّ الليالي والأيامُ وتتجددُ، والغافلون الهازلون في غمرةٍ ساهون، وكأنما رضيتْ أمتُنا - أمةُ الإسلامِ - في عصورِها المتأخرةِ، وأوضاعِها المترديةِ، ألا تأخذَ من الحياةِ إلا جانبها الهامشيَّ، وجزءَها العابثَ، فلا تراها إلا في ذيلِ القائمةِ، تتأثرُ ولا تؤثرُ، وتقلدُ ولا تقودُ، وكأنما همُّها أن تعيشَ عِيشةَ الصعاليكِ على تقاليدِ الأممِ وفضلاتِها، لا تتميزُ بعقيدةٍ، ولا تعتدُّ بشخصيةٍ، ولا تفاخرُ بدينٍ ولا مبدأٍ.

يقالُ ذلك - معاشرَ الإخوةِ - والأمةُ تستقبلُ قريباً شهرَها المعظمَ، ويحلُّ بساحتِها موسمُها المباركُ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]. شهرُ الصيامِ والذكرِ، وشهرُ الفتحِ والنصرِ، شهرُ العزةِ والكرامةِ، وشهرُ الجودِ وأنواعِ العبادةِ.

إن رمضانَ آتٍ بعدَ أيام فكيف حالُ الناسِ؟ وكيف حالُ الأمةِ؟ وما هي مراسمُ الاستقبالِ؟.

هل من وقفةٍ صادقةٍ للمحاسبةِ؟ هل من وقوفٍ جادٍّ للتأملِ؟ لعل الأمةَ تستبينُ منعطفاً تستقيمُ به على الجادة: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ شهرُ رمضانَ، شهرُ الحقِّ والعزةِ والقوةِ، شهرُ الحريةِ الحقةِ والانعتاقِ من الشهواتِ والأهواءِ.

من انهزمَ بينه وبين نفسه فلم يطقْ الصبرَ ساعاتٍ من نهارٍ؛ فلسوفَ يكونُ أشدَّ انهزاماً أمامَ أعباءِ المجاهدةِ والجهادِ، ومن لم يطقْ الصبرَ سويعاتٍ، فلسوف يكونُ عاجزاً عن التصدي أياماً وشهوراً وأعواماً.

المنهزمون في الميدانِ الصغيرِ مع أنفسِهم ليسوا أهلاً لأن يُحرزوا النصرَ لأمتِهم في ميدانِها الكبير، من أعلنَ استسلامَه في معركةٍ مع شهوةٍ نفسيةٍ محدودةٍ فأين منه الرجولةُ؟ وأين منه الجدُّ والصرامةُ؟.

لا يعرفُ معنى الدينِ، ولا يدركُ سرَّ الصومِ إلا من صدقَ إيمانه، وصحَّ للهِ تعبدُه، فأخذَ الأحكامَ بعزمٍ، واستمسكَ بالدينِ بقوةٍ.

الصائمُ الحقُّ قويٌ لا ينهزمُ، ولغيرِ اللهِ لا يخضعُ، ولأهوائِه ورغباتِه لا يستسلمُ. بريءٌ من الأنانيةِ والأثرةِ، يعيشُ مع أمتِه بقلبِه وروحِه، يفرحُ لفرحِها ويأسىٰ لأساها، يجوعُ معَهم، ويفطرُ معَهم، ويستقبلُ العيدَ معهم، يتذكرُهم ويتذكرُ حاجاتِهم؛ من أجلِ هذا فإن نفسَ الصائمِ الصادقِ أسمىٰ النفوسِ، وأجودُها بالعطاءِ، وأقربُها إلى ربِّها والناسِ. لقد كان القدوةُ الأولىٰ محمدٌ ﷺ أجودَ الناس، ولكنه كان في رمضانَ يزدادُ جوداً، فكان ريحاً مرسلةً، سخاءً ونفعاً وكرماً وإنفاقاً.

وزوجهُ أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها، أنفقتْ في يومٍ واحدٍ مائةَ ألفِ درهمٍ وهي صائمةٌ، فقالت لها خادمتُها: لوْ أبقيتْ لنا ما نفطرُ به اليوم؟ فقالت عائشةُ رضي الله عنها: لو ذكرتِني لفعلتُ.

ما هذا السموُّ العجيبُ في النفس الصائمةِ حتى إنها تنسىٰ حاجاتِها ومطالَبها، وكأنَّها لا تذكرُ إلا أُمَّتَها، وحاجاتِ أُمَّتِها؟؟!!.

لا يقسو الأغنياءُ على الفقراءِ، ولا يقطعُ القريبُ صلةَ القربىٰ، ولا يتنكرُ الجارُ لحقِّ الجارِ إلا حين تصبحُ العباداتُ رسوماً خاليةً عن روحِها وأسرارِها، فتُنسىٰ الروابطُ الاجتماعيةُ، ويعيشُ الفردُ لنفسِه لا للناسِ، ويكسبُ لبطنِه وفرجِه لا لأمتِه وشئونِها.

لا يظلمُ الظالمُ ولا يستعلي المستعلي إلا حين ينسىٰ حقَّ الأمةِ، فيزعمُ أن له من العبقريةِ والقوةِ والدهاءِ وقوةِ الشخصيةِ، ما تزيِّنُ له نفسُه الاستعلاءَ وتسوغُ له الظلمَ.

معاشرَ المسلمين، إن رمضانَ آتٍ بعدَ أيامٍ. بلَّغنا اللهُ وإياكم أيامَه، وتقبلَّ منا ومنكم صيامَه قيامَه.

إنه آتٍ وفي الأمةِ تعساءُ يستقبلونه على أنه شهرُ جوعٍ نهاريٍّ، وشبعٍ ليلي، نومٌ في الفرشِ والمساجدِ في النهارِ إلى ما بعدَ العصرِ، وسمرٌ في الليلِ ممتدٌ إلى طلوعِ الفجرِ، ليس رمضانُ عندهم إلا موسمٌ للموائدِ الفاخرةِ، بألوانٍ من الطعامِ والشرابِ زاخرةٌ، ذو العملِ منهم يتبرمُ من عمله، وصاحبُ التعاملِ يسيءُ في تعامله، وذو الوظيفةِ تثقلُ عليه وظيفتُه.

وجوهُهم عابسةٌ، وصدورُهم ضيقةٌ، وألسنتُهم سليطةٌ، وغيظُهم حانقٌ، لا يرون في رمضانَ إلا جوعا لا تتحملُه أمعاؤُهم، وعطشاً لا تقوىٰ عليه عروقُهم. يقابلُ هؤلاءِ التعساءَ قومٌ رضي اللهُ عنهم ورضوا عنه، يستقبلونَ شهرَهم ليجدِّدوا فيه

صلَتهم مع ربِّهم، ويعيشون نهارَهم عيشةَ الأبطالِ في المعاركِ، ويقطعونَ ليلَهم بلذيذِ المناجاةِ وصادقِ الابتهالاتِ. إيثارٌ جميلٌ، وصبرٌ كريمٌ، وتهذيبٌ في الخُلقِ نبيلٌ. لا يقابلون الإساءةَ بالإساءةِ، ولا يردون البذاءَ بالبذاءِ: «**وإن سابَّه أحدٌ، أو قاتلَه قال: إني صائمٌ**»[1] رواه البخاري ومسلم.

بالله عليكم أيُّ الفريقين أحقُّ بأن تفتحَ له أبوابُ الجنانِ، وتسدَّ عنه أبوابُ النيرانِ؟ أي الفريقين قد صُفِّدتْ شياطينُه؟ ومَنْ منهم أحقُّ بنفحاتِ الرحمنِ؟ ومن الأحرىٰ بموافقةِ ليلةِ القدرِ، فتغفرَ ذنوبُه، ويدركَ رحمةَ ربِّه وينجوَ من نارِ السعيرِ؟؟.

أيها المسلمون، إن الصائمين القائمين هم الذين تصلحُ بهم الأوضاعُ، وتُكسَبُ بهم المعاركُ، وتَسْعدُ بهم المجتمعاتُ.

اللهم بلِّغنا رمضان، ووفقنا لصيامِه وقيامِه، واقبلنا فيه، وتقبلْه منا، اللهم زدْنا ولا تنقصْنا، وأعطِنا ولا تحرمْنا، وأكرِمْنا ولا تُهِنّا، وآثِرْنا ولا تؤثرْ علينا، وأرضنا وارضَ عنا، واجعلنا مجتمعين غيرَ متفرقين، مغفوراً لنا إنا كنا مذنبين، وأحسنْ عاقبَتنا في الأمورِ كلِّها، وأجرْنا من خزي الدنيا وعذابِ الآخرةِ، وكفرْ عنا سيئاتِنا، وأجزلْ حسناتِنا، وتبْ علينا إنك أنتَ التوابُ الرحيمُ.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤١ ـ ح١٩٠٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٦ ـ ح١١٥١).

# في استقبال رمضـان

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ما تعاقبَ الجديدانِ وتكررتْ المواسمُ، أحمدُه سبحانه وأشكره شكر الصائمِ القائمِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، حميدُ الشيمِ وعظيمُ المكارمِ، صلَّى اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه، كانوا على نهجِ الهدىٰ معالمَ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ رحمكم اللهُ واعلموا أن بلوغَ شهرِ رمضانَ أمنيةٌ كان يتمناها نبيُّكم محمدٌ ﷺ ويسألُها ربَّه، حتى قالَ: «**اللهم بارك لنا في رجبَ وشعبان، وباركْ لنا في رمضـان**»[1] رواه أحمد من حديث أنس.

فها هو الشهرُ الكريمُ يحُلُّ بالساحاتِ، فاستعدوا واجتهدوا، فما أكرَمَ اللهُ أمةً بمثلِ ما أكرمَ به أمةَ محمدٍ ﷺ. في هذا الشهرِ ذنوبٌ مغفورةٌ، وعيوبٌ مستورةٌ، ومضاعفةٌ للأجورِ، وعتقٌ من النارِ.

---

(١) أخرجه أحمد في زوائد عبدالله (١/ ٢٥٩).

أكرموا هذا الوافدَ العظيمَ، جاهدوا أنفسَكم بالطاعاتِ، ابذلوا الفضلَ من أموالِكم في البرِّ والصِّلاتِ، استقبلوه بالتوبةِ الصادقةِ، والرجوعِ إلى اللهِ، جدِّدوا العزمَ مع ربِّكم، وشدُّوا العزمَ على الاستقامَةِ، فكم من مؤملٍ بلوَغه أصبحَ رهينَ القبورِ.

ها هو من طالتْ غيبتُه قد قرُبَ، فيا غيومَ الغفلةِ تقشَّعِي، ويا قلوبَ المشفقين اخشعي، ويا جوارحَ المتهجدين اسجدي لربِّكِ واركعي، وبغيرِ جنانِ الخلدِ أيها الهممُ العاليةُ لا تقنعي، فطوبىٰ لمن أجابَ وأصابَ، وويلٌ لمن طُردَ عن البابِ.

# المواساة في شهر المواساة

## الخطبة الأولى

الحمد للهِ نعمُه تترىٰ، وإحسانُه لا يُحدُّ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، أعطىٰ فأجزلَ، وأنعمَ فأسعدَ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، عليه المعوَّلُ، وإليه المستندُ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُ الله ورسولُه، عبدٌ شكورٌ يواسي الأحمرَ والأسودُ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، القدوةِ في البرِّ والإحسانِ، والخلقِ الأمجدِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فأوصيكم ونفسي عبادَ الله بتقوىٰ اللهِ، فمن اتقىٰ اللهَ وقاهُ، ومن لاذ به حماهُ، وأسعدَه ولا أشقاهُ.

أيها المسلمون: في رمضانَ المعظَّم يجتمعُ شملُ الأسرةِ المسلمةِ على مائدةِ الإفطارِ اجتماعاً ينتظَمُ عقدُه، ويظهرُ جمالُه على هذه المائدةِ، وفي هذا الوقتِ المحددِ، ولا يكون ذلك غالباً إلا في هذا الشهرِ الكريمِ المباركِ.

أمسياتٌ وأنسٌ يعيشها الصائمون مع أُسرِهم وإخوانِهم وذويهم، تمتلىءُ نفوسُهم غبطةً، وتنشرحُ قلوبُهم بهجةً، يستشعرون فيها السرورَ والفرحةَ: «**للصائمِ فرحتان، فرحةٌ عند**

**فطرِه، وفرحةٌ عند لقاءِ ربِّه»**[1] جزء من حديثٍ رواه البخاريُّ ومسلمٌ واللفظُ له.

إنه التفافٌ أُسريٌ محببٌ للنفوس، حتى إن الأسرةَ لتشعرُ بلوعةِ الفقدِ وألمِ الفراقِ عند غيابِ عزيزٍ لديها، سواءٌ كان ابناً مغترباً، أو أخاً مسافراً، أو صديقاً مفارقاً، تشعر بفقدِ هؤلاءِ في هذه المناسباتِ الرمضانيةِ أكثرَ من أيِّ مناسباتٍ أخرىٰ.

أيها الإخوةُ، إن حقاً على من اجتمعَ شملُه، وانتظمَ عِقدُ أهلِه في هذه الأيامِ المباركةِ أن يحمدَ اللهَ ويشكرَه، ويعرفَ لربِّه فضلَه ونعمتَه.

ولكن ـ أيها الأحبةُ ـ كيف يكونُ الشكرُ على وجهه؟ وكيف يقومُ العبدُ بالحمدِ على حقيقتِه؟.

هذه النعمةُ التي تعيشُها مع أسرتِك، وإخوانِك ورفاقك، في أمنٍ وأمانٍ، وعزٍّ وهناءٍ، هل فكرتَ في إخوانٍ لك حلَّتْ بهم ظروفٌ، ووقعتْ بهم نكباتٌ، ودالتْ[2] عليهم الأيام؟؟.

هل تأملتَ ـ بارك اللهُ فيك وفي أهلِك، وحفظَ عليك شملَك ـ هل تأملتَ: كم في الناسِ من فقراءَ ليسوا بأقلَّ ذكاءً من الأغنياءِ؟ وبؤساءَ ليسوا بأقلِّ علماً بأمور الحياةِ من السعداء؟ غير أن ظروفاً أحاطتْ بهم، فعاشوا تحتَ وطأةِ البؤسِ، وهمومِ الحاجةِ، وعواملِ التشريدِ؟؟.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ١٤١ ـ ح١٩٠٤)، ومسلم (٢/ ٨٠٦ ـ ح١١٥١).

(٢) دالت الأيام: أي دَارَت.

إن جلوسَك مع أحبابِك وذويك في هناءٍ وسعادةٍ ـ أدام اللهُ سعادَتك ـ ينبغي أن يبعثَ فيك تفقدَ أصنافٍ من البؤساءِ، وألوانٍ من التعساءِ.

فيهم فقراءُ لا موردَ لهم، ونسوةٌ لا عائلَ لهن، وأيتامٌ لا آباءَ له، ومشردون لا أوطانَ لهم.

يتامىٰ فقدوا أحضانَ من يرعاهم، عاجزون عن أن يصلوا إلى قُوتِهم بأيديهم، أطفالٌ يتضورون جوعاً، وآباءُ يقطعون حسراتٍ، وأمهاتٌ ملكوماتٌ، تحجَّرُ الدمعُ في أعينِهِنَّ.

مشردون ولاجئون، وأبناء سبيلٍ وغرباءُ، شُرِّدوا عن أوطانِه، ما شرَّدهم إلا القوىٰ الجائرةُ، وما فرقتهم إلا السياساتُ الظالمةُ، وما ضاعتْ حقوقُهم إلا بالخياناتِ السافرةِ.

نعم أوطانٌ استباحها الغرباءُ، وشعوبٌ تخطَّفها الموتُ والتشريدُ، وحقوقٌ دفنها الباطلُ، وغطتها المظالمُ، ومستقبلٌ يكتنفُه الغموضُ والظلامُ، هؤلاء البؤساءُ فيهم المنفيُّ الذي يتقلبُ في بلادِ الأعداءِ، والضعيفُ الذي يتلهىٰ بالبكاءِ، والطريدُ الذي يَهيمُ في الصحراءِ، وشبهِ الصحراءِ، تفرقوا تحت كلِّ كوكبٍ، وتشرذموا في كلِّ صِقْعٍ، إخوانٌ لنا في الدين يعيشون أياماً قاسيةً، ويذوقون مراراتٍ متنوعةً في فلسطينَ وأفغانستانَ، وفي بورما والصومالِ، وفي الهندِ وكشميرَ، وممن حولكم محتاجون وملهوفون، غَلَّتْ هذه النكباتُ أيديَهم، وأكلتْ لحومَهم، وشربتْ دماءَهم.

ثقُلتْ عليهم أعباءُ الحياةِ، وتوالتْ عليهم نوائبُ الدهرِ،

واشتدَّ عليهم شظَفُ العيشِ، تراكم كلُّ ذلك على ظهورِهم الضعيفةِ، وملأ نفوسَهم الحزينةَ، فتساقطوا في طريقِ الحياةِ، فأصبحوا عُرضةً لذئابِ الرذيلةِ، وسباعِ الفسوقِ، وجراثيمِ المرضِ، ومصائبِ الجهلِ.

من ذا يسمعُ هذه الأنباءُ فلا يذوبُ قلبه حزناً؟.

كيف يصلحُ الحالُ وأنت ترىٰ في الناس من يقفُ موقفَ المتفرجِ، يسمعُ الأنينَ ولا يكترثُ؟ ومن يرىٰ الدمعَ فلا يلتفتُ؟ بل يأبىٰ بعضُهم إلا أن يجرِّعَهم غُصصاً من الذلِّ والهوانِ.

أين الصالحون المحسنون الصائمون القائمون الذين بين جوانحِهم أفئدةٌ رقيقةٌ، ونفوسٌ إلى الخيرِ سباقةٌ، يؤمنون حقاً بإخوةِ الإسلام، وحقِّ الجوارِ ووشائجِ القربىٰ؟؟ وهل يرحمُ اللهُ من عباده إلا الرحماءَ؟.

من هو هذا السعيدُ الذي يصومُ للهِ، ويتفقدُ عيالَ اللهِ، ليُطعمَ جائعاً، ويُسعدَ عائلاً، ويُكَفْكِفَ عبرةً، وينصرَ طريداً، وينقذَ شريداً؟؟.

ولتعلموا ـ أدامَ الله عليكم نعمَه، ورزقكم شكرَها، والمزيدَ منها ـ أن سنةَ اللهِ قد دلَّتْ على أن الرحيمَ الشفوقِ المحسنَ المواسيَ يعيشُ في دنياه حياةً طيبةً. اسمعوا إلى قولِ المؤمنةِ الحكيمةِ خديجةَ رضي الله عنه لحبيبِها محمدٍ ﷺ: «واللهِ لا يخزيك اللهُ أبدا إنك لتصلُ الرحمَ، وتحملُ الكَلَّ، وتُكسبُ المعدومَ، وتَقِري الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ»[1] رواه

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٣٠ ـ ح٣)، ومسلم (١/ ١٣٩ ـ ح١٦٠).

البخاريُّ ومسلمٌ من حديثِ عائشةَ، بأبي هو وأمي ﷺ.

نعم إن السخيَّ النبيلَ الكريمَ المفضالَ، المبادرَ للمواساةِ لا يكون إلا ذا أخلاقٍ عاليةٍ، ورحمةٍ حانيةٍ، وشفقةٍ مشفقةٍ، كلُّه عفوٌ وحِلمٌ وصفحٌ. ولتجَدنَّه متواضعاً، لا يطيشُ به كبرٌ، ولا تستخفُّه خيلاءُ، ولتجدَّنه أقربَ الناسِ إلى الشجاعةِ في الحقِّ، والقوةِ في الخيرِ، والعزةِ في النفسِ. ولا يجبنُ في مواقفِ البذلِ، ولا يتأخرُ عن ميادينِ العطاءِ إلا البخلاءُ والأراذلُ أهلُ الحرصِ على الدنيا، المقصرون في حقوقِ اللهِ وحقوقِ الناسِ.

والمسلمُ الكريمُ والمحسنُ الحقُّ هو الذي يتحرىٰ ذوي الحاجاتِ سواءً عرفَهم أو لم يعرفْهم. جاءتْ امرأةٌ إلى عبدِاللهِ بنِ جعفر، فسألتْه فأعطاها، وأجزلَ لها العطاءَ، فعاتبَه بعضُ أصحابِه، وقالوا: إنها لا تعرفُك، وقد كان يرضيها اليسيرُ، فقال: إن كانت ترضىٰ باليسير فإني لا أرضىٰ إلا بالكثيرِ، وإن كانت لا تعرفُني فأنا أعرِفُ نفسي وأعرفُ ربِّي.

أيها الإخوةُ في الله، إن تذكرتم نعمَ اللهِ، وتذكرتم شهرَكم شهرَ المواساةِ، فتذكروا هؤلاء ليس بالصدقةِ والجودِ فحسْبُ، ولكن ضمُّوا إلى ذلك أن تكفِّروا ما قد يكون من سيئاتٍ في حقِّ إخوانِكم هؤلاء.

ألا تظنون أن بعضَ بؤسِهم، وأسبابَ حرمانِهم قد يكون من تفريطِ المجتمعِ بحقوقِهم، وتقصيرِه في شئونِهم، أشعروهم واستشعروا معهم ـ رحمكم اللهُ ـ بحقِّ الإخوَّةِ، وصلةِ الدينِ، ووشائجِ القربىٰ، وأسبابِ الرحمِ.

ألا فليبسطْ القادرُ يدَه بما يستطيعُ، مدُّوهم بالغذاءِ، وأحسنوا إليهم بالكساءِ، وأسعفوهم بالدواءِ. الغنيُّ يواسي بمالِه، والطبيبُ يتقدمُ بعلاجِه، والصيدليُّ بدوائِه، والمعلِّمُ ينقذُ من الجهالةِ.

ولقد ظهرتْ في بلادِ الإسلام هيئاتُ إغاثةٍ، ومنظماتُ برٍّ، وجمعياتُ خيرٍ، فيَحسُنُ دعمُهاَ، والتنسيقُ فيما بينها، وسدُّ خَللِها؛ ليعمَّ النفعُ كلَّ موقعٍ، ويصلَ البرُّ إلى كلِّ محتاجٍ.

أيها المسلمون، بالمواساةِ والإنفاقِ والجودِ والسخاءِ تبلغُ الأمةُ سؤددَها وسيادتَها، وتحفظُ دينَها، وتصونُ أعراضَها، وتحمي ديارَها، ويقوىٰ اتحادُها، نعم إن كلَّ هذا لا يتحققُ إلا بالمواساةِ، وبذلِ المالِ في وجهه، ومعرفةِ كلِّ ذي حقٍّ حقَّه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ ﴾

[الإنسان: ٨ ـ ١٢].

# المواساة في شهر المواساة

## الخطبة الثانية

الحمد لله المتفردِ بكلِّ كمالٍ، والشكرُ له فهو المتفضلُ بجزيلِ النوالِ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الدنيا والآخرةُ وإليه المآلُ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صاحبُ الخلقِ العظيم، والشريفِ من الخلالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، إذا كانتْ المواساةُ والرحمةُ لازمةً لهؤلاءِ المحتـاجيـن فـي كـلِّ حيـنٍ، فهـي فـي شهـرِ المـواسـاةِ والجـودِ والإحسانِ ألزمُ، ولئن كان بعضُ دعاةِ الإنسانيةِ وحقوقِها من غيرِ المسلمين بل من أعداءِ المسلمين يُظهرون أمامَ هذه المناظرِ البـائسةِ شفقـةً وعطفـاً، فـإن المسلـمَ بـأخيـه أحـقُّ وأبـرُّ، وأولـىٰ وأرحمُ.

أيها المسلمون، وإذا تحركت عندكم دواعي الإحسان ـ وهي متحققةٌ بإذن الله ـ وقام عندكم حقُّ المواساةِ، فليكن ذلك متمشياً مع آدابِ الإسلامِ فابذلوا بوجهٍ طَلْقٍ، وبشاشةِ محيا، ولا تنتظرْ من مخلوقٍ جزاءً ولا شكوراً.

اجتهدوا في البذلِ بخفُيةٍ وسرٍ، فمن السبعةِ الذين يظلِّهم اللهُ في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه، **«رجلٌ تصدقَ بصدقةٍ فإخفاها، حتى لا تعلم شمالُه ما تنفقُ يمينُه»**[1] متفقٌ عليه من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.

وجميلٌ منكم المبادرةُ بتفقدِ ذوي الحاجاتِ وإغاثةِ الملهوفين من قبلِ أن يلجئوا إلى مسألةٍ، فيمدُّوا أيديَهم، ويُريقوا ماءَ وجوهِهم.

وإياكم والمنَّ بالعطاءِ، أو اتباعَ الصدقةِ بالأذىٰ من التعنيفِ وعبوس الوجه، ورفع الصوتِ والاستعلاءِ فكلُّ ذلك مبطلٌ للصدقةِ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ولا يمنُّ بعطائِه إلا الذي لم يَتَرَبَّ على الفضائلِ، ولم يعرفْ مكارَم الإخلاقِ.

وفقكم الله وباركَ لكم فيما أعطاكم، وأحسنَ إلينا وإليكم، ورزقنا ذكرَه وشكرَه، وتقواه وحسنَ عبادتِه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٤٤ ـ ح١٤٢٣) واللفظ له، ومسلم (٢/ ٧١٥ ـ ح١٠٣١).

# في ذكرى بدر واغتنام العشر

## الخطبة الأولى

الحمد للهِ لا شيءَ قبله، ولا شيءَ بعدَه، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جندَه، وهزم الأحزابَ وحده، أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدنَا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، دعا وبلَّغَ وبشَّرَ وأنذرَ، وجاهدَ في اللهِ حقَّ جهاده، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون، شهرُ رمضانَ شهرُ القرآن والفرقانِ، شهرُ كتابِ اللهِ، منارِ الهدايةِ، ومنبعِ السعادةِ والطريقِ إلى الحسنىٰ وزيادةٍ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ﴾ [البقرة: ١٨٥] قرآنٌ وفرقانٌ يملأ العقولَ حكمةً، والقلوبَ طهارةً، والنفوسَ انشراحاً وبهجةً.

وفي شهرِ رمضانَ أيها الإخوةُ، فرقانٌ من نوعٍ آخرَ، فرقانٌ بين الحقِّ والباطلِ، فرقانُ بدرٍ.. المعركةِ الكبرىٰ: ﴿إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ [الأنفال: ٤١].

وفي رمضانَ فرقانُ الفتحِ ـ فتح مكةَ ـ ذلكمْ الذي علَتْ به كلمةُ الدينِ، ومنه انطلقَتْ فتوحَاتُ المسلمين إلى الشرقِ

والغربِ. . فرقانٌ بَدَّدَ الظلماتِ، وانتشرتْ به الهداياتُ.

قوةُ الحقِّ وفرقانُه في بدرٍ والفتح من رمضانَ، استوثقتْ به عُرىٰ دولةِ الإسلامِ. . فمدَّ سلطانَه العادلَ، وساسَ الأممَ بعقيدةِ التوحيدِ وشريعةِ الصلاحِ والإصلاحِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

جديرٌ بأمةِ الإسلام ـ أيها الإخوةُ ـ وهي تعيشُ هذه الأيامَ المباركةَ. . كما تعيشُ حالاتٍ وأوضاعاً شتىٰ، فيها مدٌّ وجزرٌ، فيها تفرقٌ واختلافٌ، فيها تحدياتٌ كبرىٰ في مواجهةِ الأعداءِ، جديرٌ بها أن تستلهمَ من تاريخِها العبرَ. فيما صامه المصطفىٰ ﷺ من رمضاناتٍ كانت تُبعثُ السرايا، وتُجَّهزُ الجيوشُ، وتُخاضُ المعاركُ. الدعوةُ إلى اللهِ فيه قائمةٌ بقوتِها، في رمضانَ هدِّمتْ أصنامٌ لأهلِ الجاهليةِ كبرىٰ ـ اللاةُ ومناةُ وسواعُ، فيه هُدَم مسجدُ الضرارِ، فيه وفَدَتْ وفودٌ تعلنُ إسلامَها. إنه رمضانُ الإيمانِ والقوةِ والدعوةِ.

جديرٌ بالأمةِ أن تقفَ عند درسٍ من هذه الدروسِ الرمضانيةِ. . من أجلِ محاسبةِ النفسِ، وتصحيحِ المسارِ، وتثبيتِ الأقدامِ على هديٍ من كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه محمدٍ ﷺ.

إذا كان الأمرُ كذلك أيها المسلمون، فتلكم وقفةٌ عندَ فرقانِ بدرٍ الكبرىٰ.

في بدرٍ ظهرتْ قوةُ الإسلامِ ودولتُه، ظهرتْ قوةٌ تُهابُ، ويُحسبُ لها كلُّ حسابٍ.

كانت فرقاناً في حسابِ الهزائم والانتصاراتِ وأسبابِهما. إن ظواهرَ الأسبابِ كانت ترجِّحُ كفةَ المشركين في عَدَدِهم وَعُدَدِهم.

وكان المسلمون قلةً في ذلةٍ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

يقودُ أهلَ الشركِ الشيطانُ وجنودُه ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ . .﴾ [الأنفال: ٤٨].

وفي جانبِ أهلِ الإيمانِ معيةُ اللهِ وتأييدُه، ومددُ الملائكةِ: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الأنفال: ١٢].

في صفوفِ الكفارِ إبليسُ وفرعونُ هذه الأمةِ أبوجهلٍ، وفي صفوفِ أهلِ الإيمانِ محمدٌ وجبريلٌ عليهما السلامُ.

في فرقانِ بدرٍ وَهَت صفوفُ المشركين أمامَ جحافلِ الحقِّ والإيمانِ، ولقي المصيرَ الفاجعَ سبعون، جُلُّهم من صناديدِ الشركِ ورؤسائه. . دارتْ عليهم كؤوسُ الردىٰ، فتجرَّعوها صاغرين، وسقط في الأسرِ سبعون، وفرَّ البقيةُ هاربين.

كانت الغزوةُ في السنةِ الثانيةِ من الهجرةِ في يوم الجمعةِ السابعَ عشرَ من رمضان، حين بلغَ النبيَّ ﷺ أن عيراً لقريشٍ قادمةٌ من الشام؛ فندبَ أصحابَه لأخذِها، واستطاعَ قائدُها أبوسفيانَ النجاةَ بها، ولكنَّ قريشاً أصرَّتْ على الخروجِ بطراً ورئاءَ الناس وصداً عن سبيلِ الله، حتى قال أبوجهلٍ: واللهِ لا نرجعُ حتى نبلغَ بدراً ونقيمَ فيها ثلاثاً ننحرُ الجزورَ، ونطعمُ الطعامَ، ونسقي الخمرَ، وتسمعُ بنا العربُ فلا يزالون يهابوننا أبداً.

وأعلمَ النبيُّ أصحابَه أن اللهَ قد وعدَه إحدى الطائفتين، إما العيرَ وإما قريشاً، وأخذَ من أصحابِه الرأيَ والمشورةَ، فقال

قائلُ المهاجرين: امضِ لما أمركَ اللهُ، فواللهِ لا نقولُ كما قالتْ بنو إسرائيلَ: اذهبْ أنت وربُّك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقاتلُ عن يمينِك وعن شمالِك ومن بين يديكَ ومن خلفِكَ.

وقال قائلُ الأنصارِ سيدُّهم سعدُ بن معاذٍ رضي الله عنه: اظعنْ حيثُ شئتَ، وصِلْ حبلَ من شئتَ، واقطعْ حبلَ من شئتَ، وخذْ من أموالِنا ما شئتَ، وما أخذتَ منا كان أحبَّ إلينا مما تركتَ، وما أمرتَ فيه من أمرٍ فأمرُنا فيه تبعٌ لأمرِك، فواللهِ لئن سرتَ بنا حتى تبلغَ بَرْكَ الغِمَاد ـ موضعٌ في أقصىٰ اليمن ـ لنسيرنَّ معك، ولئن استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضتَه لنخوضنَّه معك، وما نكرهُ أن تكونَ تلقىٰ العدوَّ بنا غداً، إننا لصُبْرٌ عند الحربِ صُدْقٌ عند اللقاءِ، ولعل اللهَ يريك منا ما تَقرُّ به عينُك، فَسُرَّ عليه الصلاة والسلام لِما سمعَ من كلامِ المهاجرينَ والأنصارِ ـ رضي الله عنهم وأرضاهم ـ، ثم قال: «سيروا وأبشروا، فواللهِ لكأنيِّ أنظرُ إلى مصارعِ القوم»، فسارَ إلى الموقعِ واختارَ المكانَ الأصلحَ بعد الاستشارةَ، واستنزلَ نصرَ الله بالتضرعِ والدعاءِ: «اللهم هذه قريشٌ جاءتْ بفخرِها وخيلائِها وخيلِها تحادُّكَ وتكذبُ رسولَك، اللهم نصرَكَ الذي وعدتَني، اللهم عهدَك ووعدَك، اللهم إن تهلكْ هذه العصابةُ اليومَ لا تعبدْ» وسُجلتْ استغاثتُهم في قرآنٍ يُتلىٰ إلى يومِ القيامةِ: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ .. ﴾ [الأنفال: ٩] وأغفىٰ عليه الصلاةُ والسلامُ إغفاءةً، ثم خرجَ يقول: ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [القمر: ٤٥]، وأخذَ كفاً من ترابٍ أو حصىٰ فرمىٰ به الكفارَ وقال: «شاهتْ الوجوهُ» ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ ﴾ [الأنفال: ١٧] فهزُمتْ جموعُ الكفرِ، وولَّوا الأدبارَ.

تلك هي خلاصةُ المعركةِ، ولكن دروسَها وعبرَها لا تنتهي، دروسٌ في الإيمانِ، ودروسٌ في الأسبابِ، وتوجيهاتٌ في الطاعةِ والتخطيطِ، وتربيةٌ في أدبِ المكاسبِ والمغانمِ.

إنها إحدى معاركِ الإسلام الفاصلةِ، كُتبتْ سطورُها في سجلِّ الخلودِ، تسجِّلُ بدرٌ للأجيالِ والتاريخِ.. أن لا أثرَ للقوةِ مهما اكتملتْ فيها الوسائلُ والعُددُ، ومهما كانتْ القيادةُ والتخطيطُ.. لا أثرَ لذلك أمامَ قوةِ الإيمانِ، وصحةِ التوحيدِ، وصفاءِ العقيدةِ، وعدالةِ القضيةِ، والجهادِ في سبيلِ اللهِ.. ولعل في أفغانستانَ وانتفاضةِ أهلِ الأرضِ المباركةِ، ما يعيدُ شيئاً من ذكرىٰ معاركِ الإسلامِ الفاصلةِ.

ولئن كان المسلمون مأمورين بأخذِ القوةِ والعُدَّةِ والحيطةِ والحذرِ؛ فإن الإيمانَ لابدَّ أن يكونَ جازماً وقاطعاً بأن النصرَ من عندِ اللهِ وحدَه.

انظروا ـ يرحمُكم اللهُ ـ إلى التربيةِ القرآنيةِ حينما أمدَّ اللهُ رسولَه والمؤمنين بالملائكةِ يومَ بدرٍ، لم يكنْ مدداً من أجلِ النصرِ، ولكن طمأنينةٌ وبشرىٰ.. اقرءوا كتاب الله: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠﴾ [الأنفال: ٩ ـ ١٠].

أيها الأمةُ المجاهدةُ، تلك عقيدةٌ من درسٍ بدريٍّ يجبُ أن يستقرَّ في قلبِ كلِّ مسلم، فلا إعجابَ بالقوةِ، ولا اعتماد عليها، ولكنه احتياطٌ وأخذٌ بالأسبابِ، وإرهابٌ لأعداءِ اللهِ.

ومن هنا أيها المسلمون، فيجبُ أن يتعانقُ السلاحُ الماديُّ مع التكوينِ الإيمانيِّ، يلتقيان في خوضِ معركةِ الحقِّ والجهادِ، كما هو صنيعُ المصطفىٰ ﷺ مع جندِه في بدرٍ، هيأ الجيشَ، ونظَّمَ الجندَ، واختارَ المواقعَ، ورفعَ المعنوياتِ، ثم توجَّه إلى ربِّه في عريشِه في ضراعةٍ وإلحاحٍ، يستنزلُ النصرَ، ويناشدُ المعونةَ والمددَ، حتى قال له أبوبكرٍ: يا نبيَّ اللهِ حسبُك مناشدتَكَ ربَّك، فإن اللهَ منجزٌ لك ما وعدَك.

أما درسُ المكاسبِ والمغانمِ، فلقد تحمَّل المهاجرون والأنصارُ متاعبَ العَيْلةِ، ومشكلاتِ الفقرِ، وضحَّوا بأموالِهم وأنفسِهم، وهجروا أوطانَهم في سبيلِ اللهِ.. وهذا مسجلٌ لهم محفوظٌ، ولكن عليهم وعلى أتباعِهم من بعدِهم أن يَمضُوا في هذا الطريقِ، وفي جميعِ الأحوالِ، في حالِ النصرِ والقوةِ، وحال الضعفِ والفاقةِ. فالغايةُ في الحالين واحدةٌ.. إنها نصرةُ العقيدةِ، وإعلاءُ كلمةِ اللهِ، ورفعةُ هذا الدينِ، وقد كان هذا التوجيهُ ظاهراً قبلَ المعركةِ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٧].

وهو ظاهرٌ كذلك بعدَ المعركةِ، حين سألوا عن الأنفالِ.. فصرفَهم الجوابُ القرآنيُّ إلى التقوىٰ والطاعةِ وإصلاح ذاتِ البينِ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١..﴾ [الأنفال: ١].

وحينما اختلفوا في شأنِ الأسرىٰ جاءَهم التوجيهُ الرباني: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا

وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ . . ﴾ [الأنفال: ٦٧].

الخلاصةُ ـ أيها المؤمنون ـ ليس للمؤمنين أن يجعَلوا من النظرِ إلى المالِ ميزاناً للحُكمِ في القضايا الكبرىٰ التي تقومُ على الدينِ والعقيدةِ وكمالِ العبوديَةِ للهِ ربِّ العالمين.

فاتقوا اللهَ ـ يرحمُكم اللهُ ـ وخذوا من شهرِكم ودهرِكم العبرَ، وصِلُوا الماضي بالحاضرِ عزةً وقوةً، وصدقَ تعلقٍ وتوجهٍ.

نفعني اللهُ وإياكم بهدي كتابِه وبسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنبٍ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

# في ذكرى بدر واغتنام العشر

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ معزٍّ من أطاعَه واتقاه، ومذلٍّ من خالفَ أمرَه وعصاه. وفَّقَ من شاءَ من عبادِه للعملِ بما يحبُّه ويرضاه، أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا نعبد إلا إياه، في السماءِ إله، وفي الأرضِ إله، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، طوبىٰ لم والاه وتولاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه. جاهدوا في اللهِ حقَّ جهاده، وكان هواهم تبعاً لهداه، والتابعين ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم أن نلقاه.

أما بعدُ:

فاتقوا الله ـ أيها المسلمون ـ واعلموا أن انتصاراتِ بدرٍ أعقبتْ المسلمين قوةً بعدَ ضعفٍ، وعزةً من بعدِ ذلةٍ.. تصفُها السورةُ البدريةُ سورةُ الأنفال في قولِه سبحانه: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأنفال: ٢٦].

نعم أيها الإخوةُ، لقد كان هؤلاء أذلَّ الناس وأشقاهم عيشاً، وأجوعَهم بطوناً، وأعراهم جلوداً، وأشدَّهم ضَلالاً.. من عاش منهم عاش شقياً، ومن ماتَ منهم مات قصياً، يُؤكلون ولا

يَأكلون، ما يُعلمُ، قبيلٌ[1] من حاضرِ أهلِ الأرضِ يؤمئذٍ كانوا أشرَّ منهم منزلاً، حتى جاء اللهُ بالإسلامِ فمكَّنَ لهم في البلادِ، وأوسعَ لهم في الأرزاقِ، وبعث فيهم نبيَّه وجعلهم ملوكاً.

فهل يعي المسلمونَ العبرَ؟ وهل يتبعون آثارَ من سلفَ؟.

ثم انظروا - رحمُكم الله - إلى شهرِكم واعرفوا فضلَه فقد تصرمَّت أيامُه، فها أنتم مقبلون على عشرهِ الأخيرةِ، أعظمُ أيامِه فضلاً، وأرفعُها قدراً، وأكثرُها أجراً. تصفو الأوقاتُ للذيذِ المناجاةِ، وتسكبُ العبراتُ بكاءً على السيئاتِ، فكم لربِّ العزةِ من عتيقٍ من النارِ، وكم من أسيرٍ للذنوبِ وصلَه الله بعد القطعِ، وكتب له السعادةَ من بعدِ طولِ شقاءٍ، قدّم في أيامِه المباركةِ توبةً صادقةً أتبعها بعملٍ في الباقياتِ الصالحاتِ.

إنها الفرصةُ إذا أُفلتتْ فلن تنفعَ بعدها الحسراتُ، والأعمارُ بيدِ اللهِ، فاغتنموا رحمني الله وإياكم شريفَ الأوقاتِ.. فما الحياةُ إلا أنفاسٌ معدودَةٌ، وآجالٌ محدودةٌ، والأيامُ مطاياكم إلى هذه الآجالِ، فاعملوا وأمّلوا وأبشروا، فالمغبون - واللهِ - من انصرفَ أو تشاغلَ بغيرِ طاعةِ اللهِ، والمحرومُ من حُرمَ ليلةِ القدرِ، والمأسوفُ عليه من أدرَك شهرَ رمضانُ فلم يُغفرْ له.

---

(١) قبيل: أي قبيلة وجماعة.

# في قدسية الحرم وأمنه

## الخطبة الأولى

الحمد للهِ المتفردِ بكلِّ كمالٍ، والشكرُ له فهو المتفضلُ بجزيلِ النوالِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله. خصه ربُّه بشريفِ الخصالِ. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ. ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآل.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون، بيتُ اللهِ المعظمُ ملتقىٰ جموعِ المؤمنين، وقبلةُ أهلِ الإسلامِ أجمعين. . تتوجه إليه القلوبُ، وتَفِدُ إليه الوفودُ من كلِّ فجٍ عميقٍ، في كلِّ قتٍ وحينٍ؛ ليشهدوا منافعَ لهم.

ما برِحَ هذا البيتُ المشرَّفُ ـ بحفظِ اللهِ وكنَفِهِ ـ يطاولُ الزمانَ، شامخُ الأركانِ، في منعةٍ من اللهِ وأمانٍ، يتطلعُ إليه المسلمون، ويتنافسُ في بلوغِ رِحابِه المتنافسون، يعيشون في أمنه وأمانه، وتوافرِ خيراته، وأرزاقه ﴿ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص: ٥٧]

﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

لقد جمعَ اللهُ لهذا البيتِ، وأهلِ البيتِ، وقاصدي هذا البيتِ ـ

مزيتين بهما تحصلُ السعادةُ بتمامها، والطمأنينةُ بكمالِها: ضمانُ الرزقِ، والأمانُ من الخوفِ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ۝٤﴾ [قريش: ٣ ـ ٤].

وإن من التحدثِ بنعمِ اللهِ ـ أيها المؤمنون ـ الإشارةَ إلى جلاءِ هاتين المزيتين، وظهورِهما واقعاً معاشاً، وأمراً ملموساً ـ ولله الحمدُ والمنةُ ـ رغدٌ في العيشِ، واستبابٌ في الأمنِ، توفرٌ في المطاعمِ والمشاربِ، يُجبىٰ إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ ـ مما يشهدُه الحاضرُ والبادِ.

فواجبٌ على كلِّ مسلم أن يُسهمَ في المحافظةِ على هذا الجوِّ الآمنِ، والطمأنينةِ السابغةِ، من أجلِ الطائفينَ والعاكفينَ والقائمينَ والركعِ السجودِ، من أجلِ المقيمين والوافدين. لا يسعُ مسلماً قصدَ هذه البقاعَ الطاهرةَ ـ يرجو الرحمةَ، ويؤملُ في المغفرةِ، ويتطلعُ إلى عملٍ مبرورٍ، وسعيٍ مشكورٍ ـ إلا البعدُ عن كلِّ ما يشوشُ على المتنسكين، أو يكدرُ صفوَ المتعبدين.

لقد خاطبَ اللهُ أهلَ الإيمانِ وناداهم بنداءِ الإيمانِ، لتجنبِ انتهاكِ حرمةِ شعائرِ هذا البيتِ.. زماناً ومكاناً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢].

بل لقد نهىٰ ـ سبحانه ـ عن مجردِ الجدالِ تعظيماً لحرمةِ المكانِ والشعائرِ، وانصرافاً لصفاء التعبدِ والتزودِ بزادِ التقوىٰ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وحينما قال سعدُ بن عبادةَ لأبي سفيان يومَ الفتح: «اليومَ يومُ الملحمةِ، اليومَ تستحلُّ الكعبةُ» غضبَ النبيُّ ﷺ ونَزعَ الرايةَ منه وأعطاها ابنَه قيساً وقال: «**هذا يومٌ يعظِّمُ اللهُ فيه الكعبةَ، ويومٌ تُكسىٰ فيه الكعبةُ**»[1] جزءٌ من حديثٍ طويلٍ رواه البخاريُّ كما قالَ ﷺ في صلحِ الحديبيةِ: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لا يسألونني ـ قريشٌ ـ خُطةً يعظمون فيها حرماتِ اللهِ إلا أعطيتُهم إياها**»[2] جزءٌ من حديثٍ طويلٍ رواه البخاريُّ وغيرُه.

وحرمةُ المؤمنين ـ أيها المؤمنون ـ أعظمُ عندَ اللهِ من حرمةِ البيتِ والزمانِ:

وفي التنزيل: كفَّ اللهُ المؤمنين عن دخولِ مكةَ من بعد أن أظفرَهم على الكفار، من أجلِ فئةٍ مؤمنةٍ مستضعفة: ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ﴾ [الفتح: ٢٥].

ومع كلِّ هذه النصوصِ الواضحةِ والتأكيداتِ الجليةِ ـ وأمثالُها كثيرٌ ـ تجرَّأَ بعضُ ضعافِ النفوسِ ممن ينتسبُ إلى هذا الدينِ، ويزعمُ أنه يعظمُ شعائرَ اللهِ ومَشاعرَه، فانتهكوا جميعَ هذه الحرماتِ مجتمعةً، حرمةَ المؤمنين، وحرمةَ المكانِ، وحرمةَ الزمانِ. . فأحدثوا في جوارِ بيتِ اللهِ تخريباً، وأصمُّوا الآذانَ تفجيراً. لم يدفعهم إلى التخريبِ إلاخرابُ الذممِ، وفسادُ الضمائرِ. استطالةٌ صارخةٌ للنيلِ من قدسيةِ حرمِ اللهِ، والنيلِ من

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٥٩٧ ـ ح٤٢٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٨٨ ـ ح٢٧٣١، ٢٧٣٢).

دماءِ المؤمنين، فما لهؤلاءِ القومِ يصبُّون جامَ غضبِهم على أهلِ الإسلامِ، ويدَعون أهلِ الأوثانِ.

لقد كثُر هرجُهم، وطفحَ الغيظُ من صدورِهم.. جعلوا الإسلامَ مطيةً لتحقيقِ مآربَ مشبوهةٍ، ومقاصدَ مدخولةٍ.. انتهكوا حرماتِ المؤمنين، وروَّعوا الآمنين، وعبثوا بالمقدساتِ.

ولقد ظنوا ظنَّ السوءِ.. ظنوا أنهم مانعتُهم تخطيطاتُهم وترتيباتُهم، ظنوا أن اللهَ لن يكشفَ أمرَهم؛ فأتاهم اللهُ من حيثُ لم يحتسبوا، ولكنّ اللهَ الكريمَ ذا الفضلِ العظيمِ، أقرَّ أعينَ أهلِ الحقِّ والإيمانِ.. فوفقَّ القائمين على أمرِ هذه البلادِ وخدمةِ الحرمين الشريفين، فردُّوا كيدَ الكائدين في نحورِهم، وتمَّ على أيديهم - بتوفيقِ اللهِ - القبضُ على عناصرِ الفسادِ، ومعاولِ التخريبِ.. فضلاً من اللهِ ونعمةً، واللهُ عليمٌ حكيمٌ، وازدادَ الذين آمنوا إيماناً بأن للبيتِ رباً يحميه، وما هو إلا أن أخذتْ العدالةُ مجراها، فقال قضاةُ الشرعِ الشريفِ مقالتَهم، وأصدرُوا على ضوءِ الكتابِ والسنةِ حكمَهم فجاء الحقُّ وظهرَ أمرُ اللهِ، وأعلنتْ براءةُ الأبرياءِ، وخسرَ هنالك المبطلون، وقُطعَ دابرُ القومِ الذين ظلموا، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين.

أيها المؤمنون، ومع يقين المؤمنِ أن اللهَ حافظٌ دينَه وبيتَه، ومُعْلٍ كلمتَه، وجاعلٌ كيدَ الكائدين في تضليلٍ.. إلا أن المسئوليةَ عظيمةٌ.. فلابدَّ من الوقفةِ الصادقةِ من أجلِ وضعِ الأشياءِ في مواضعِها، والأسماءِ في مسمياتِها. فالأسلامُ إسلامٌ، والإجرامُ إجرامٌ، والإصلاحُ غيرُ الفسادِ، وإيذاءُ المؤمنين، وانتهاكُ المقدساتِ والحرماتِ، غيرُ التضحيةِ والجهادِ والفداءِ.

يأبىٰ الله والمؤمنون أن يكونَ الخيرُ والحقُّ والإصلاحُ . . في ترويعِ المسلمين، وتحويفِ الآمنين المؤمنين، والاعتداءِ على العزَّلِ، وتقتيلِ الأبرياءِ.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، اتقوا الله يا ولاةَ أمورِ المسلمين، فإن أمةَ الإسلامِ الآنَ بكافةِ شعوبِها في أشدِّ الحاجةِ من أيِّ وقتٍ مضىٰ إلى جمعِ كلمتِها، والتمسكِ بدينِها، وتوحيدِ خطِّ مسيرتِها على الكتابِ والسنةِ في الأساليبِ، والمناهجِ، والوسائلِ، وشتىٰ مساراتِ الحياةِ. . من أجلِ أن تتوثَّقَ الروابطِ، وتُحمىٰ الأمةُ من العبثِ والفوضىٰ والفسادِ والإلحادِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٧].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

# في قدسية الحرم وأمنه

## الخطبة الثانية

الحمد لله وكفىٰ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه محمدٍ المصطفىٰ، وآله وأصحابه، ومن سارَ على نهجِهم واقتفىٰ.

أما بعدُ:

أيها المؤمنون، لقد أعان اللهُ القائمين على أمرِ هذه البلادِ، وهيأ لهم السبلَ في خدمةِ الحرمين الشريفين.. على وجهٍ يستبشرُ به أهلُ الإيمان.. حكَّموا الكتابَ والسنةَ، وأظهروا أمرَ الشريعةِ.. فرايةُ الدينِ مرفوعةٌ، وأهلُ الحقِّ ظاهرون.. زادهم اللهُ صلاحاً وإصلاحاً، وبحكمِه والتحاكم إليه إيماناً وتسليماً، وبارك في الجهودِ، وسددِ الخطىٰ.

وإن هذا الخيرَ المشهودَ، مع ما يرجىٰ من أملٍ في المزيدِ منشودٍ، عائدٌ إلى الاستقامةِ على الحقِّ، والقيامِ بواجبِ الشكرِ، ومعرفةِ نعمِ اللهِ وقدْرِها حقَّ قدرِها، وصرفِها في مراضي اللهِ ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧] ﴿ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَوٰةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

إنهم يأكلون ويشربون، ومن الخيراتِ في حرمِه يُرزقون، ولكن (لعلهم يشكرون)، فالغايةُ من السكنىٰ بجوارِ البيتِ الحرامِ

إقامةُ الصلاةِ، والقيامُ بواجبِ العباداتِ والطاعاتِ، والشكرُ على توافرِ الخيراتِ.

فاتقوا الله ـ يرحمْكم اللهُ ـ واعرفوا لهذا البيت حرمتَه، وعظِّموا شعائرَ اللهِ.. فذلك من تقوىٰ القلوبِ. اهـ.

# بناء البيت ومنافع الحج

## الخطبة الأولى

الحمد لله خص بيتَه بمزيدٍ من التكريمِ والتفضيلِ. وافترض حجَّه على من استطاعَ إليه السبيلَ، فارتفعَ النداءُ على حجِّ هذا البيتِ بأمرِ اللهِ على لسان إبراهيمُ الخليلِ، أحمده سبحانه وأشكر، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله الموحىٰ إليه من هذه البطاحِ بأشرفِ تنزيلٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، خيرِ صحبٍ وأكرمِ جيلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فأوصيكم حجاجَ بيتِ اللهِ، وأوصيكم عبادَ اللهِ جميعاً ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فخيرُ الزادِ التقوىٰ.

عباد الله، يقول الله عزَّ وجل: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٦ ـ ٩٧].

المسجدُ الحرامُ هو أولُ بيتٍ بُنِيَ على ظهرِ الأرضِ لعبادةِ اللهِ وحدَه، بناهُ الخليلُ إبراهيمُ وشاركه ابنُه إسماعيلُ عليهما السلام.

أما إبراهيمُ: فهو رمزُ التوحيدِ والحنيفيةِ، وخصمُ الشركِ والوثنيةِ. ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝٧٩﴾ [الأنعام: ٧٩].

وأما إسماعيلُ: فهو المسلمُ المستسلمُ المنقادُ لأمرِ ربِّه ﴿يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢].

ونبيُّ الإسلامِ محمدٌ ﷺ وأمةُ الإسلامِ هما ثمرةُ دعوةٍ صدرتْ من هذين النبيين الكريمين البانيين لهذا البيتِ العتيقِ. لقد صدرتْ دعوتُهما وهما ينشئان بنيانَه ويعليان أركانَه: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩].

إنه البيتُ الذي أراده المولىٰ تبارك وتعالىٰ قِبْلَةً واحدةً لهذه الأمةِ، يكون به قيامُها، وإليه مثابتُها ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٩٧] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [البقرة: ١٢٥].

وفي حديثٍ قرآنيٍّ آخرَ عن نشأةِ هذا البيتِ، حديثٌ عن القاعدةِ التي قام عليها هذا البناءُ؛ ليبقى خالداً، عامراً بإذن اللهِ إلى ما شاء اللهُ، إنها قاعدةُ التوحيدِ، فعلى التوحيد أقيمَ هذا البيتِ من أول يوم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ۝٢٦﴾ [الحج: ٢٦].

ولما أقيم هذا البيتُ على قواعدِ التوحيدِ ومبادىءِ الحنيفيةِ، والخلوصِ من الشركِ وأهلِه، صدرَ الأذانُ الإبراهيميُّ ـ بأمرِ اللهِ ـ لحجِّ هذا البيتِ، وتعظيم حرماتِ الله وشعائره: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ [الحج: ٢٧].

ومنذُ ذلك النداءِ والوفودُ تتقاطرُ على هذا البيتِ، ممتدةٌ في الأزمنةِ إلى ما شاءَ اللهُ، يتوافدون من كلِّ فجٍّ، رجالاً على أقدامِهم، وركباناً على ما سخر اللهُ لهم، ولا يزالُ وعدُ الله يتحققُ منذ ذلك النداءِ المباركِ، ولا تزالُ أفئدةٌ من الناس تهوي إلى البيتِ الحرام، وما فتئتْ النفوسُ تتطلعُ إلى رؤيةِ هذا البيتِ والطوافِ حولَه، والتقلبِ في عرصاتِ مشاعرِه.

يتوافدون من كلِّ فجاجِ الأرضِ القاصي منها والداني، وحناجرُهم تجأرُ بإجابةِ التوحيدِ ونداءِ الإخلاصِ: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك). يجيبون داعيَ التوحيدِ بإعلانِ التوحيدِ.

إن هذه الجموعَ الملبيةَ المستجيبةَ تأتي منضويةً تحتَ رايةِ العقيدةِ، حيث تتوارىٰ في ظلِّها فوارقُ الأجناسِ، وتمايزُ الألوانِ، وتباعدُ الأوطانِ.

إن هذه الأمةَ تشهدُ قوَّتَها في تجمعِها، وتدركُ عزَّها في ترابطِها بحبلِ اللهِ المتينِ.

ومن هنا ـ إخوةَ الإسلام ـ فإن هذا البيتَ هو الملتقىٰ الجامعُ لهذه الأمةِ. يتلاقىٰ فيه المسلمون مجرَّدين من كلِّ آصرةٍ سوىٰ

آصرةِ الإسلامِ، متخلين عن كلِّ سمةٍ إلا سمةَ الدين. ولقد بلغَ مظهرُ التساوي في هذا الصعيدِ المعظم أن تساوتْ ملابسُهم، وتوحدتْ ثيابُهم فتجردوا من كلِّ زينةٍ إلا ثوباً يواري عوارتِهم.

إن البيتَ ومشاهدَ الحجِّ ليؤكدُ لهذه الأمةِ أن رابطةَ الإسلامِ هي الرابطةُ الوثقىٰ، وأن نسَبهُ هو النسبُ الثابتُ، وصبغةَ الدينِ هي الصبغةُ السائدةُ. لا تفاضلُ إلا بالتقوىٰ، إنه نبذٌ صارخٌ لحمِّيةِ الجاهليةِ وفخارِها. ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩].

وهو من أجلِ هذا موسمٌ تصفو فيه النفوسُ، وهي تستشعرُ قربَها من ربِّها يومَ أن قرُبَتْ من بيتِه، تطوف حولَ البيتِ بأجسادِها وأفئدتِها.

موسمُ عبادةٍ ولقاءٍ تلتقي فيه الدنيا والآخرةُ، حتى أصحابُ التجاراتِ يجدون في موسم الحجِّ من غيرِ حرجٍ سوقاً رائجةً لتجاراتِهم وبضائعِهم ابتغاءَ فَضلِ اللهِ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وماذا في ذلك؟؟ إن هذا البيتَ يُجبىٰ إليه ثمراتُ كلِّ شيءٍ. ما تفرَّقَ في أرجاءِ الدنيا يجتمعُ في أرضِ الحرمِ، سوقٌ عالميةٌ قائمةٌ في تسهيلاتٍ معاصرةٍ، وفرَّها ولاةُ الأمورِ في الحرمين الشريفين فيما وفَّرو ـ حفظهم الله ـ من إنجازاتٍ عظامٍ في الحجِّ وطرقِه ومشاعرِه ومبانيه.

ينضمُّ إلى ذلك ـ أيها الحجاجُ ـ ما يجبُ التحلي به من آدابٍ؛ يستكملُ بها الحاجُّ تعظيمَ حرماتِ اللهِ وشعائرِه.

إن المسلمَ في أوقاتِ العبادةِ والحضورِ في الرحابِ الطاهرةِ، يلتزمُ بأكملِ الآدابِ وأفضلِ الأحوالِ. . ناهيك بالحضور في هذا البيتِ المعظم والمشاعرِ المقدسةِ: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧] إنها آدابٌ في اللسانِ والجوارحِ تُعَظَّمُ بها الشعائرُ، وتُعرفُ بها آدابُ زوارِ بيتِ اللهِ.

فللجماعةِ آدابٌ قد تختلفُ عن آدابِ الأهلِ والأقربين، فحقٌّ على حجاجِ بيتِ اللهِ، وهم في رحابِهِ أن يختاروا الطيبَ من القولِ، وتحُلُّ التقوىٰ عندهم محلَّ الفسوقِ، والخلقُ الجميلُ محلَّ الجدلِ والمراءِ.

ومن أجلِ هذا جاءَ في الحديثِ الصحيح: «**من حجَّ هذا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسُق، رجعَ كيومِ ولدتْه أمُّه**»[1] متفق عليه. واللفظُ للبخاريِّ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه.

إن الإقبالَ على اللهِ بتلك الهيئةِ المؤدبةِ، والتقلبَ في المشاعرِ والشعائرِ مع حفظِ حقوقِ الإخوانِ، والالتزامَ بآدابِ الإسلامِ؛ يمحو من النفوسِ آثارَ الذنوبِ، وظلمةَ الأثامِ. فيتحرى الحاجُّ كلَّ برٍ، ويتباعدُ عن كلِّ منكرٍ عبادةً للهِ وأخوَّةً للمؤمنين.

أيها الإخوةُ، إن الحجَّ في وفودِه وحشودِه تأكيدٌ لهذه الارتباطاتِ، وتجسيدٌ لتلك الإحساساتِ، حضورٌ في الأبدانِ، وشهودٌ في القلوبِ.

إنك ترىٰ هذا الزرافاتِ من الناسِ وهي تَؤمُّ هذا البيتَ ولها

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٥ ـ ح١٨٢٠)، ومسلم (٢/ ٩٨٣ ـ ح١٣٥٠).

عجيجٌ بالتلبيةِ، تشاركها بتلبيتِهاكلُّ الكائناتِ مِنْ حولِها مسبحةً بحمدِ ربِّها، وكأنَّ الوجودَ في الحرمِ والمشاعرَ وماحولهما، والطرقَ السالكةَ إليهما قد تحولتْ إلى وفودٍ حاشدةٍ تجأرُ لربِّها ذاكرةً، شاكرةً، حامدةً، ممجدةً، كما في الحديثِ: «**ما من مُلَبٍّ يلبِّي إلا لبَّىٰ ما عن يمينِه وشمالِه، من حجرٍ أو شجرٍ أو مدَرٍ حتى تنقطعَ الأرضُ من ههنا وههنا**»[1]. رواه الترمذيُّ، وابن ماجه واللفظُ له من حديثِ سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رضي الله عنه.

حجاجَ بيتِ اللهِ، بهذا وأمثالِه تتبينُ عظمةُ النسكِ وحكمةُ التشريعِ، ويبقىٰ الحجُّ رمزَ الوحدةِ والتوحيدِ، وعنوانَ البذلِ والتضحيةِ، ويبقىٰ ملتقىٰ المسلمين الأكبرَ في يومِ الحجِّ الأكبرِ. ويظلُّ زمانُه ومكانُه الموعدَ المضروبَ لاجتماعِ المؤمنين الموحدين الوافدين من مشارقِ الأرضِ ومغاربِها، يفردون بالعبادةِ ربَّهم، ويرجمون الشيطانَ عدوَّهم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾﴾ [الحج: ٢٧ ـ ٢٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٩ ـ ح٨٢٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٧٤ ـ ح٢٩٢١).

# بناء البيت ومنافع الحج

## الخطبة الثانية

الحمد لله جعل الحجَّ كفارةً للذنوبِ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأسأله ذكراً تطمئنُّ به القلوبُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، علامُ الغيوبِ. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بكلِّ كمالٍ منعوتٌ، وإلى كلِّ قلبٍ محبوبٌ، اللهم فصلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ما تعاقبَ الشروقُ والغروبُ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهِ ـ عبادَ الله ـ واعلموا رحمكم اللهُ.. أن مما يؤكدُ سموَّ معاني الحجِّ، وأهدافِ زيارةِ هذا البيتِ المعظمِ، والحفظَ على لزومِ الأدبِ مع الإخوانِ، التطلعَ إلى حجٍّ مبرورٍ، فالحجُّ المبرورُ ليس له جزاءٌ إلا الجنةَ.

ومن أعظم مجالاتِ برِّ الحجِّ.. ميادينُ التعاملِ مع الناسِ، وحسنِ العلاقاتِ معهم، حتى إنه لما سُئلَ رسولُ الله ﷺ: ما الحجُّ المبرورُ؟ قال: «**إطعامُ الطعامِ وطيبُ الكلامِ**»[1]. رواه

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٥، ٣٣٤)، والطبراني في الأوسط واسناده حسن انظر مجمع الزوائد (٣/ ٢٠٧)، والبيهقي (٥/ ٢٦٢)، والحاكم (١/ ٤٨٣) =

أحمدُ والطبرانيُّ وابنُ خزيمةَ والبيهقيُّ من حديثِ جابرٍ، وكلُّها ألوانٌ من العلاقاتِ الحسنةِ يحافظُ عليها المسلمُ مع إخوانِه.

وقد سُئلَ سعيدُ بن جبيرٍ: أيُّ الحجِّ أفضلُ؟ قال: من أطعمَ الطعامَ، وكفَّ اللسانَ.

أيها الإخوةُ، ماذا يصنعُ من يؤمُّ هذا البيتَ إذا لم يكن فيه ورعٌ يحجِزُه عما حرَّم اللهُ، وحِلمٌ يضبطُ به جهلَه، وحسنُ صحبةٍ لمن يصحبُ!!! فلا تحقرنَّ أخي الحاجُّ من المعروفِ شيئاً، ولو أن تفرغَ من دلوكِ في إناءِ المستسقي، ولو أن تُنَحِّي الأذىٰ من طريقِ الناسِ، ولو أن تلقىٰ أخاكَ ووجهُك إليه منطلقٌ، فخيرُ الناسِ أنفعُهم للناس.. وأصبرهُم على أذى الناسِ.

ولقد أعدَّ اللهُ جناتِ عدنٍ.. للذين ينفقون في السراءِ والضراءِ، والكاظمين الغيظَ، والعافين عن الناسِ، واللهُ يحبُّ المحسنين.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم الله ـ وتوبوا إلى ربّكم، وتوسلوا إليه بصالحِ أعمالِكم.

---

= وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

# من فضل البيت وأسرار الحج

## الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئاتِ أعمالنا. من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واحفظوا أوامرَ ربِّكم، وعظِّموا حرماتِه وشعائرَه ﴿ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢] اختار لكم صفوةَ خلقِه محمداً ﷺ؛ يعلمُكم الكتابَ والحكمةَ ويزكيكم. وكلُّ ذلك أيها المؤمنون، اختيارٌ في اختيارٍ في اختيارٍ ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [القصص: ٦٨].

وكما اختارَ سبحانه في الأممِ والنبيين، اختارَ من الأماكنِ أشرفَها، ومن البقاعِ أفضلَها. بيتٌ شَرُفَت مكانتُه، وحُددتْ معالمُه، وأسستْ دعائمُه. بوأ اللهُ لإبراهيمَ ـ عليه السلام ـ

مكـانـه. . بناه الأبـوان الكـريمـان: إبـراهيـمُ وإسمـاعيـلُ عليهمـا السلام. في إنابةٍ، وخشوعٍ، وتضرعٍ، ودعاءٍ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ [البقرة: ١٢٧].

وأمةُ الإسلامِ ورسولُ الإسلامِ ـ عليه الصلاة والسلام ـ هما إجابةُ هذه الدعوةِ المباركةِ. فلقدَ اقترنَ أصلُ هذه الأمةِ ببناءِ هذا البيتِ وتطهيرِه ومناسكِه: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٨ ـ ١٢٩].

إن هذه الأمةَ تجدُ في البيتِ والحجِّ والمناسكِ أصلَها العريقَ، الضاربَ في أعماقِ التاريخِ من تلك العهودِ الأولىٰ: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَـٰذَا . . .﴾ [الحج: ٧٨].

إن هذه الصِّلاتِ العقائديةَ والتاريخيةَ؛ سرٌّ من أسرارِ حجِّ هذا البيتِ. يجدُ فيه المؤمنون ما يشدُّهم إليه، إنها قبلتُهم أحياءً وأمواتاً. يجدون فيه رايتَهم التي يفيئون إليها رايةَ العقيدةِ والتوحيدِ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦] ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾ [الحج: ٣٠ ـ ٣١].

تنمحي في ظلالِ هذا البيتِ فوارقُ الأجناسِ والألوانِ والأوطانِ، تتجلىٰ في عرصاتِ المناسكِ قوةُ التجمعِ والتوحيدِ

والترابطِ. . تضم الملايين والملايين من الخلائق يحنُّون إليه كما تحنُّ الحمائمُ إلى أوكارِها. . . في أفئدتِهم من الحنينِ شوقٌ، وفي قلوبِهم من المشاعرِ فيضٌ. يفدون إليه من أعماقِ القاراتِ، ومن شطآنِ المحيطاتِ: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥].

إن الإنسانيةَ واحدةٌ من آدمَ إلى إبراهيمَ إلى محمدٍ عليه الصلاةُ والسلامُ، شرفُها في عبادةِ ربِّها، وولاؤُها لواحدنيته، وعملُ الشيطانِ وجهدُه تعكيرُ هذه العبادةِ، وتقطيعُ ذلك الولاءِ فكان إبراهيمُ ـ عليه السلام ـ نموذجَ النبوةِ الأولىٰ شعاراً للتوحيدِ، ومناراً للعبادةِ الخالصةِ. ثم جاء خاتمُ المرسلين محمدٌ ﷺ فأرسىٰ القواعدَ لألوفِ المساجدِ التي تتبعُ هذا البيتَ في الوسيلةِ والهدفِ. . فدوائرُ صفوفِ المصلين حولَ الكعبةِ لا تزالُ تنداحُ وتتسعُ حتى تشملَ الدنيا كلَّها.

حقاً ـ أيها الإخوة ـ إن الأمةَ لتجدُ أصلَها وأصالَتها من خلالِ هذا البيتِ وتاريخِه، ومن خلالِ مناسكِه ومتعبداتِه.

وكأنكم بهذه الأمةِ وهي تتجلىٰ طيفَ إبراهيم عليه السلام، وهو يودعُ فِلْذةَ كبدِه إسماعيلَ وأمَّه، ويتوجه بقلبه الدافقِ، ودمعِه الخانقِ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وها هي هاجرُ تتطلبُ الماء لطفلِها ولنفسِها. .

وفي ذلك الجوِّ اللاهبِ . . حولَ مكانِ البيتِ. . تهرولُ بين

الصفا والمروةِ.. قد نهلها العطشُ، وبلغَ منها الجهدُ، وأضناها الإشفاقُ.. وفجأةً فإذا هي بالنبعِ يتدفقُ زمزمَ الرُّواءِ والشفاءِ.

وتتسارعُ الأطيافُ.. فإذا إبراهيمُ وإسماعيلُ يرفعان القواعدَ من البيتِ بأمرِ ربِّهما: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة: ١٢٥].

ويزداد التاريخُ في الاستعراضِ.. فإذا عبدُ المطلبِ بنُ هاشم ينذرُ دمَ ابنِه العاشرِ.. إنه عبدُاللهِ الذي يُفدىٰ بما يزيدُ على المائةِ من النوقِ.. ليأذنَ اللهُ بخروجِ أكرم الخلقِ على اللهِ المصطفىٰ المختارِ محمدٍ ﷺ. ويمرُّ الزمنُ فإذا بهذا الفتىٰ يضعُ الحجرَ الأسودَ موضعَه من البيتِ بيمينِه لتنطفىءَ نارُ الفتنةِ، ثم يبعثُه اللهُ من جوارِ بيتِه هادياً ومبشراً ونذيراً.

أيها الإخوةُ، إن الحجَّ إلى هذا البيتِ.. هو خاصةُ هذا الدين، وهو سرُّ التوحيدِ. إنه خاصةُ الحنيفيةِ، وزيارةُ المحبِّ لمحبوبِه، وإجابةُ دعوتِه، ومحلُّ كرامتِه في شعارٍ قديم جديدٍ، لم يضعفْ صداه على مرِّ القرونِ وتعاقبِ الأجيالِ: (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك).

في أشهر الحجِّ تنطلقُ قوافلُ الملبين... قاصدين هذا البيتَ، مؤكدين الولاءَ لربِّ هذا البيتِ... تتزايدُ تلك القوافلُ رويداً رويداً، فإذا ما قرُبَ الموسمُ؛ تحولَّ إلى سباقٍ نشطٍ دؤوب.. يقطعون الفيافيَ والقفارَ، ويمخرون عبابَ البحرِ، ويطيرونَ في جوِّ السماءِ.. آمّين هذا البيتَ من المشارقِ والمغاربِ، وفودٌ استوعبتْ البرِّ والبحرُ والجوَّ.. لا تسمعُ إلا هتافاً واحداً للواحدِ

الأحدِ.. في استعراضٍ خاشعٍ منيبٍ.. يلبون ويكبرون.. يسبحون ويهللون، كلَّما علوا نشزاً أو هبطوا وادياً، وإذا تلاقتْ الركبانُ، وتقابلتْ الأفواجُ في مواكبَ مهيبةٍ تعظيماً لله، وأداءً لشعائرِ اللهِ، بالدعاءِ والابتهالاتِ لهم عجيجٌ، وبالبكاءِ لهم نشيجٌ.. أملاً في حطِّ الخطايا والأوزارِ، تلبياتٌ ونداءاتٌ تهزُّ المشاعرَ، وتتجاوبُ معها الأوديةُ والوهادُ.. ذكرٌ وشكرٌ، وحمدٌ وتمجيدٌ: «**ما من مسلمٍ يلبي إلا لبىٰ ما عن يمينِه وشمالِه، من حجرٍ أو شجرٍ أو مدرٍ، حتى تنقطعَ الأرضُ من ها هنا وها هنا..**»[1].

إن الحجَّ أيها المؤمنون، رحلةٌ أيمانيةٌ عميقةٌ في عباداتٍ عظيمةٍ وذكرياتٍ كريمةٍ. في الحجِّ ملتقىٰ المسلمين الأكبرُ، وفي البيتِ مثابتُهم العظمىٰ.. ملتقىٰ الموحدين في المشارقِ والمغاربِ، يشهدون منافعَ لهم.

إن تجمعاتِ الدنيا مهما بلغتْ في أهدافِها.. لن تبلغَ سموَّ هذا الاجتماعَ الشاملَ المترابطَ المتآخي، المتضامنَ في أهدافِه وآمالِه.

إنه ليس لقاءَ أجسادٍ، ولا من أجل حملِ ألقابٍ، إنه فرصةُ الإعدادِ، وخطةُ الإنقاذِ. موسمٌ جامعٌ يُنتهزُ فيما يُنتهزُ للتوجيهاتِ العامةِ، والنظرِ في قضايا الأمةِ الكبرىٰ، تجسدُه كلَّ التجسيدِ، ويمثلُه حقَّ التمثيلِ.. كلماتُ المصطفىٰ ﷺ، كلماتُ الوداعِ من المشفقِ الحريصِ بكلِّ حبٍّ ونصحٍ في وصيةِ مودعٍ: «**تركتُ فيكم**

---

(١) أخرجه الترمذي (٣/ ١٨٩ ـ ح٨٢٨)، وابن ماجه (٢/ ٩٨٤ ـ ح٢٩٢١).

**ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتابَ اللهِ وسنتي»**[1]. **«إن دماءَكم وأموالَكم وأعراضَكم حرامٌ عليكم كحرمةِ يومِكم هذا في شهرِكم هذا في بلدِكم هذا»**[2].

كلماتٌ موجزاتٌ بليغاتٌ. رسمت سياساتِ العلاقاتِ البشريةِ، إنسانيةً واجتماعيةً ودوليةً.. مبينةً طبيعةَ هذا التجمعِ ووظيفتَه: **«كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ ولا عجميٍّ إلا بالتقوىٰ»**[3]. رواه أحمدُ والترمذيُّ بمعناه: **«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ»**[4]. متفق عليه من حديثِ جريرٍ.

لقاءاتٌ وتوجيهاتٌ في رحابِ هذا البيتِ.. من أجلِ رفعةِ البشريةِ وترقيِّها في مدراجِ الشرفِ والكرامةِ.

إنها تعاليمُ الإسلامِ، وحراسةُ الدينِ، ورفعُ رايةِ الحقِّ، وتحديدُ المواقفِ من العابثين، والمبيتين للأمةِ الضياعَ.

أيها الإخوةُ في اللهِ، حجاجَ بيتِ الله، هذا هو البيتِ، وذلكم هو الحجُّ في الشعائرِ والمشاعرِ. فَلَئِنْ أُصيبَ المسلمون في أعصارِهم المتأخرةِ بضعفٍ وتفككٍ.. وتفرقٍ وتشتتٍ.. تجلَّت فيه سيطرةُ الأجنبيِّ، واستحكامُ العدوِّ فما ذلك إلا لغلبةِ نزعةِ الأنانيةِ الضيقةِ، والعصبيةِ المقيتةِ، والبعدِ عن منهجِ الحقِّ،

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٩٣) وصححه.
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٧١١ ـ ح٤٤٠٦)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ح١٦٧٩).
(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، والترمذي (٥/ ٣٦٣ ـ ح٣٢٧٠) بمعناه.
(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٧١١ ـ ح٤٤٠٥)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ح١٦٧٩).

والقيامِ بأمرِ اللهِ. والإسلامُ في تعاليمِه ووصاياه لا يعرفُ هذه الفوارقَ ولا يرضاها، والحجُّ في عظمتِه وحقيقتِه وغايتِه أكبرُ برهانٍ على نبذِها، والبراءةِ منها ومن دعاتِها.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيمّ

﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

# من فضل البيت وأسرار الحج

## الخطبة الثانية

الحمد لله جعل بيتَه مثابةً للناس وأمنا. أحمده سبحانه وأشكره يقبل التوبةَ عن عبادِه، ويعفو عن السيئاتِ فضلاً منه ومَّناً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أكرمنا به ربُّنا فبعثه مِنّا، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا الله أيهـا المـؤمنـون. واعـرفـوا لهـذا البيـتِ فضلَـه وخصائصَه. فهو بلدُ المقدساتِ، ومُتنزَّلُ الرحماتِ. مُلتقىٰ وفودِ اللهِ. حرَّمهُ اللهُ وحمىٰ حماه، وجعلَ قصدَه مكفراً لما سلفَ من الذنوبِ ماحياً للأوزارِ، حاطًّا للخطايا: «**من أتىٰ هذا البيتَ فلم يرفثْ ولم يفسقْ رجع كيومِ ولدتَه أمُّه**»[1]. رواه البخاريُّ ومسلمٌ واللفظُ له من حديثِ أبي هريرةَ.

خيرُ أرضِ اللهِ، وأحبُّ أرضِ اللهِ إلى اللهِ. يتجردُ قاصدُ هذا البيتِ من لباسِ أهلِ الدنيا.. مفارقاً الأهلَ والأولادَ والأوطانَ..

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٥ ـ ح١٨٢٠)، ومسلم (٢/ ٩٨٣ ـ ح١٣٥٠).

في تذللٍ وخضوعٍ للهِ، وتواضعٍ لعبادِ اللهِ.

سموٌّ وارتفاعٌ فوقَ مقاييسِ أهلِ الدنيا، وتركٌ لألوانِ الرفاهيةِ والترفِ.. تتجلىٰ فيه المساواةُ بأسمىٰ معانيها. حتى قال بعضُ أهلِ العلمِ: إذا كان أشرفُ حالاتِ المرءِ أن يأتيَ يومَ القيامةِ آمناً. فأشرفُ أحوالِه في الدنيا أن يكونَ في عرفاتٍ مُحرماً.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون وتقربوا إلى ربّكم بتعظيمِ حرماتِه: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠] ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧].

# خطبة عيد الفطر المبارك
# المناسبات وهموم الأمة

## الخطبة الأولى

اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ.

اللهُ أكبرُ خلق الخلقَ وأحصاهم عدداً، وكلُّهم آتيه يومَ القيامةِ فرداً. الله أكبرُ عزَّ سلطانُ ربِّنا، وعمَّ إحسانُ مولانا. . خلقَ الجنَّ والإنسَ لعبادتِه، وعنت الوجوه لعظمتِه، وخضعتْ الخلائقُ لقدرتِه.

الله أكبرُ عدد ما ذكره الذاكرون. . الله أكبر كلما هلل المهللون، وكبر المكبرون. الله أكبر ما صام صائمٌ وأفطر. الله أكبر ما تلا قارىءٌ كتابَ ربِّه فتدبر. الله أكبر ما بذل محسنٌ فشكر، وابتُلي مبتلىً فصبر.

الله أكبر كبيراً، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا.

الحمد لله ربِّ العالمين والعاقبةُ للمتقين. الحمدُ لله وفقَّ من شاءَ لطاعتِه فكان سعيُهم مشكوراً، ثم أجزل لهم العطاءَ والمثوبةَ فكان جزاؤهم موفوراً. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره إنه كان حليماً غفوراً، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يُتمُّ بنعمتِه الصالحاتِ، ويُجزلُ بفضلِه العطياتِ، إنه

كان لطيفاً خبيراً، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله صلى وصام، واجتهد في عبادةِ ربِّه حتى تفطرت قدماه.. فكان عبداً شكوراً.. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أزواجه أمهاتِ المؤمنين، وعلى أصحابه أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الله أكبر.. الله أكبر.. لا إله إلا الله والله أكبر.. الله أكبر ولله الحمد.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: هذه الأرضُ الطيبةُ الآمنةُ بأمانِ اللهِ ثم برعايةِ قادتِها، ويقظةِ مسئولياتِها.. هذه الأرضُ التي تحكي تأريخَ الإسلام المجيدِ.. تأريخَ نشأةِ دين اللهِ في هذه البطاحِ.. تحكي قصةَ الانتصارِ والكفاحِ.. سيرةَ النماذجِ المثاليةِ العاليةِ. ومصارعِ الشهداءِ في سبيلِ الحقِّ.. بلدٌ وتاريخٌ قفزتْ فيه البشريةُ إلى أبعدِ الآفاقِ ديناً ودنيا، علماً وعملاً، فقهاً وخلقاً.

أرضٌ طيبةٌ، وجوٌ عابقٌ.. تزدحمُ فيه هذه المشاهدُ والمواسم حيةً نابضةً.. تختلطُ فيها مشاعرُ العبوديةِ وأصواتُ الذكرِ والتلاوةِ والدعاءِ والتكبيرِ والإقبالِ على اللهِ ربِّ العالمين.

ويقترنُ بقدسيةِ المكانِ شرفُ الزمانِ، فشهرُ الخيرِ والبركةِ.. شهرُ رمضانَ.. شهرُ هذه الأمةِ، نزل فيه كتابُها، وتحقَّق فيه كثيرٌ من انتصارتِها، قطعَ اللهُ فيه دابرَ الوثنيةِ، وقوَّض بنيانَها، شهرُ صيامٍ وقيامٍ، وعملٍ وجهادٍ، وجدٍ واجتهادٍ.. زادٌ لما بعده من الشهور.

في هذه الأجواءِ يغمرُ قلبَ المتأملِ شعورٌ كريمٌ فياضٌ بانتماءِ أفرادِ هذه الأمةِ إلى هدفٍ واحدٍ، وغايةٍ واحدةٍ. . إنها أمةُ محمدٍ ﷺ، ودينُها دينُ الإسلامِ. . دينُ اللهِ ربِّ العالمين.

الله أكبر. . الله أكبر. . لا إله إلا الله والله أكبر. . الله أكبر ولله الحمد.

أيها الأحبةُ في اللهِ: ما أحوجَ الأمةَ في أيامِ محنِها وشدائدِها، وأيامِ ضعفِها وتيهِها إلى وقفاتٍ عند مناسباتِها في أعيادِها وعباداتِها تستلهم العبرَ، ويتجددُ فيها العزمُ على المجاهدةِ الحقةِ ويعمُّ فيها التوجهُ على محاربةِ كلِّ بغيٍ وفسادٍ. . ما أحوجها إلى دروس تستعيدُ فيها كرامتَها، وتردُّ على من يريدُ القضاءَ على كيانِها.

إن قضيةَ القضايا وأصلَ الأصولِ كلمةُ التوحيدِ وشعارُ الإسلام وعلَمُ الملةِ (لا إله إلا الله) كلمةٌ تُخلعُ بها جميعُ الآلهةِ الباطلةِ من دونِ اللهِ، فيها نبذٌ لأمرِ الجاهليةِ كلِّه. . إثباتُ العبادةِ لله وحده لا شريكَ له. فالله هو الخالقُ وحدَه وما سواه مخلوقٌ، وهو الرازقُ وما سواه مرزوقٌ. . وهو القاهرُ وحده وما سواه مقهورٌ. . هذا هو دليلُ التوحيدِ وهذا هو برهانه ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠] والأمواتُ قد أفضوا إلى ما قدَّموا ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

ومن قضايا ديننا الأصيلةِ أن الناسَ متساوونُ في التكاليفِ حقوقاً وواجباتٍ، لا فرقَ بين عربيٍّ ولا عجمي إلا بالتقوىٰ.. لا تفاضلَ في نسبٍ، ولا تمايزَ في لونٍ.. فالنزعاتُ العنصريةُ والنعراتُ الوطنيةُ والعصبياتُ القبليةُ ضربٌ من الإفكِ ومسالكِ الجاهليةِ.

ومن الواقعِ الرديءِ في عصرِنا المعاصرِ أن توصفَ حضارةُ اليوم بحضارةِ العنصرياتِ والقومياتِ. والدولُ الموصوفةُ بالتقدم تضمِرُ في نفسِها احتقاراً لأبناءِ القاراتِ الأخرىٰ، ولـم تفلـحْ المواثيقُ النظريةُ ولا التصريحاتُ الخطابيةُ، فإنك ترى هذا التمييزَ يتنفسُ بقوةٍ من خلالِ المجالاتِ السياسيةِ والميادينِ الاقتصاديةِ والقضايا الاجتماعية، ويأتي كتابُ ربِّنا ليدحضَ كلَّ ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

ويأتي نبيُّنا محمدٌ ﷺ ليعلَن منذ مئاتِ السنينَ ضلالَ هذا المسلكِ: **«أيها الناسُ إن ربّكم واحدٌ وإن أباكم واحدٌ.. كلُّكم لآدمَ.. وآدمُ من ترابٍ، وإن أكرَمكم عند اللهِ أتقاكم، ليس لعربيٍّ فضلٌ على عجميٍّ إلا بالتقوىٰ»**[1].

اللهُ أكبـرُ اللهُ أكبـرُ، لا إلـه إلا اللهُ واللهُ أكبـرُ، اللهُ أكبـرُ وللهِ الحمدُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد (٣/ ٢٦٦).

أيها المسلمون: أمةٌ شرّفها اللهُ بالإسلامِ، فكيف ترضىٰ غيرَه بديلاً.. كيف يحلو لها أن تتخلفَ عنِ السيرِ تحتَ لوائِه، وترضىٰ أن تُقادَ ذليلةً تحتَ ألويةِ الجاهليةِ.. ليس إلا الإسلامُ جامعاً للقلوبِ المتنافرةِ، وليس غيرُ الدين مؤلفاً بين هذه الشعوبِ المتناثرةِ.. جامعةٌ إسلاميةٌ تتضاءلُ أمامها الثاراتُ القبليةُ، والدعواتُ العنصريةُ، والانتماءاتُ الحزبيةُ.. به تتلاشىٰ كلُّ دعاوىٰ الجاهليةِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: ألم تستبنْ الأمةُ بعد طولِ هذه المعاناةِ وبعد هذا التمزقِ المخزي في سراديبَ مظلمةٍ وطرقٍ ملتويةٍ.. ألم تستيقنْ أن التخلِّي عن دينِها هو الانتحارُ والدمارُ، وهو قرةُ عينِ الاستعمارِ؟!.

إننا إذا رُمنا صلاحاً فيجبُ أن يبدأَ الإصلاحُ من الداخلِ.. يجبُ إيقافُ حركةِ التمزيقِ الفكري والروحي.. يجبُ القضاءُ على الانهزامُ النفسيِّ في مجالاتِ التربيةِ والمناهجِ والإعلامِ.. لقد جربَ المسلمون في هذه الأعصارِ وفي كثيرٍ من الأمصارِ مناهجَ ومشاربَ، وتعددتْ منهم مسالكُ ومذاهبُ، فلم يصحَّ لهم منها شيءٌ، ولم تغنهم لا قليلاً ولا فتيلاً.. بل كلُّها طريقٌ إلى التمزقِ والتبارِ.

لا طريقَ إلا صراطُ اللهِ، ولا نهجَ إلا نهجُ المصطفىٰ محمدٍ رسولِ اللهِ ﷺ.

أيها المسئولون.. أيها الدعاةُ.. أيها المربون: يجبُ إحياءِ الإخوةِ الإسلاميةِ ودعائمِ الحبِّ في اللهِ.. تلتقي الأمةُ بفئاتِها

وجماعاتِها على العقيدةِ الحقةِ، ونصرةِ دينِ اللهِ. . الولاءُ للإسلامِ وحدَه، يستعلي هذا الولاءُ على كلِّ انتماءٍ أو انتسابٍ.

إن جميعَ الحروبِ المعلنةِ على المسلمين: ساخنِها وباردِها، عسكريِّها وفكريِّها، كلُّها باسمِ الدينِ، ولا يكونُ الانتصارُ عليها إلا بالتمسكِ بالدينِ.

يجبُ أن يكونَ الاهتمامُ بقضايا المسلمين الكبرى وشئونِهم العامةِ، فلا تضيَّعُ الأوقاتُ بمسائلَ ومجادلاتٍ لا تُحلُّ بها للمسلمين مشكلاتٌ. ويجبُ أن تُطرحَ القضايا على بساطِ البحثِ بين المختصين، ويُبذلُ الجهدُ في تمييز الصوابِ من الخطأِ، والراجح من المرجوحِ، ويحترمُ رأيَّ كلِّ مجتهدٍ، سواءٌ كان مخطئاً أو مصيباً. والتحاملُ على المجتهدِ وتجريحُه مسلكٌ في الدينِ منكورٌ، وخطأُ المجتهدِ لا يبيحُ النيلَ من عرضِه. . ولا يسوِّغُ أبداً تلمسَ المعايبِ للبرآء، والتشهي بإلصاقِ التهمِ بالناس، وكما تستغفرُ لخطأِ نفسِك، فاستغفرْ لخطأِ أخيك: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾ [الأعراف: ١٥١].

إن على أهلِ العلمِ والدعوةِ والتربيةِ أن يعلموا أن الحقَّ ليس حِكراً على مسلكٍ وليس محصوراً في رأي بشرٍ، والخلافُ في الرأي لا يجوزُ أن يكون مصدرَ لجاجةٍ أو غضبٍ، فذلك قائدٌ إلى فسادِ المقاصدِ والخللِ في الغاياتِ.

إن حقَّ النقدِ وإبداءِ الملاحظاتِ لا يجعلُ الحقَّ حِكراً على الناقدِ. . لماذا يتحولُ الخلاف في وجهاتِ النظرِ إلى عنادٍ

شخصيٍّ وانتصارٍ ذاتي، ثم إلى عداءٍ ماحقٍ للدينِ والدنيا؟!.

والأدهىٰ والأمرُّ أن يبدأَ الخلافُ في فرعيةٍ صغيرةٍ، ثم يرقىٰ إلى الاتهام في أصولِ الإسلام وقواعدِ الديانةِ، ويترقىٰ في الجزئياتِ إلى التشكيكِ في المقاصدِ والنياتِ.. هناك من يوغلُ في النقدِ والجدلِ حتى يدخلَ في دائرةِ التجريحِ والغيبةِ، وتتبعِ الزلاتِ والعثراتِ من غيرِ فقهٍ في واجبِ النصحِ، وحسنِ الظنِّ، وأقدارِ الرجالِ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

وإن من النصفِ في القولِ أيها الإخوةُ أن ينظرَ العلماءُ والدعاةُ في الأولوياتِ.. ينظرون في الأهمِّ ثم المهمِّ.. فالأصولُ غيرُ الفروعِ.. والسنةُ غيرُ الواجبِ.. والمكروهُ غيرُ الحرامِ، فلكلٍّ قيمتُه ووزنُه، ولكلٍّ موقعُه وأثرُه، ومن كان ذا فكرٍ محصورٍ وإدراكٍ ضيقٍ وعلمٍ قليلٍ فإن الموازينَ عنده تختلُّ، ولديه الأولوياتُ تختلطُ، وقد ينحدرُ في التعصبِ المقيتِ والانحيازِ المذمومِ لرأيٍ أو عالمٍ أو فئةٍ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أيها الإخوةُ: وكما يُنكَرُ الغلوُّ في الدينِ والتعصبُ للرأي يُنكَرُ التسيبُ والتهتكُ فلا إفراطَ ولا تفريطَ، وكما يُطالَبُ الدعاةُ بالاعتدالِ والحكمةِ يطالبُ المدعوون بالبعدِ عن التذبذبِ والتناقضِ.

لقد تفتحتْ أعينُ كثيرٍ من الغيورين بعدَ عهودِ الاستعمارِ على واقعٍ غيرِ سارٍّ في كثيرٍ من ديارِ الإسلامِ .. استُبيحَ الحمىٰ ونُهبتْ الديارَ، وتركَ آثاراً غليظةً: فكريةً ونفسيةً، ووقعُ كثيرٍ من بلادِ المسلمين في أزماتٍ ماديةٍ ومعنويةٍ خانقةٍ .. تداعتْ عليها الذئابُ المسعورةُ، ومزقتهم السياساتُ المشئومةُ .. استُجلبتْ نظمٌ وثقافاتٌ لا تمتُّ إلى الإسلامِ بصلةٍ .. صورٌ كثيرةٌ من الضياعِ واللامبالاةِ تمتلىءُ بها مواقعُ كثيرةٌ من الساحةِ .. مناهجُ في التربيةِ مضطربةٌ .. مظاهرُ للكاسياتِ العارياتِ المائلاتِ المميلاتِ، وفوق كلِّ ذلك دعواتٌ سافرةٌ لإلحادٍ وعلمانيةٍ وإباحيةٍ، ومظاهرُ زندقةٍ ونفاقٍ .. ألِفَ جمهورٌ منهم الربا والزنا والخمرَ واللهوَ المحرمَ .. مردوا على إضاعةِ الصلواتِ واتباعِ الشهواتِ .. ينكرُ منكرُهم أن يكونَ للإسلامِ تدخلٌ في شئونِ التشريعِ، أو نظرٌ في قضايا المجتمعِ، ويستنكرُ أن يكونَ الولاءُ للهِ ولرسولِه ولدينِه مُقدَّماً على الولاءِ للعنصرِ أو الترابِ .. ينكرون أن تكون قواعدُ التربيةِ والسلوكِ مقرونةً بشعائرِ التعبدِ والخضوعِ للهِ ربِّ العالمين.

هذه نماذجُ من مواقفِ الخورِ والجبنِ ومظاهرِ الانهزامِ النفسيِ، وآثارِ حروبِ التشكيكِ والشبهاتِ والشهواتِ.

في هذه الأجواءِ ظهرتْ نداءاتٌ مخلصةٌ ودعواتٌ صادقةٌ وتطلعاتٌ مؤمنةٌ ترنو إلى الدينِ منقذاً وهادياً وإلى الإسلامِ موحداً وجامعاً، صاحَبَها اجتهاداتٌ جادةٌ وتوجهاتٌ محمودةٌ، وقد يكونُ صاحبَها بعضٌ من تعجلٍ، وزيادةٌ من حماسٍ، هي ردودُ فعلٍ على قدرِ الفعلِ، غير أن ذلك لا يجوزُ أن يكونَ سبيلاً إلى غمطِ

الحقوقِ وأهلِ الصوابِ، فلقد أخطأَ فيهم أناسٌ فظنوا بهم غيرَ الحقِّ، وأصدروا مرئياتٍ ومواقفَ تنقصُها الرويةُ والتأني.

وإنَّ منْ لم يعشْ للإسلامِ ودعوتِه ولم يهتمَّ بقضايا أمتهِ، ولم تشغلْه همومُها ومآسيها .. وكأنَّه لم يعشْ إلا لنفسِه ومصالِحه الشخصيةِ الضيقةِ .. كيف يكونُ مؤهلاً للقولِ النَّصَفِ والحكمِ العدلِ؟!!.

اللهُ أكبرُ. اللهُ أكبرُ. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ. اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

أيها الإخوةُ: لعل بهذه الإشاراتِ والإلمحاتِ تكون بداياتٌ صحيحةٌ للإصلاحِ، ولمِّ الشملِ، ورأبِ الصدعِ الفكريِّ، والعلوِّ بالنفسِ إلى قصدِ الحقِّ وحدَه.

إن الاستمساكَ الحقَّ بالإسلامِ يصبَغُ في المسلم السريرةَ ويحفظهُ في المسيرة.. يستمسكُ بحبلِ اللهِ، يحبُّ في اللهِ، ويبغضُ فيه، ويعطي من أجلِه ويمنعُ، يخاصمُ فيه ويسالمُ، ويعتزلُ ويخالِلُ. إن للدين آثاراً في الأخلاقِ والأعمالِ ظاهرةً، لا تملُّقَ ولا مداهنةَ، ولا غشَّ ولا خيانةَ ولكن رأفةٌ بالمؤمنين ورحمةٌ.

ألا فاتقوا اللهَ أيها الأحبةُ.. فإن الدعوةَ إلى دينِ اللهِ وردَّ الأمةِ إلى الجادةِ مسئوليةٌ كبرىٰ يتحملها قادةٌ حاكمون، ومربون مخلصون، وشبابٌ متدفقٌ، وشيوخٌ مجربون. سدَّد اللهُ الخطىٰ، وباركَ في الجهودِ، وتقبلُ من الجميع صالحَ الأقوالِ والأعمالِ، وغفرَ الذنوبِ، وسترَ العيوبَ، فهو الغفورُ الرحيمُ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ.. اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

# خطبة عيد الفطر المبارك
# المناسبات وهموم الأمة

## الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعا) اللهُ أكبرُ أوجدَ الكائناتِ بقدرتِه فاتقنَ ما صنعَ. . اللهُ أكبرُ شرَعَ الشرائعَ فأحكم ما شرعَ. . الله أكبرُ لا مانعَ لما أعطىٰ ولا معطيَ لما منعَ.

الحمدُ للهِ وكفىٰ، وسلام على عبادِه الذين اصطفىٰ. . الحمد للهِ أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، أحمدُه سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، تكفلَ لكلِّ حيٍّ برزقِه، وأشهد أن سيدنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه. . مصطفاه من رسلِه ومجتباه من خلقِه. . صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ. . لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ. . اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: لقد كان من وافرِ حظِّ الإسلامِ وعنوانِ سعادتِها وكرامةِ اللهِ لها تهيئةُ زمنِ الكسبِ المبرورِ لصرفِ لحظاتِ العمرِ وسويعاتِ الحياةِ في سبُلِ الطاعاتِ ومسالكِ

الخيراتِ. . سعيٌ حثيثٌ للتزودِ من الباقياتِ الصالحاتِ.

ولقد كان شهرُكم شهرُ رمضانَ المباركُ ميداناً للتنافس شريفاً اجتهدَ فيه أقوامٌ. . جعلوا رضا اللهِ فوقِ أهوائِهم، وطاعَتَه فوقَ رغباتِهم. . أذعنوا لربِّهم في كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ.

لقد صاموا شهرَهم وحافظوا على صيامِهم فعَظُمَ في ربِّهم رجاؤُهم، وقصَّرَ آخرون فأضاعوا أوقاتَهم وخسِروا أعمالُهم، ما حجبَهم إلا الأهمالُ والكسلُ والتسويفُ وطولُ الأملِ.

والأدهىٰ من ذلك والأمرُّ أن يوفق أناسٌ لعملِ الطاعاتِ والتزودِ في فرصِ الخيراتِ، حتى إذا ما انتهىٰ الموسمُ نقضوا ما أبرموا، وعلى أعقابِهم نكصوا. . أين دروسُ الصلاحِ والطهرِ والاستقامةِ والتقىٰ من هذا الشهرِ الكريمِ؟!.

إن استدامةَ العبدِ على النهجِ المستقيم والمداومةَ على الطاعةِ من غيرِ قَصْرٍ على وقتٍ بعينِه أو شهرٍ بخصوصِه أو مكان من أعظمِ البراهين على القبولِ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]، ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وإن من مظاهرِ الإحسانِ ومواصلةِ العملِ الصالح والتوديع بالحسنىٰ إخراجَ زكاةِ الفطرِ حيث تأتلفُ القلوبُ ويتعاطَفُ الغنيُّ مع الفقيرِ. . فُرضتْ طهرةً للصائم وطعمةً للمساكينِ. . وما اشتكىٰ فقيرٌ إلا بقدرِ ما قصَّرَ غنيٌّ، ومقدارُها صاعٌ من طعامٍ من غالبِ قوتِ البلدِ كالأرزِ والبرِّ والتمرِ عن كلِّ مسلمٍ، ووقتُ إخراجِها الفاضلُ يومُ العيدِ قبلَ الصلاةِ. . فأخرجوها رحمكم الله طيبةً بها نفوسُكم. . تُكفُّ بها يدُ المسكينِ عن الطلبِ ويستغنىٰ

بها عن المسألةِ.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ.. لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ. اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: ومن مظاهرِ الإحسانِ بعد رمضانَ الإحسانُ في العيدِ.. فالعيدُ موسمُ بهجةٍ بعدَ أداءِ الفريضةِ.

وقد قيل: من أراد أن يرىٰ أخلاقَ الأمةَ فليراقبْها في أعيادِها.. إذ تنطلقُ فيه السجايا على فطرتِها، وتبرزُ العواطفُ والميولُ والعاداتُ على حقيقتِها، والمجتمعُ السعيدُ الصالحُ هو الذي تسمو أخلاقُه في العيدِ إلى أرفع ذروةٍ، وتمتدُّ فيه مشاعرُ الإخاءِ إلى أبعدِ مدىٰ.. حيث يبدو المجتمعُ في العيدِ متماسكاً متعاوناً متراحماً.. تخفقُ فيه القلوبُ بالحبِّ والودِّ والبرِّ والصفا.

إن العيدَ في الإسلام ـ أيها الإخوةُ ـ غبطةٌ في الدينِ والطاعةِ، وبهجةٌ في الدنيا والحياةِ، ومظهرٌ للقوةِ والإخاءِ.. إنه فرحةٌ بانتصارِ الإرادةِ الخيِّرةِ على الأهواءِ والشهواتِ، والخلاصِ من إغواءاتِ شياطينِ الإنس والجنِّ، والرضا بطاعةِ المولىٰ، والوعدِ الكريمِ بالفردوسِ، والنَجاةِ من النارِ.

في الناسِ ـ أيها الإخوةُ ـ من تطغىٰ عليه فرحةُ العيدِ فتستبدَّ بمشاعرِه ووَجدانِه لدرجةٍ تنسيه واجبَ الشكرِ والاعترافِ بالنعمِ، وتدفعُه إلى الزهوِّ بالجديدِ، والإعجابِ بالنفس حتى يبلغَ درجةِ المخيلةِ والتباهي. وما علم هذا المتباهي أن العيدَ قد يأتي على أناسِ قد ذلُّوا من بعد عزٍّ، فتهيجَ في نفوسِهم الأشجانُ، وتتحركَ في صدورِهم كثيرٌ من الأحزانِ.. ذاقوا من البؤسِ ألواناً بعد رغدِ

العيشِ، وتجرعوا من العلقمِ كيزاناً بعد وفرةِ النعيم، فاعتاضوا عن الفرحةِ بالبكاءِ، وحلَّ محلَّ البهجةِ الأنينُ والعناءُ.. أما نظر هؤلاء في الإطفالِ والأيامىٰ في البوسنةِ والهرسكِ، ومشردي بورما والصومالِ؟؟. كم من يتيم ينشدُ عطفَ الأبوةِ الحانيةِ، ويتلمسُ حنانُ الأمِّ الرؤوم.. يرنو إلى من يمسحُ رأسَه، ويخففُ بؤسَه.. كم من أرملةٍ توالتْ عليها المحنُ.. فقدتْ عشيرَها تذكرتْ بالعيدِ عزاً قد مضىٰ تحت كنفِ زوجٍ عطوفٍ، كلُّ أولئك وأمثالُهم قد استبدلوا بعد العزِّ ذلاًّ، وبعد الرخاءِ والهناءِ فاقةً وفقراً.

فحقٌّ على كلِّ ذي نعمةٍ ممن صام وقام أن يتذكرَ هؤلاء.. فيرعىٰ اليتامىٰ، ويواسي الأيامىٰ، ويرحمَ أعزاءَ قومٍ قد ذلُّوا، وغرباءَ قد شُرِّدوا.

كم هو جميلٌ أن تظهرَ أعيادُ الأمةِ بمظهرِ الواعي لأحوالِها وقضاياها، فلا تحولُ بهجتُها بالعيد دون الشعورِ بمصائبِها التي يرزخُ تحتها فئامٌ من أبنائِها حيثُ يجبُ أن يطغىٰ الشعورُ بالإخاءِ قوياً، فلا تُنسىٰ البوسنةُ والهرسكُ، ولا تُنسىٰ فلسطينُ، ولا الصومالُ والفلبينُ والإخوةُ في الهندِ وكشميرَ، ولا أراضٍ للمسلمين أخرىٰ منكوبةٌ بمجاهديها وشهدائِها، بيتاماها وأراملِها.. بأطفالِها وأسراها.. لماذا يُتركون يستجدون أممَ الأرضِ لقمةً وكساءً، وخيمةً وغطاءً.. وفي المسلمين أغنياءُ وموسرون؟!.

وكم هو جميلٌ أن يقارنُ الفرحَ بالعيدِ وبهجتِه السعيُ في تفريجِ كربةٍ، وملاطفةِ يتيم، ومواساةِ ثكلىٰ.. يقارنُه تفتيشٌ عن أصحابِ الحوائجِ.. فإن لم تستطعِ خيلاً ولا مالاً؛ فاسعفْهم

بكلمةٍ طيبةٍ، وابتسامةٍ حانيةٍ، ولفتةٍ طاهرةٍ من قلبٍ مؤمنٍ.

إنك حين تأسو جِراحَ إخوانِك إنما تأسو جراحَك، وحين تسدُّ حاجةَ جيرانِك إنما تسدُّ حاجةَ نفسك: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن الابتهاجَ بالعيدِ نعمةٌ لا يستحقُّها إلا الشاكرون، وما الشكرُ عليها إلا صمودٌ لنوائبِ الدهرِ، ويقظةٌ لدسائسِ العدوِّ، وعمارةٌ للأرضِ بنشرِ دينِ اللهِ.

ومن هنا أيها الإخوةُ: فإن أعيادِ المسلمين يشاركُ فيها حقَّ المشاركةِ، ويبتهجُ فيها صدقَ الابتهاجِ أهلُ الطاعاتِ من الصائمين والقائمين والركع السجودِ.. أما من لم يصمْ عاصياً للهِ، ولم يقمْ بما أوجبَ اللهُ عليه؛ فلا عيدَ له ولا بهجةَ.

العيدُ مناسبةٌ لإطلاقِ الأيدي الخيِّرة في مجالِ الخيرِ حيث تعلو البسمةُ الشفاةَ وتغمرُ البهجةُ القلوبَ.. مناسبةٌ لتجديدِ أواصرِ الرحمِ في الأقرباءِ، والودِّ مع الأصدقاءِ.. تتقاربُ القلوبُ على المحبةِ، وتجتمعُ على الألفةِ، وترتفعُ عن الضغائنِ.

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، وودِّعوا شهرَكم، وابتهجوا بعيدِكم بالبقاءِ على العهدِ، واتباع الحسنةِ الحسنةِ، فذلك من علاماتِ قبولِ الطاعاتِ، وقد ندَبكَم نبيُّكم محمدُ ﷺ بأن تُتْبعوا رمضانَ بستٍ من شوالٍ، فمن فعلَ ذلك فكأنما صامَ الدهرَ كلَّه[1] تقبلُ اللهَ منا ومنكم الصيامَ والقيامَ وسائرَ الطاعاتِ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٢٢ ـ ح١١٦٤).

# خطبة عيد الأضحى
# وقفات مع خطبة الوداع

## الخطبة الأولى

اللهُ أكبرُ (تسعاً)، اللهُ أكبرُ خلقَ الخلقَ وأحصاهم عدداً، وكلُّهم آتيه يومَ القيامة فرداً، الله أكبرُ عزَّ سلطانُ ربِّنا، وعمَّ إحسانُ مولانا، عنت الوجوهُ لعظمتِه، وخضعت الخلائقِ لقدرتِه. اللهُ اكبرُ عددَ ما ذكره الذاكرون، واللهُ أكبرُ كلما هلل المهللون وكبَّر المكبرون. الله أكبرُ ما أحرموا بالحجِّ والعمرةِ ملبين، وقصدوا هذا البيتَ الأمين، فطافوا وسعوا وشربوا من زمزمَ، وصلوا خلفَ المقام، وفي الحِجْرِ والتزموا الملتزمَ. الله أكبرُ كبيراً، والحمدُ للهِ كثَيراً، وسبحانَ اللهِ بكرةً وأصيلاً.

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبةُ للمتقين، والحمدُ لله وكفىٰ، وسلامٌ على عبادِه الذين اصطفىٰ، أحمدُه سبحانه وأشكره، لا أحصي ثناءً عليه، فتح أبوابَه للتائبين، ورحمتُه قريبٌ من المحسنين. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، إلهَ الأولين والآخرين، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين، أدى رسالةَ ربِّه، ونصحَ أمتَه، وبلَّغَ البلاغَ المبين ـ صلى اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى صحابته أجمعين، ومن دعا بدعوتِهم واهتدى بهديهم إلى يومِ الدينِ، وسلم تسليماً كثيراً.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: هاهم حجاجُ بيتِ اللهِ يخطون خطواتِهم على هذه الأرضِ الطيبةِ الآمنةِ بأمانِ اللهِ، ثم بيقظةِ مسئوليها، هذه الأرضِ التي تحكي تاريخَ الإسلامِ المجيدِ، تاريخَ نشأةِ هذا الدينِ في هذه البطاحِ. قصةَ الانتصارِ والكفاحِ، سيرةَ النماذجِ المثاليةِ العاليةِ، ومصارعَ الشهداءِ في سبيلِ الحقِّ، بلدٌ وتاريخٌ، قفزتْ فيه البشريةُ إلى أبعدِ الآفاقِ، ديناً ودنيا، علماً وعملاً فقهاً وخلقاً.

أرضٌ طيبةٌ، وجوٌ عابقٌ، تزدحمُ فيه هذه المناظرُ والمشاهدُ، حيةً نابضةً، تختلطُ فيه مشاعرُ العبوديةِ، وأصواتُ التلبيةِ، والإقبالِ على الربِّ الرحيمِ.

في هذه الأجواءِ يغمرُ قلبَ المتأملِ، شعورٌ كريمٌ فياضٌ، بإنتماءِ أفرادِ هذه الأمةِ إلى هدفٍ واحدٍ وغايةٍ واحدةٍ، إنها أمةُ محمدٍ ﷺ، ودينُها دينُ الإسلامِ دينُ اللهِ ربِّ العالمين.

ما أحوجَ الأمةَ في أيامِ محنِها وشدائدِها، وأيام ضعفِها وتيهِها، إلى دروسٍ من تاريخِها تتأملُها، وإلى وقفاتٍ عند مناسبَتِها، تستلهمُ منها العبرَ، ويتجددُ فيها العزمُ على الجهادِ الحقِّ، ويصحُّ فيها التوجُه على محاربةِ كلِّ بغيٍ وفسادٍ.

ما أحوجَها إلى دروسٍ تستعيدُ فيها كرامتَها، وتردُّ على من يريدُ القضاءِ على كيانِها.

وإن في حَجَّةِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ الوداعيةِ التوديعيةِ لعبراً ومواعظَ، وإن في خُطبِها لدروساً جوامعَ.

فلقد خطبَ عليه الصلاة والسلام خُطباً في موقفِ عرفةُ، ويوم الحجِّ الأكبرِ وأيامِ التشريقِ ـ أرسىٰ فيها قواعدَ الإسلام، وهدمَ مبادىءَ الجاهليةِ، وعظَّمَ حرماتِ المسلمين. خطبَ الناسَ وودعَهم، بعد أن استقرَّ التشريعُ، وكمُلَ الدينُ، وتمتْ النعمةُ، ورضي اللهُ هذا الإسلام ديناً للإنسانيةِ كلِّها، لا يَقبلُ من أحد ديناً سواه: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]. ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

ألقىٰ نبيُّكم محمدٌ ﷺ في هذا المقامِ العظيمِ كلماتٍ جامعةً موجزةً، تحكي المبادىءَ الكبرىٰ لهذا الدينِ.

وأنبياءُ الله حين يبلغون رسالاتِ الله ليسوا تجارَ كلام، ولا عارضي أساليبَ، فكلماتُهم قوالبُ حقٍّ وأوعيةُ معانٍ، وشفاءٌ لما في الصدورِ، ودواءٌ لما في القلوبِ.

في حجةِ الوداعِ ثبّتَ النبيُّ ﷺ في نفوسِ المسلمين أصولَ الديانةِ، وقواعدَ الشريعةِ، ونبَّه بالقضايا الكبرىٰ على الجزئياتِ الصغرىٰ.

ولقد كانتْ عباراتٍ توديعيةٍ بألفاظِها ومعانيها وشمولِها وإيجازِها، استشهدَ الناسَ فيها على البلاغِ.

كان ﷺ من خلال تبليغه كلماتِ ربِّه يمتلىءُ حباً ونصحاً وإخلاصاً ورأفةً: ﴿ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٣].

لقد عانىٰ وكابد من أجلِ إخراجِهم من الظلماتِ إلى النورِ، حتى صنعَ منهم ـ بإذنِ ربِّه ـ أمةً جديدةً، ذاتَ أهدافٍ واضحةٍ، ومبادىءَ ساميةٍ، هداهم من ضلالٍ، وجمعهم بعدَ فُرقةٍ، وعلَّمهم بعد جهلٍ.

أيها الإخوةُ في اللهِ، إخواني حجاجَ بيتِ اللهِ:

وهذه وقفاتٌ مع بعضِ هذه الأسسِ النبويةِ، والقواعدِ المصطفويةِ، والأصولِ المحمديةِ.

إن أولَ شيءٍ أكدَ عليه في النهي من أمرِ الجاهليةِ الشركُ باللهِ، فلقد جاءَ بكلمةِ التوحيدِ (لا إله إلا اللهُ) شعارِ الإسلامِ وعَلَمِ الملةِ، كلمةٌ تُخْلَع بها جميعُ الآلهة الباطلةِ، ويَثْبُتُ بها استحقاقُ اللهِ وحدَه للعبادةِ.

فالله هو الخالقُ وما سواه مخلوقٌ، وهو الرازقُ وما سواه مرزوقٌ، وهو القاهرُ وما سواه مقهورٌ. هذا هو دليلُ التوحيدُ وطريقُه: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الروم: ٤٠].

والأمواتُ قد أفضوا إلى ما قدَّموا، لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر: ١٤].

ومن القضايا المثارةِ في الخطابِ النبويِّ التقريرُ بأن الناسَ متساوون في التكاليفِ حقوقاً وواجباتٍ، لا فرقَ بين عربيٍّ ولا عجميٍّ إلا بالتقوىٰ، لا تفاضلَ في نسبٍ، ولا تمايزَ في لونٍ،

فالنزاعاتُ العنصريةُ والنعراتُ الوطنيةُ ضربٌ من الإفكِ والدجلِ.

ومن الواقعِ الرديءِ في عصرنا أن توصفَ حضارةُ اليومِ بحضارةِ العنصرياتِ والقومياتِ. والشعوبُ الموصوفةُ بالتقدمِ تضمُر في نفسِها احتقاراً لأبناءِ القاراتِ الأخرى، ولم تفلحْ المواثيقُ النظريةُ، ولا التصريحاتُ اللفظيةُ، فإنك ترى هذا التميزَ يتنفسُ بقوةٍ من خلالِ المجالاتِ السياسيةِ والاقتصاديةِ والاجتماعيةِ.

ويأتي نبيُّنا محمدٌ ﷺ لينبه منذُ مئاتِ السنينِ على ضلالِ هذا المسلكِ، ويعلنُ في ذلك المشهدِ العظيمِ: «**أيها الناسُ إن ربّكم واحدٌ، وإن أباكم واحدٌ، كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من ترابٍ، وإن أكرمُكم عند الله أتقاكم، ليس لعربيٍّ فضلٌ على عجميٍّ إلا بالتقوىٰ**» وفي روايةٍ عند الطبراني عن العَدَّاءِ بن خالدٍ قال: قعدتُ تحت منبرِه ﷺ يومَ حجةِ الوداعِ، فصعِدَ المنبرِ فحمدَ اللهَ، وأثنىٰ عليه وقال: «**إن اللهُ يقول:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[الحجرات: ١٣] **فليسَ لعربيٍّ على عجميٍّ فضلٌ، ولا لعجميٍّ على عربيٍّ فضلٌ، ولا لأسودَ على أحمرَ فضلٌ، ولا لأحمرَ على أسودَ فضلٌ إلا بالتقوىٰ. يا معشرَ قريشٍ لا تجيئوا بالدنيا تحملونَها على رقابكم، وتجيءُ الناسُ بالآخرةِ، فإني لا أغني عنكم من اللهِ شيئاً. أيها الناسُ إن اللهُ قد أذهبَ عنكم عِبِّيَةَ**[1] **الجاهليةِ وتعاظمَها بآبائِها فالناسُ رجلان: رجلٌ تقيٌّ كريمٌ**

---

(١) عِبِّيَّة الجاهلية: الكِبر والفَخر والنخوة.

**على اللهِ، وفاجرٌ شقيٌّ هينٌ على اللهِ، والناسُ بنو آدمَ، وخَلق اللهُ آدمَ من ترابٍ»**[1] رواه الترمذيُّ واللفظُ له، وأبوداودَ وغيرُهما. اللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ، لا إله إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

معاشرَ الحجاجِ أيها الأحبةُ: حفظُ النفوسِ وصيانةُ الدماءِ قضيةٌ خطيرةٌ يثيرها خطابُ الرسولِ عليه السلامُ إلى الأمةِ في كلماتِه التوديعيةِ التأصيليةِ: ذلكم أن حكمَ القصاصِ في النفسِ والجراحاتِ، كان من حِكَمِهِ التشريعيةِ: زجرُ المجرمين عن العدوان.

وقد عَجَزتْ الأممُ المعاصرةُ بتقدُّمِها وتقنيةِ وسائِلها أن توقفَ سيلَ الجرائمِ، وإزهاقَ النفوسِ، وزادَ سوءُها وانكشفتْ سوأتَها، حين ألغتْ عقوبةِ الاقتصاصِ من المجرمينَ، واكتفتْ بعقوباتٍ هزيلةٍ بزعمِ استصلاحِ المجرمين، وما زاد المجرمين ذلك إلا عتواً واستكباراً في الأرضِ ومكرَ السَّيِّء. ولكنه في شرعِ محمدٍ ﷺ محسومٌ بالقصاصِ العادلِ: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩] إن في القصاصِ حياةً حين يكفُّ من يَهمُّ بالجريمةِ عن الإجرام، وفي القصاصِ حياةٌ حين تُشفىٰ صدورُ أولياءِ القتيلِ من الثأرِ الذي لم يكنْ يقفُ عند حدٍ لا في القديمِ ولا في الحديثِ. ثأرٌ مثيرٌ للأحقادِ العائليةِ، والعصبياتِ القبليةِ، يتوارثُه الأجيالُ جيلاً بعد جيلٍ، لا تكفُّ معه الدماءُ عن المسيلِ.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٤١١)، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح انظر مجمع الزوائد (٣/٢٦٦)، ورواية الطبراني أخرجها الطبراني في الكبير (١٨/١٣ ـ ح١٦)، والترمذي (٥/٣٦٣ ـ ح٣٢٧٠)، وأبوداود (٤/ ٣٣١ ـ ح٥١١٦) بالمعنى.

ويأتي حسمٌ عمليٌّ ومباشرةٌ تطبيقيةٌ من محمدٍ ﷺ في هذا الموقفِ العظيمِ، وفي إلغاءِ حكمٍ جاهليٍّ في مسألةِ الثأرِ، فاستمعْ إليه وهو يقولُ: «**ألا كلُّ شيءٍ من أمرِ الجاهليةِ تحتَ قدميَّ موضوعٌ، ودماءُ الجاهليةِ موضوعةٌ، وإن أولَ دمٍ أضعُ من دمائِنا دمَ ابنِ ربيعةَ بن الحارثِ. كان مُسترضَعاً في بني سعدٍ فقتلته هذيلٌ**»[1].

أيها الإخوةُ، إن في القصاصِ والحدودِ وأحكامِ الجناياتِ في الشريعةِ، حياةً ورحمةً، حياةً أعمَّ وأشملَ، حياةً تَشملُ المجتمعَ كلَّه، رحمةٌ واسعةٌ غيرُ مقصورةٍ على شفقةٍ ورِقَّة تَنْبُتُ في النفس نحو مستضعفٍ أو أرملةٍ أو طفلٍ، ولكنها رحمةٌ عامةٌ للقويِّ والضعيفِ والقريبِ والبعيدِ، والأمنُ المبسوطُ في بلادِ الحرمين خيرُ شاهدِ صدقٍ لقوم يتفكرون، اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ لا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

معاشرَ الإخوةِ، أما قضيةُ المرأةِ، وما أدراكَ ما قضيةُ المرأةِ، وكأنها قضيةُ كلِّ عصرٍ وكلِّ جيلٍ وكلِّ أمةٍ، يأتي الخطابُ النبويُّ في هذا الحشدِ الهائلِ ممن عاصرَ الجاهليةَ، ليضعَ الناسَ على الحقِّ، والطريقِ المستقيمِ.

إن مواريثَ العربِ والجاهليةِ قبلَ الإسلامِ احتقرتْ المرأةَ وازدرتْها بل لعلها رأتْ أنها شرٌّ لابد منه، وفي أمم التقدم المعاصرِ أسفَّتْ بها في شهواتِها إلى مدىً منحطٍ. وإذا كانت

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٩ ـ ح١٢١٨).

مواريثُ الجاهليةِ قد جعلتْ المرأةَ في قفصِ الاتهامِ ومظاهرِ الاستصغارِ، فإن مسلكَ التقدمِ المعاصرِ قد جعلها مصيدةً لكلِّ الآثامِ، ولكنَّ هديَ محمدٍ ﷺ أعطىٰ كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، وحفظَ لكلٍّ نصيبَه: ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ﴾ [النساء: ٣٢] في مسلكٍ وسطٍ، ومنهجٍ عدلٍ، فالنساءُ شقائقُ الرجال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ﴾ [البقرة: ٢٢٨] ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ١٩٥] ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] وفي التوجيه النبويِّ: «**فاتقوا اللهَ في النساءِ، فإنكم أخذتموهنَّ بأمانةِ اللهِ، واستحللتم فروجَهن بكلمةِ اللهِ، ولكم عليهن أن لا يوطِئْنَ فُرُشَكم أحداً تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنَّ ضرباً غيرَ مبرِّحٍ، ولهنَّ عليكم رزقُهن وكسوتُهن بالمعروفِ**»[(١)]. إن إصلاحَ عوجِ المرأةِ راجعٌ إلى زوجِها؛ ليمنعَ العوجَ والنشوزَ، وليعيدَ الاستقرارَ إلى جوانبِ البيتِ في معالجةٍ داخليةٍ.

اللهُ أكبرُ لا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ، اللهُ أكبرُ وللهِ الحمدُ.

وثمةَ وقفةٌ نبويةٌ ـ أيها الإخوةُ ـ في هذا المشهدِ التوديعيِّ العظيم. إنها قضيةُ وَحدةِ الأمةِ، وقضيةُ الخلافِ المذمومِ. يوقِفُ فيها الرسولُ ﷺ أمتَه على أمرٍ حاسمٍ، وموقفٍ جازمٍ: «**وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ اللهِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٨٨٩ ـ ح١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٧١١ ـ ح٤٤٠٦)، ومسلم (٣/ ١٣٠٥ ـ ح١٦٧٩).

«**لا ترجعوا بعدي كفاراً يضربُ بعضُكم رقابَ بعضٍ**». متفقٌ عليه من حديثِ جريرٍ «**ألا إنَّ الشيطانَ قد يئس أن يعبده المصلون؛ ولكن في التحريش بينهم**»[1] رواه مسلمٌ والترمذيُّ واللفظُ له.

إنه تحذيرٌ مبكرٌ من الرؤوفِ الرحيم بالمؤمنين من فناءٍ ذريعٍ، إذا هي استسلمتْ للخلافِ، واسترسلتْ في الغفلةِ عن سننِ اللهِ، والجهلِ بما يَحيكهُ الشيطانُ وإخوانُ الشيطانِ من مؤامراتٍ.

إنها وصايا أودَعها النبيُّ ﷺ ضمائرَ الناس. لا تتضمنُ قضايا فلسفيةً ولا نظرياتٍ خياليةً. مبادىءُ بسطها النبيُّ الكريمُ المبلِّغُ البليغُ في كلماتٍ سهلةٍ سائغةٍ، وإنها على وجازتِها أهدىٰ وأجدىٰ من مواثيقَ عالميةٍ طنانةٍ لا واقعَ لها. ذلك أن قائلها وواصفَها محمداً ﷺ كان عامرَ الفؤادِ بحبِّ الناس، والحرصِ عليهم والرأفةِ بهم. شديدَ التأكيدِ على ربطِهم باللهِ وسننِه وإعدادِهم للقائِه.

وإذا كان الإسلامُ في العهدِ النبويِّ قد دفنَ النعراتِ الجاهليةَ، والعصبياتِ الدمويةَ، والشيطانُ قد يئسَ أن يُعبدَ في ذلك العهدِ، لكننا نخشى تجددَ آمالِه في هذه العصورِ المتأخرةِ. تتجددُ آماله في الفُرقةِ والتمزيقِ. فالعالمُ الإسلاميُّ اليومَ تتوزعُه عشراتُ القومياتِ، وتمشي جماهيرُه تحت عشراتِ الراياتِ، وهي قومياتٌ ذاتُ توجهاتٍ مقيتةٍ. ما جلبتْ لأهلِها إلا الذِّلَّ الصغارَ، والفرقةَ والتمزقَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢١٦٦ ـ ح٢٨١٢)، والترمذي (٤/٢٩١ ـ ح١٩٣٧) وحسنه واللفظ له.

اللهُ أكبـرُ اللهُ أكبـرُ، لا إلـه إلا اللهُ واللهُ أكبـرُ، اللهُ أكبـرُ وللهِ الحمدُ، حجاجَ بيتِ اللهِ، أمةَ الإسلامِ: ما أحوجَ الأمةَ إلى مثلِ هـذه الـدروسِ النبـويـةِ.. أمـا تتكـررُ الـروحُ التي سـادتْ حجـةَ الوداعِ، لكيَ تتشبعَ هذه الكثرةُ العدديةُ للمسلمين اليومَ بكثافةٍ نوعيةٍ، وطاقاتٍ روحيةٍ؟ أما يحجُّ المسلمون ليشهدوا منافعَ لهم تمحو فرقتَهم، وتسوي صفوفَهم، وتردُّ مهابتَهم؟؟.

إن الحجَّ العظيمَ في معناه الكبيرِ يكون فيه الشيطانُ وأعوانُه أصغرَ وأحقرَ. فيَغيظُ أعداءُ اللهِ ويرجعون خاسئين، ناكصين على أعقابِهم مذمومين مدحورين، يغيظُ الكفارَ حين يرون جموعَ هذه الأمةِ، وقد استسلمتْ لربِّها، وأطاعتْ نبيِّها، واجتمعتْ كلمتُها.

فيا أيها الناسُ.. «**اعبدوا ربَّكم ـ كما أوصى نبيُّكم ـ وأقيموا خمسَكم، وصوموا شهرَكم، وأدوا زكاةَ أموالِكم، وأطيعوا ولاةَ أمرِكم؛ تدخلوا جنةَ ربِّكم**»[1].

وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر ولله الحمد.

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٥١)، والترمذي (٢/٥١٦ ـ ح٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وابن حبان (١٠/٤٢٦ ـ ح٤٥٦٣).

# خطبة عيد الأضحى
# وقفات مع خطبة الوداع

## الخطبة الثانية

الله أكبر (سبعاً)، اللهُ أكبرُ أوجدَ الكائناتِ بقدرتِه فأتقنَ ما صنعَ، الله أكبر شرعَ الشرائعَ فأحكم ما شرع، الله أكبر لا مانعَ لما أعطى، ولا معطي لما منعَ.

الحمد لله أهلِ الحمدِ ومستحقِّه، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمدٍ مصطفاه من رسلِه ومجتباه من خلقِه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

اللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ، لا إله إلا اللهُ، واللهُ أكبرُ اللهُ أكبرُ ولله الحمدُ.

أما بعدُ:

فاتقوا الله عبادَ الله، واعلموا أن ضعفَ حالِ المسلمينَ، واضطرابَ أمورِهم، لم يكن إلا من عندِ أنفسِهم، تسلطُ الأعداءِ لا يكونُ إلَّا بسببِ الأعمالِ والإهمالِ، فيا حكامَ الإسلامِ ويا ولاةَ أمورِ المسلمين، اتقوا اللهَ فيما وَلِيْتُم، وأقيموا الدينَ ولا تتفرقوا فيه، ارفعوا رايةَ الكتابِ والسنةِ، اتقوا اللهَ في توجيهِ الرعيةِ، وجِّهوهم إلى ما فيه ترسيخُ الإيمانِ وحبُّ الإسلامِ.

# من دروس الهجرة

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ وحدَه، لاشيءَ قبلَه ولا شيءَ بعدَه، هو الأولُ والآخِرُ، والظاهرُ والباطنُ، قدَّرَ الليلَ والنهارَ، وقدَّرَ القمرَ منازلَ؛ لتعلموا عددَ السنين والحسابَ. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الدنيا والآخرةُ، وإليه المآبُ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسوله، بعثه للناس كافةً بشيراً ونذيراً يتلو عليهم آياتِه، ويزكيهم ويعلمُهم الحكمَةَ والكتابَ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خيرِ آلٍ وأصحابٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون. اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى اللهِ، ثم تُوفىٰ كلُّ نفسٍ ما كسبت، وهم لا يظلمون.

معاشرَ الإخوةِ: ها أنتم تزدلفون إلى عامٍ جديدٍ وقد ودعتم عاماً من عُمُركم، مضى بما أودعتموه من عملٍ، فمن أحسنَ فليحمدِ اللهِ،وليستزدْ فخيرُ الزادِ التقوىٰ،ومن قصَّرَ فلا يلومنَّ إلا نفسه، ولا زالَ في الأجلِ فسحةٌ، وربُّك يتوبُ على من تابَ.

اللهم اجعل عامَنا هذا عامَ خيرٍ وبركةٍ وأمنٍ وأمانٍ وسلامةٍ

وإسلامٍ، اللهم وفقنا فيه لصالح العملِ، وجنبنا الفتنَ ما ظهرَ منها وما بطَنَ، واجمع اللهم فيه كلمةَ المسلمين على الحقِّ، وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه، وأذلَّ أهلَ الكفرِ وأعداءَ الملّةِ.

أيها الإخوةُ، في مقتبلِ العامِ وفي ورودِ المناسباتِ يُستعذبُ الوقوفُ عند سيرةِ محمدٍ ﷺ، والتأملِ في أحاديثِ الهجرةِ، ومواقفِ التحملِ، ومواطنِ البذلِ والتضحياتِ.

وقوفٌ يستثيرُ الهممَ، وتأملٌ يزيدُ في الإيمانِ، ويزكِّي الخُلقَ، ويقوِّمُ المسيرةَ.

وقوفٌ ليس سرداً للقصصِ في المناسباتِ، أو تأليفَ صيغٍ، ونظمَ نعوتٍ عند ورودِ الذكرياتِ.

وقوفٌ وتأملٌ يؤكدُ أن الرباطَ بمحمدٍ وكتابِ محمدٍ ودينِ محمدٍ ﷺ أقوى وأعمقُ وأوثقُ من روابطِ ملفقةٍ لا تعدو كلماتٍ باللسانِ، وأحاديثَ في المناسباتِ.

إنه لا يكتفي بالخفيفِ من المظاهرِ والرسومِ إلاَّ من أعجزَه حِملُ المسئوليةَ، وأعياه عبءُ التكاليفِ.

إن الحبَّ رخيصٌ حين يكون زَعماً وكلاماً؛ ولكنه غالٍ وثقيلٌ حين يكون عملاً وتضحيةً وإقداماً ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

عبادَ اللهِ: إن الهجرةَ النبويةَ موقعٌ من مواقعِ التأملِ العظامِ في هذه المسيرةِ المحمدية المباركةِ؛ وإن لها لخبراً، وإن فيها لعِبراً.

ودروسُ الهجرةِ تؤكدُ بكلِّ جلاءٍ ووضوحٍ أن التفريطَ في العقيدةِ،

والتساهلَ في الدينِ ومبادىءِ الملةِ مآله هلاكُ النفوسِ، وخرابُ الديارِ.

في عِبَرِ الهجرةِ إذا فُقد الدينُ فلن يغنيَ من بعدِه وطنٌ ولا مالٌ ولا أرضٌ.

معاشرَ الإخوةِ: وهذه وقفةٌ عند درسٍ من هذه الدروس، إنه درسُ صحةِ الانتسابِ إلى هذا الدينِ، وصدقِ الاعتزازِ بمبادئِه، فلا انتماءَ إلى غيرِه، ولا يجوزُ أن ينافسَه رابطةٌ أخرىٰ.

إنه انتسابٌ وارتباطٌ لا يخضعُ لحدودٍ جغرافيةٍ، ولا تمايزاتٍ قوميةٍ.

ارتباطٌ يتمثلُ في عبوديةٍ وآدميةٍ؛ عبوديةٌ لله الواحدِ القهارِ، وانتسابٌ إلى الأبوينِ آدمَ وحواءَ. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات: ١٣] «**كلُّكم لآدمَ، وآدمُ من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ إلا بالتقوىٰ**»[1] رواه أحمدُ والترمذيُّ بنحو منه.

إنسانيةٌ يتعارفون بها، وتقوىٰ يتمايزون بها، تأكَّدَ كلُّ هذا في درسِ الهجرةِ، أمةٌ واحدةٌ تترقىٰ فيها العلاقاتُ من الإخوَّةِ إلى المحبةِ إلى الإيثارِ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] التبعيةُ العليا إلى الإسلامِ وحدَه تتقاصرُ دونَها الانتماءاتُ الأرضيةُ، والعلاقاتُ القبليةُ،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، والترمذي (٥/ ٣٦٣ ـ ح٣٢٧٠) بمعناه.

والارتباطاتُ الحزبية: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١] ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] «**المؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضا**»(١) متفقٌ عليه من حديثِ أبي موسى، ولقد ضمَّ مجتمعُ الهجرةِ في مجلسِ محمدٍ رسول الله ﷺ أبابكرٍ القرشيَّ، وسلمانَ الفارسيَّ، وصهيباً الروميَّ، وبلالاً الحبشيَّ، «**فسلمانُ منا أهلَ البيتِ**»(٢) ونعم العبدُ صهيبٌ، وخشخشةُ نعلي بلالٍ مسموعةٌ في الجنةِ.

ومن رضي باللهِ رباً؛ ترفَّعَ عن الأغراضِ الشخصيةِ، ومن قَبِلَ الإسلامَ ديناً؛ لم يرضَ بغيرِ نهجه بديلاً، ومن آمنَ بمحمدٍ ﷺ نبياً رسولاً؛ لم يمشِ تحتَ لواءٍ غير لوائِه، أو يهتدِ بغيرِ سنتِه.

إن استحقاقَ أمةِ الإسلامِ للعيشِ الكريمِ والبقاءِ على هذه الأرضِ بعزةٍ وكرامةٍ؛ مرتبطٌ بولائِها لربِّها، وعملِها من أجلِ دينِها.

وحينما يجيلُ المتبصرُ نظرَه في واقعِ بعضِ المنتسبين إلى هذه الأمةِ، وانهزامِهم أمامَ تياراتِ الإلحادِ الوافدةِ، ومبادىءِ مدنيةِ العصرِ الزائفةِ، ونداءاتِها الكاذبةُ، وعواملِ وحدتِها المصطنعةُ. ويربطُ بين هذا وبين الجيلِ الذي صنعَه محمدٌ ﷺ بأمرِ ربِّه وبإذنِه؛ الجيلُ الذي آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل اللهِ؛ يدركُ كم كان درسُ الهجرةِ عظيماً في جلاءِ عزةِ المؤمنِ وبذلِه

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩ ـ ح٢٤٤٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٥).
(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٩٨) وسكت عنه وضعفه الذهبي، والطبراني في الكبير (٦/ ٢١٣) وانظر مجمع الزوائد (٦/ ١٣٠، ٩/ ١١٧، ١١٨).

وتضحيتِه؛ لقد تنكَّر أقوامٌ من المنتسبين إلى الإسلامِ لمبادىءِ الإسلامِ؛ فجَرَوْا خلفَ شعاراتٍ، وانضوَوْا تحت راياتٍ ما زادتهم إلا تباراً، وما نالوا منها إلا ذلاً وصغاراً. اختلفوا في السياسةِ شيعاً وأحزاباً، وطوائفَ وألقاباً فذهبتْ ريحُهم، وضعفتْ دولتُهم، وتمكنَ الأعداءُ منهم، وضربَ بعضُهم بعضاً، تنابزوا بالألقابِ، وتقاذفوا بالسبابِ، فدنياهم ذلٌّ وخصامٌ، وآخرتُهم تبعاتٌ جسامٌ. . بدلوا نعمةَ اللهِ كفرا، وأحلوا التنافرَ والتخاصمَ محلَّ التكافلِ والتعاونِ.

في هذا العرضِ السريعِ، وفي هذا الخضمِّ المتلاطم يتأملُ المتأملُ في دروسِ الهجرةِ؛ أين أخوةُ المهاجرين والأنصارِ التي ربطتْ أبناءَ ذوي اليسارِ بعفةِ ذوي الخصاصةِ؟! أين هذا من مبادىءِ هذا العصرِ بإنسانيتِه الكذابةِ وحقوقِه المزيفةِ؟! مبادىءُ ملفقةٌ أمدَّتْ الموسرين بأسبابِ الجشعِ والطمعِ، وأوقدتْ في صدورِ ذوي الحاجةِ نارَ الحقدِ والحسدِ، أشعلتْ سعيرَ الفتنةِ بين الطبقاتِ، وسنتْ في ذلك نظماً وتشريعاتٍ، فتذبذبَ هؤلاء وأولئك، فأظلمتْ بهم السبلُ، واختلطتْ عليهم المسالكُ، وما ظلمهم اللهُ ولكن كانوا أنفسَهم يظلمون.

وفي ميدانِ البيوتِ والأسرِ يقومُ بيتُ آل أبي بكرٍ، ونساءُ آل أبي بكرٍ بمهمةٍ مهمةٍ في الهجرةِ المباركةِ من مواقع انسانيةٍ ووظائفَ بيتيةٍ. أما متقدمةُ هذا العصرِ فقد أوقدوا نارَ الفتنةِ في بيتِ الزوجيةِ الهانىءِ، وعُشِّ الأسرةِ الهادىءِ. إن مبادئَهم المقيتةَ أوحتْ إلى المرأةِ أن وفاقَها مع الرجلِ في بيتِ الأمانِ والطاعةِ ـ فقدانٌ لشخصيتِها، وقضاءٌ على حريتِها، فخرجتْ إلى المصانعِ

والمعاملِ والملاهي والمفاتنِ تفتشُ عن سعادتِها المزعومةِ، وتمثلتْ الرجلَ عدواً يغتصبُ حقوقَها، ويعتدي على كيانِها، فتمرَّدت عليه زوجاً راعياً لحقوقِها صائناً لعفافِها، ولكنها أسلمتْ إليه نفسَها خليلاً يعبثُ بها ويدوسُ شرفَها، هذه من صورِ إنسانيةِ هذا العصرِ؛ ألا ساءَ ما يزرون.

وفي دروس الهجرةِ أين شورىٰ محمدٍ ﷺ مع الإخوةِ من المهاجرينِ والأنصارِ، أين ذلك من ديموقراطياتٍ فاسدةٍ تفترضُ في الحكوماتِ أحزاباً تلتمسُ المغانمَ لنفسِها، وتسوقُ المنافعَ لمؤيديها، وتجرُّ المغارمَ على معارضِيها، ديموقراطياتٌ في الحكمِ فاسدةٌ جعلتْ الشعوبَ تنظرُ إلى حكوماتِها نظرَ الطيرِ إلى الصائدِ، لا نظرَ الجنديِّ إلى القائدِ، يغلبُ فيهم الساخطُ الناقدُ على الناصحِ المساعدِ، ألا ساءَ ما يحكمون.

فيا أصحابَ الفكرِ والنظرِ، تلك من أنباءِ الهجرةِ وعِبَرِها، فاتقوا الله ربّكم، فإن من نسي الإسلامَ وأرخصَ رسالتَه وولّىٰ وجهَه نحوَ الشرقِ أو الغربِ فلن يستجلبَ نصراً أو يستردَّ عزاً، فاحذروا رحمكم اللهُ أن تزِلَّ قدمٌ بعد ثبوتِها فيأتي اللهُ البنيانَ من القواعدِ، ويخرُّ السقفُ، وتذوقوا السوءَ بما صددتم عن سبيلِ الله. ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٤٠]
نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم، وبهدي رسوله الكريم، وأستغفر الله لي ولكم، ولسائر المسلمين، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

# من دروس الهجرة

## الخطبة الثانية

الحمد للهِ شرح صدورَ المؤمنين لطاعتِه، وأعانَهم على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبيَّنا محمداً عبده ورسوله، أنزل عليه الكتابَ، واصطفاه لرسالتِه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابِه، ومن سار على نهجِهِ وسيرتِهِ.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، فخيرُ الزادِ التقوىٰ، فما هي إلَّا أعمارٌ تُطوىٰ، وأجيالٌ تفنىٰ، كم من مؤملٍ قعد به أملُه، وكم من مسوفٍ عاجلَه أجلُه، فاجتهدوا في العملِ وأحسنوا، إن اللهَ يحبُّ المحسنين.

إن المؤمنَ يا عبادَ اللهِ بين مخافتين: عاجلٍ قد مضىٰ لا يدري ما اللهُ صانعٌ فيه؛ وآجلٍ قد بقي لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه، فليأخذْ العاقلُ الحازمُ من نفسِه لنفسِه، ومن دنياه لآخرتِه، ومن شبابِه لهرمِه، ومن صحتِه لمرضِه، ومن حياتِه لموتِه.

إن في مراحلِ العمرِ وتقلباتِ الأيامِ لوقفاتٍ، يحاسِبُ فيها الحصيفُ نفسَه، فيستثقلُ ذنبَه، ويستغفرُ ربَّه، ويراجعُ أعمالَه فمن الخيرِ يزدادُ، وعن التقصيرِ يُقلعُ، والحسناتُ يذهبنَ السيئاتِ،

ذلك ذكرى للذاكرين، ولكن يأبى من ابُتلي بالغفلةِ ـ والعياذُ بالله ـ إلا جِماحاً وعِناداً تغلبُه على الشرِّ نفسُه، أنساه الشيطانُ ذكرَ ربِّه، تمرُ به العبرُ، وتحيطُ به الزواجرُ فما يتضرعُ لربِّه ولا يستكينُ، تقصيرٌ في الطاعاتِ، وإغراقٌ في المخالفاتِ، أهملَ في الإنابةِ والمتابِ، أضاعَ الفرصَ، ولم يستفقْ إلا يومَ الحسابِ، نعوذُ باللهِ من الخذلانِ.

اللهم لا تدعْنا في غمرةٍ، ولا تأخذْنا على غِرَّةٍ ولا تجعلْنا عبرةً، ونعوذ بك أن نكونَ من الغافلين، واستجبْ اللهم دعاءَنا يارَبَّ العالمين.

## خطبـة الاستسقـاء

## الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين. الرحمنِ الرحيمِ. مالكِ يومِ الدينِ. لا إله إلا اللهُ، ولا نعبدُ إلا إياه، مخلصين له الدينَ ولو كره الكافرون. لا إله إلا اللهُ، يحكمُ ما يشاءُ، ويفعلُ ما يريدُ. لا إله إلا اللهُ، يفرِّجُ الكروبَ، ويغفرُ الذنوبَ، ويسترُ العيوبَ، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تكنُّه القلوبُ.

أحمدُه سبحانه، يجودُ بأعظمِ مطلوبٍ، ويعمُّ بفضلِه وإحسانِه كلَّ مربوبٍ. خلق فسوَّىٰ، وقدر فهدى، نعمُه تترىٰ، وفضلُه لا يُحصىٰ، لا معطي لما منع، ولا مانعَ لما أعطى، وكلُّ شيءٍ عنده بقدرٍ وأجلٍ مسمىٰ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، في السماءِ إلهٌ، وفي الأرضِ إلهٌ. وهو الحكيم العليم، وتبارك الذي له ملك السموات والأرض وما بينهما، وعنده علمُ الساعةِ، وإليه ترجعون. وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبده ورسوله، أخشى الناس لربِّه وأتقاهم لمولاه، وأكثرُهم له استغفاراً وأصدقُهم شكَراً. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إله إلا هو الحيَّ القيومَ وأتوبُ إليه، سبحان فارجِ الكرباتِ، سبحانَ مجيبِ الدعواتِ، سبحان مغيثِ اللهفاتِ. يَعْجَبُ من قنوطِ عبادِه وقُربِ

غِيَرِه[1]، ينظرُ إليهم أزلين[2] قنطين فيظلُّ يضحكُ يعلمُ أن فرَجهم قريبٌ. سبحانه قد تكفَّلَ برزقِ جميعِ المخلوقاتِ، عمَّ بفضلِه وسترِه حتى أصحابَ الذنوبِ والخطيئاتِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله ـ أيها الناسُ ـ وتوبوا إليه، واستغفروه، فالذنوبُ كثيـرةٌ، ورحمـة اللهِ قـريـبٌ مـن المحسنيـن، والأعمـالُ سيئـةٌ، والتفريطُ كبيرٌ، واللهُ لا يصلحُ عملَ المفسدين.

عبادَ اللهِ، ما أصابَ أهلَ الأرضِ من شدةٍ، وما وقعَ فيهم من محنةٍ، إلا ليعلمَ اللهُ الذين صدقوا ويعلمَ الكاذبين. يبتلي عبادَه بالمصائبِ تارةً، ويعاقبُهم على أعمالِهم تارةً، وما ظلمهم اللهُ ولكن كانوا هم الظالمين.

معاشرَ الإخوةِ: لا تفسدُ الأحوالُ ولا تضطربُ الأوضاعُ إلا بطغيـانِ الشهـواتِ، واختـلاطِ النيـاتِ، واختـلافِ الغِيَـر والمداهناتِ. لا تكونُ ضَعَةُ[3] المجتمعِ، ولا ضياعُ الأمةِ، إلا حينَ يُترَكُ للناسِ الحبلُ على الغاربِ، يعيشون كما يشتهون. بالأخلاقِ يعبثونَ، وللأعراضِ ينتهكون، ولحدودِ اللهِ يتجاوزون من غير وازعٍ، ولا ضابطٍ، وبلا رادعٍ، ولا زاجرٍ.

أيها المسلمون: التقصيرُ في فرائضِ اللهِ وفشوٌّ المنكراتِ يؤدي إلى سلبِ نورِ القلبِ، وانطفاءِ جذوةِ الإيمانِ، وموتِ الغيرةِ على

---

(١) الغِيَر: تغير الحال.

(٢) أزلين: أي يائسين.

(٣) الضعة: الذلة وضعف الحال.

حرماتِ اللهِ فيستمرئَ الناسُ المعاصيَ، ويحيقُ بالقومِ مكرُ اللهِ.

إن المنكراتِ إذا كثرَ على القلبِ ورودُها، وتكررَ في العينِ شهودُها، ذهبتْ من القلوبِ وحشتُها وأصبحتْ النفوسُ تعتادُها. يقولُ بعضُ الصالحين: إن الخوفَ كلَّ الخوفِ من تأنيس القلوبِ بالمنكراتِ لأنها إذا توالتْ مباشرتُها ومشاهدتُها، أَنِستْ بها النفوسُ. والنفوسُ إذا أنستْ شيئاً قلَّ أن تتأثرَ به. ومن ثمَّ تدعو فلا يستجابُ لها.

أيها الإخوةُ في اللهِ، إن الحصنَ الحصينَ، والدرعَ الواقيَ، والسياجَ الحامي من كلِّ ذلك بإذن اللهِ هو الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ. إنه الوثاقُ الذي تتماسكُ به عُرىٰ الدين، وتحفظُ به حرماتُ المسلمين. يَحمي أهلَ الإسلام من نزواتِ الشياطينِ، ودعواتِ المبطلين. بفشوِّه وتأييدِه تظهرُ أعلامُ الشريعةِ في البلادِ، ويكونُ السلطانُ لأحكامِ الإسلامِ على العبادِ.

إنه مجاهدةٌ دائبةٌ دائمةٌ، يقومُ بها كلُّ مسلم حسبَ طاقتِه في بيتِه وفي سوقِه وفي كلِّ مرفقٍ، يقومُ من أجلِ بقاءِ أعلام الدينِ ظاهرةً، والمنكراتِ قصيةً مطمورةً. هو فيصلُ التفرقةِ بين المنافقين، والمؤمنين: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [التوبة: ٦٧].

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١].

يقول الغزاليُّ رحمه الله: فالذي هجرَ الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ خارجٌ عن هؤلاءِ المؤمنين.

بارتفاع رايةِ الأمرِ بالمعروفِ، والنهيِ عن المنكرِ، يعلو أهلُ الحقِّ والإيمانِ، ويندحرُ أهلُ الباطلِ والفجورِ. يقولُ سفيانُ رحمه الله: إذا أمرتَ بالمعروفِ شددتَ ظهرَ أخيك، وإذا نهيتَ عن المنكرِ أرغمتَ أنفَ المنافقِ. ويقولُ الإمامُ أحمدُ: إن المنافقَ إذا خالطَ أهلَ الإيمانِ فأثمرتْ عدواه ثمرتَها صار المؤمنُ بين الناس معزولاً؛ لأن المنافقَ يصمتُ عن المنكرِ وأهلِه فيصفُه الناسُ بالكياسةِ والبعدِ عن الفضولِ، ويسمون المؤمنَ فضولياً.

إذا تعطلتْ هذه الشعيرةُ ودُكَّ هذا الحصنُ وحُطِّمَ هذا السياجُ فعلى معالمِ الإسلامِ السلامُ، وويلٌ يومئذٍ للفضيلةِ من الرذيلةِ، وويلٌ لأهلِ الحقِّ من المبطلين وويلٌ للصالحين من سفهِ الجاهلين، وتطاولِ الفاسقين.

ولا يضعفُ هذا الركنُ العظيمُ إلا حين تستولي على القلوبِ مداهنةُ الخلقِ، وتضعفُ مراقبةُ الخالقِ، ويسترسلُ الناسُ في الهوىٰ، وينقادون للشهواتِ.

جاء في حديث حسنٍ عند الترمذي عن حذيفةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**والذي نفسي بيدِه لتأمرنَّ بالمعروفِ، ولتنهونَّ عن المنكرِ، أو ليوشكنَّ الله أن يبعثَ عليكم عقاباً منه فتدعونَه فلا يستجيبُ لكم**»[1].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٤٠٦ ـ ح٢١٦٩) وقال: حديث حسن، والبيهقي في =

وفي حديثٍ آخر عنه ﷺ: «**ما من قومٍ يعملُ فيهم بالمعاصي، ثم يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يغيروا إلا يوشكُ أن يعمَّهم اللهُ منه بعقابٍ**»[1]. أخرجه ابنُ ماجه، وأبوداودَ واللفظُ له، من حديثِ أبي بكرٍ رضي الله عنه. وإسنادُه صحيحٌ.

أيها الإخوةُ: إذا كثرُ الخبَثُ استحقَّ القومُ الهلاكَ. وبكثرةِ الخبثِ تنتقصُ الأرزاقُ، وتُنزَعُ البركاتُ، ويعمُّ الفسادُ، وتفشو الأمراضُ، وتسودُ الفوضىٰ، وتضطربُ الأحوالُ.

أقبلَ رسولُ الله ﷺ يوماً على أصحابِها فقال: «**يا معشرَ المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذُ بالله أن تدركوهنَّ: لم تظهرْ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ، حتى يُعْلِنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ، والأوجاعُ التي لم تَكنْ مضتْ في أسلافِهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيالَ والميزانَ، إلا أُخذوا بالسنين وشدةِ المؤنةِ، وجورِ السلطانِ عليهم، ولم يمنعوا زكاةَ أموالِهم، إلا مُنعوا القطرَ من السماءِ، ولولا البهائمُ لم يُمْطَروا، ولم ينقضوا عهدَ اللهِ وعهدَ رسولِه، إلا سلَّط عليهم عدواً من غيرِهم، فأخذوا بعضَ ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتُهم بكتابِ اللهِ، ويتخيروا مما أنزلَ الله، إلا جعلَ اللهُ بأسَهم بينهم**»[2]. أخرجه الحاكمُ وابن ماجه واللفظُ له.

---

= السنن الكبرى (١٠/ ٩٣)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧ ـ ح٤٠٠٤).

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ١٢٢ ـ ح٤٣٣٨) واللفظ له، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٩ ـ ح٤٠٠٩)، وأحمد (٤/ ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٤٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩١).

(٢) أخرجه الحاكم (٤/ ٥٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٢ ـ ح٤٠١٩) وهو حديث حسن.

عبادَ الله: إن للمعاصي شؤمَها، وللذنوبِ آثارَها، فكم أهلكت من أمةٍ، وكم دمرتْ من شعوبٍ: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾﴾ [الأنبياء: ١١] ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٩].

بالمعاصي تزولُ النعمُ، وتَحِلُّ النقمُ، بسببها تتوالى المحنُ، وتتداعى الفتنُ: ﴿... إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ..﴾ [الرعد: ١١] ولا تزالُ المعاصي يجرُّ بعضُها بعضاً حتى تألفَها الأفئدةُ وتأنسَ بها النفوسُ، ومن ثَمَّ يُطبعُ على القلوبِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [المطففين: ١٤].

إن في بلادِ اللهِ الواسعةِ معالمَ شاخصةً من مساكنِ الذين ظلموا أنفسَهم، تنطقُ بمصارعِ أهلِها، وتُخبرُ عن سوءِ صنيعِهم وعاقبةِ أمرِهم ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [القصص: ٥٨].

فاتقوا الله ـ يرحمَكم الله ـ واتعظوا، واعتبروا، وبادروا بالتوبةِ، وتعجلوا الإنابةَ، فقد جعل اللهُ لكم في التوبةِ ملاذاً مكيناً، وملجأً حصيناً، يَلِجُه المذنبُ معترفاً بخطيئتِه، نادماً على فعلتِه، غيرَ مصرٍ على سيئتِه، يحتمي بحمى الاستغفارِ.

من تدَنّس بشيءٍ من قذرِ المعاصي وأوحالِ الذنوبِ فليبادرْ بغسله بماءِ التوبةِ، وطهورِ الاستغفارِ، فربُّكم يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين، «.. **يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهارِ،**

**وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً؛ فاستغفروني أغفرْ لكم. .»**[1].

وفي محكم التنزيل: ﴿۞ قُلْ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

ومن ظنَّ أن ذنباً لا يسعُه عفوُ اللهِ فقد ظنَّ بربِّه ظنَّ السَّوءِ، وكم من عبدٍ كان من إخوانِ الشياطينِ فمنَّ اللهُ عليه بتوبةٍ محتْ سيئاتِه، وحطتْ أوزارَه، فصار صواماً قواماً قانتاً آناءَ الليلِ، ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربِّه.

في الصحيحين واللفظُ للبخاريِّ من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إن عبداً أذنبَ ذنباً فقال: ربِّ أذنبتُ ذنباً فاغفرْ لي، فقال ربُّه: أَعلِمَ عبدي أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذ به؟ غفرتُ لعبدي. .**»[2].

وركبَ عليه الصلاةُ والسلامُ دابتَه يوماً فحمِدَ اللهَ ثلاثاً، وكبَّرَ ثلاثاً، وقال: «**سبحانَك إني ظلمتُ نفسي فاغفرْ لي فإنه لا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت**» ثم ضحِك وقال: «**إن ربَّك ليعجبُ من عبدِه إذا قال: ربِّ اغفر لي، يعلمُ أنه لا يغفرُ الذنوبَ غيري**»[3] أخرجه الترمذيُّ وصحَّحه وأبوداودَ واللفظُ له، حديثِ عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤ ـ ح٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٤ ـ ح٧٥٠٧) واللفظ له، ومسلم (٤/ ٢١١٢ ـ ح٢٧٥٨).

(٣) أخرجه أبوداود (٣/ ٣٤ ـ ح٢٦٠٢)، والترمذي (٥/ ٤٦٧ ـ ح٣٤٤٦) وقال: حديث حسن صحيح.

ما من ليلةٍ يختلطُ ظلامُها، ويُرخىٰ عليها سربالُها، إلا ولله فيها عبادٌ مخلصون، تتجافىٰ جنوبُهم عن المضاجعِ فيُفيضُ عليهم من جودِه وإحسانِه وعفوِه وغفرانِه.

من ذا الذي دعاه فلم يستجبْ له؟ ومن ذا الذي سألَه فلم يعطِه؟ من ذا الذي أناخَ ببابِه فأقصاه؟ سبحانه ذو الفضلِ، ومنه الفضلُ، أعطىٰ عبادَه ما سألوا، وجادَ عليهم بما لم يسألوا: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

مُلكُه لا يُحَدُّ، وخزائنِه لا تنفدُ. هل يؤمَّلُ في كشفِ الشدائدِ غيره؟! وهل يُرجىٰ في جميلِ العوائدِ إلا خيره!! بيده خزائنُ السمواتِ والأرضِ، فيا بؤسَ القانطين من رحمتِه، ويا خسارةَ المصرِّين على معصيتِه.

وها أنتم ـ عبادَ الله ـ قد حضرتُم في هذا المكانِ الطاهرِ بين يدي ربّكم، تشكونَ جدبَ ديارِكم، وتبسطون إليه حاجتكم، وذلكم الجدبُ وتلكُم الحاجةُ بلاءٌ من ربِّكم، لتُقبلوا عليه، وتتقربوا بصالحِ العملِ لديه. وفي البلاءِ ألطافٌ يدركه أهلُ الإيمانِ، وتتمحَّصُ فيها قلوبُ أهلِ الإخلاصِ رقةٌ في القلبِ، وافتقارٌ في النفسِ، وتذللٌ بين يدي العزيزِ الغفارِ، واستكانةٌ لجنابِ الواحدِ القهارِ.

وفي كتابِ اللهِ قومٌ مذمومون، لم يستكينوا عند البلاءِ، ولم يرجعوا إلى ربِّهم في البأساءِ: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾ [المؤمنون: ٧٦].

فاستكينوا إلى ربِّكم، وارفعوا أكفَّ الضراعةِ إليه، ابتهلوا، وادعوا، وتضرعوا، واستغفروا، فالاستغفار مربوطٌ بما في السماءِ من استدرار، اقرءوا إن شئتم قولَ نوح عليه السلام: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح: ١٠ ـ ١٢] وقول هودَ عليه السلام: ﴿ وَيَـٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [هود: ٥٢].

ونبيُّكم محمدٌ ﷺ يقول: «**من أكثرَ من الاستغفارِ، جعلَ اللهُ له من كلِّ همٍّ فرجاً، ومن كلِّ ضيقٍ مخرجاً، ورزقه من حيثُ لا يحتسبُ**»[(١)] أخرجه أبوداودَ، وابنُ ماجه في سننِه عن ابنِ عباس رضي الله عنهما.

وأكثروا من الصلاةِ والسلام على المصطفىٰ الهادي البشير، إمامِنا وقدوتِنامحمد بنِ عبدِالله. فالدعاءُ، موقوفٌ بين السماءِ والأرضِ حتى يُصلَّىٰ على النبيِّ ﷺ كما جاءَ في الأثرِ، اللهمَّ صلِّ وسلِّمْ وباركْ على عبدِك ورسولِك محمدٍ وعلى آله وأزواجِه وأصحابِه.

ربَّنا ظلمنا أنفسَنا، وإن لم تغفرْ لنا وترحمْنا لنكونَنَّ من الخاسرين، اللهم أنتَ اللهُ لا إله إلا أنتَ، أنتَ الغنيُّ ونحن الفقراءُ،

---

(١) أخرجه أبوداود (٢/ ٨٥ ـ ح١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤ ـ ح٣٨١٩)، وأحمد (١/ ٢٤٨). وقال الشيخ أحمد شاكر: اسناده صحيح. انظر المسند بتحقيقه (٤/ ٢٢٣٤) ط. دار المعارف ١٣٦٧هـ.

أنزلَ علينا الغيثَ ولا تجعلْنا من القانطين. اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً، هنيئاً مريئاً، طَبَقاً، سَحَّاً، مجللاً عاماً نافعاً غيرَ ضار، عاجلاً غيرَ آجل، اللهم تُحيي به البلادَ، وتغيثُ به العبادَ، وتَجعلُه بلاغاً للحاضرِ والبادِ. اللهم سقيا رحمةٍ، لا سقيا عذابٍ، ولا هدمٍ، ولا بلاءٍ، ولاغرقٍ. اللهم اسقِ عبادَك وبلادَك وبهائمَك، وانشُرْ رحمتَك، وأحْيِ بلدَك الميتَ، اللهم أنبتْ لنا الزَرعَ، وأدِّرَ لنا الضرعَ، وأنزلَ علينا من بركاتِك، واجعل ما أنزلتَه علينا قوةً لنا على طاعتِك، وبلاغاً إلى حينٍ. اللهم إنا خلقٌ من خلقك، فلا تمنعْ بذنوبنا فضلَك.

سبحانَ اللهِ، على اللهِ توكلنا، ربنا لا تجعلْنا فتنةً للقومِ الظالمينَ، اللهم ارفعْ عنا من الجوع، والجَهْدِ، والعُريِّ، واكشفْ عنا من البلاءِ ما لا يكشفه إلا أَنت. اللهم إنا نستغفرُك إنك كنت غفاراً، فأرسلْ السماءَ علينا مِدراراً. اللهم اسقنا الغيثَ، وآمنَّا من الخوفِ، ولا تجعلنا آيسين، ولا تُهْلكنا بالسنين، اللهم ارحمْ الأطفالَ الرُّضعَ، والبهائمَ الرُّتعَ والشيوخَ الرُّكَّعَ، وارحم الخلائقَ أجمعين. ربَّنا لا تؤاخذْنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا تحملْ علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلِنا ربَّنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا وارحمنا، أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين. اللهم انصرْ دينَك، وكتابَك، وسنةَ نبيِّك وعبادَك الصالحين. اللهم أصلحْ لنا دينَنا الذي هو عصمةُ أمرنا، وأصلحْ لنا دنيانا التي فيها معاشُنا، وأصلحْ لنا آخرتَنا التي إليها معادُنا، واجعل الحياةَ زيادةً لنا في كلِّ خير، والموتَ راحةً لنا من كلِّ شر. اللهم ادفع عنا الغلاءَ، والبلاءَ

والوباءَ، والربا والزنا، والزلازلَ والمحنَ، وسوءَ الفتن ما ظهر منها وما بطن، عن بلدِنا وعن سائرِ بلادِ المسلمين. اللهم من أرادَنا وأرادَ بلادَنا ومقدساتِنا بسوءٍ فأشغلْه بنفسِه، واجعل كيدَه في نحرِه، واجعل تدبيرَه تدميرَه، اللهم إنا ندرأُ بك في نحورِهم، ونعوذُ بك من شرورِهم، اللهم ردَّ عنا كيدَ الكائدين، وعدوانَ المعتدين، واقطع دابرَ الفساد والمفسدين، اللهم آمنا في أوطانِنا، وأصلحْ أئمتنا وولاةَ أمورِنا، وأيد بالحقِّ إمامَنا ووليَّ أمرِنا، وأعزَّه بطاعتِك، وأعزَّ به دينَك وارزقْه البطانَةَ الصالحةَ التي تدلُّه على الخيرِ وتعينُه عليه. ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقنا عذابَ النار.

عبادَ الله، اقلبوا أرديَتكم تأسياً بنبيِّكم محمدٍ ﷺ. واجتهدوا في الدعاءِ، وألحُّوا في المسألةِ. ادعوا اللهَ وأنتم موقنون بالإجابةِ، وأكثروا من الاستغفارِ والصدقةِ وصلةِ الأرحام، واحفظوا الحقوقَ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم عسىٰ ربُّكم أن يرحمَكم فيغيثَ القلوبَ بالرجوعِ إليه، والبلدَ بإنزال الغيثِ عليه. سبحان ربِّك ربِّ العزةِ عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلِّ اللهم على عبدِك ورسولِك محمدٍ وآله وصحبِه وسلمَ.

# وقفة مع محاسبة النفس

## الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ خلقَ كلَّ شيءٍ فقدره تقديراً. أحمده سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وألتجىءُ إليه من يومٍ كان شرُّه مستطيراً، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه. بعثَه بين يدي الساعةِ بشيراً ونذيراً، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعدُ:

أيها المسلمون، تعالىٰ ربُّنا وتنزَّه أن يخلقُ السمواتِ والأرضَ وما بينهما بلا حكمةٍ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الأنبياء: ١٦] وتباركَ وتقدَّسَ أن يَتركَ الإنسانَ بلا مهمةٍ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [القيامة: ٣٦] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

خلقَ الخلقَ ليعبدوه، وأنشأهم من الأرضِ واستخلفهم فيها ليطيعوه ويتقوه. فمن أرادَ دوامَ العافيةِ، ورامَ حُسنَ العاقبةِ.. فليعبدْ اللهَ وليتقْه؛ عبادةً وتقوىٰ على الدوامِ، واستقامةً على الهدىٰ في جميعِ الشهورِ والأيامِ، ليس لعمومِ الطاعةِ زمنٌ محدودٌ، وليس للتقوىٰ موسمٌ مخصوصٌ..

إنها حقُّ اللهِ على العبادِ. يعمرون بها أوقاتَهم، ويستعملون فيها أبدانَهم، ويخلصون بها له قلوبَهم.

ولئن تفاضلتْ بعضُ الأيام والشهورِ، وتضاعفتْ في بعضِ المواسمِ الأجورُ. فما ذلك إلَا من أجلِ مزيدِ العملِ، وتنشيطِ الهممِ.. تألفُ فيها النفوسُ الطاعةَ، وتستيقظُ فيها من بعدِ غفلةٍ.

والمغبونُ من لم يعرفْ ربَّه إلا في أيامٍ معلومةٍ أو ساعاتٍ معدودةٍ.. ثم يعودُ من بعدِ ذلك إلى غيِّه وغفلتِه، ينتكسُ في المعاصي، ويرتكسُ في الآثامِ.. نعوذ باللهِ من الخذلان.

معاشرَ الإخوة، ولئن ودَّع المسلمون مواسمَ الخيرِ من ذي الحجةِ.. فهاهم في وداعِ عامٍ هجريٍّ ليستقبلوا عاماً غيرَه.

فحقٌّ عليهم الوقفةُ الصادقةُ مع النفس محاسبةً ومساءلةً. فواللهِ لتموتنَّ كما تنامون، ولتبعثنَّ كما تستيقَظون، ولتجزوُنَّ بما كنتم تعملون. فجنةٌ للمطيعين، ونارٌ جهنمَ للعاصين ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠﴾ [فصلت: ٤٠].

إخوتي في اللهِ: من غفلَ عن نفسِه تصرمتْ أوقاته، ثم اشتدتْ عليه حسراتُه. وأيُّ حسرةٍ على العبدِ أعظمُ من أن يكونَ عمرُه عليه حجةً. وتقودُه أيامُه إلى المزيدِ في الردىٰ والشّقوةِ.

إن الزمانَ وتقلباتِه أنصحُ المؤدبين، وإن الدهرَ بقوارعِه أفصحُ المتكلمين.. فانتبهوا بإيقاظِه، واعتبروا بألفاظِه.

وردَ في الأثرِ: «أربعةٌ من الشقاءِ: جمودُ العينِ، وقسوةُ

القلبِ، وطولُ الأملِ، والحرصُ على الدنيا».

معاشر الإخوة، من حاسبَ نفسَه في الدنيا خفَّ في القيامةِ حسابُه، وحَسُنَ في الآخرةِ مُنقلبُه، ومن أهملَ المحاسبةَ دامتْ حسرتُه وساءَ مصيرُه. وما كان شقاءُ الأشقياءِ إلا لأنهم كانوا لا يرجونَ حسابا. وقعوا ضحايا خداعِ أنفسِهم، وأحابيلِ شياطينِهم، وافتهم المنايا وهم في غمرةٍ ساهونَ.

في الشبابِ من غرَّه شبابُه فنسي فُقدانَ الأقرانِ، وغفلَ عن سرعةِ المفاجآتِ، وتعلقَ بالآمالِ والأماني، وما هي واللهِ إلا أوهامُ الكسالى، وأفكارُ اللاهين، وما الاعتمادُ عليها إلا بضائعُ الحمقىٰ، ورؤوسُ أموالِ المفاليسِ، والتمني والتسويفُ إضاعةٌ للحاضرِ والمستقبلِ.

وفي أهلِ العلمِ من جدَّ في التحصيلِ وغفلَ عن العملِ، أُعطوا علوماً فصرفُوها في الرياءِ والمجادلاتِ، والعلوِّ على الأقرانِ، يمزِّقُ دينَه من أجلِ ترقيعِ دنياه، لا يتحاشىٰ غيبةً، ولا يسلمُ من حسدٍ.

وفي أهلِ الدنيا من صرفَ أموالَه في الشهواتِ والمحرماتِ.

وأشدُّ هؤلاءِ من كسَب مالاً؛ فأدخله النارَ وورِثه من بعده قومٌ صالحون عملوا فيه بطاعةِ اللهِ؛ فأدخلهم الجنةَ.

ليس أعظمُ حُمقاً ممن ضيعَ مالَه وأصلحَ مالَ غيرِه، وقد علم أن مالَه ما قدَّم، ومالَ غيرِه ما خلَّف.

ألا ينظرُ هؤلاء وهؤلاء؟؟ لقد وهنَ العظمُ، وابيضَّ الشعرُ، ورحلَ الأقرانُ، ولم يبقَ إلا الرحيلُ.

عجيبٌ حالُ هذا الغافلِ: يوقنُ بالموتِ ثم ينساه، ويتحققُ من الضررِ ثم يغشاه، يخشىٰ الناسَ واللهُ أحقُّ أن يخشاه، يغترُّ بالصحةِ وينسى السقمَ، ويفرحُ بالعافيةِ ولا يتذكرُ الألَم، يزهو بالشبابِ ويغفلُ عن الهرمِ، يهتمُّ بالعلم ولا يكترثُ بالعملِ، يحرصُ على العاجلِ ولا يفكرُ في خسرانِ الآجلِ. يطولُ عمُره ويزدادُ ذنبُه، يبيضُّ شعرُه ويسودُّ قلبُه. قلوبٌ مريضةٌ عزَّ شفاؤها، وعيونٌ تكحلتْ بالحرامِ فقلَّ بكاؤها. وجوارحُ غرِقتْ في الشهواتِ فحقَّ عزاؤها.

سبحانَ الله ـ عبادَ الله ـ ألم يأنِ لأهلِ الغفلةِ أن يدركوا حقيقةَ هذه الدارِ. أما علموا أن حياتَها عناءٌ، ونعيمَها ابتلاءٌ. جديدُها يبلىٰ، وملكُها يفنىٰ، وُدُّها ينقطعُ، وخيرُها يُنتزعُ. المتعلقون بها على وجلٍ إما في نعمٍ زائلةٍ أو بلايا نازلةٍ، أو منايا قاضيةٍ.

﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾ [غافر: ٣٩] العمرُ قصيرٌ، والخطرُ المحدقُ كبيرٌ. والمرءُ بين حالين: حالٍ قد مضىٰ لا يدري ما اللهُ صانعٌ فيه، وأجلٍ قد بقي لا يدري ما اللهُ قاضٍ فيه.

وإذا كان الأمر كذلك أيها الأحبة، فعلى صاحبِ البصرِ النافذِ أن يتزودَ من نفسِه لنفسِه، ومن حياتِه لموتِه، ومن شبابِه لهرمِه، ومن صحتِه لمرضِه. فما بعدَ الموتِ من مستعتَبٍ، ولا بعدَ الدنيا سوىٰ الجنةِ أو النارِ.

ومن أصلحَ ما بينه وبين ربِّه كفاه ما بينه وبين الناس، من صدقَ في سريرتِه حسُنتْ علانيتُه، ومن عمِل لآخرتِه كفاه اللهُ أمرَ دنياه.

والمحاسبةُ الصادقةُ ما أورثتْ عملاً، فعليك يا عبدَاللهِ أن تستدركَ ما فاتَ بما بقي، فتعيشَ ساعتَك ويومَك، ولا تشتغلْ بالندمِ والتحسرِ من غيرِ عملٍ. واعلم أن من أصلحَ ما بقي غُفرَ له ما مضىٰ، ومن أساءَ فيما بقي أُخذَ بما مضىٰ وبما بقي. والموتُ يأتيك بغتةً، فأعطِ كلَّ لحظةٍ حقَّها، وكلَّ نَفَسٍ قيمتَه، فالأيامُ مطايا، والأنفاسُ خطواتٍ، والصالحاتُ هي رؤوسُ الأموالِ، والربحُ جناتُ عدنٍ، والخسارةُ نارٌ تلظىٰ، لا يصلاها إلا الأشقىٰ. وأنت حسيبُ نفسِك.

قرأ الحسنُ رحمه الله قولَه تعالىٰ: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾﴾ [ق: ١٧] فقال: يا ابنَ آدمَ: بُسطتْ لك صحيفتُك، ووكِّلَ بك ملكان أحدُهما عن يمينِك، والآخرُ عن شمالِك، فصاحبُ اليمين يكتبُ الحسناتِ، وصاحبُ الشمالِ يكتبُ السيئاتِ. فاعملْ ما شئتَ أَقللْ أو أَكثرْ؛ فإذا متَّ طويتْ صحيفتُك، وجُعلتْ في عنقِك؛ فتخرجُ يومَ القيامةِ؛ فيقالُ لك: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٤] ثم قال رحمه الله: عدَل ـ واللهِ ـ من جعلكَ حسيبَ نفسِك.

فاتقوا الله ـ رحمَكم الله ـ وتزودوا في دنياكم ما تُحرزون إلى أنفسِكم غدا، فن اتقىٰ اللهَ نصحَ نفسَه، وقدَّم توبتَه، وقاوم شهوتَه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر: ١٨ ـ ٢٠].

## وقفة مع محاسبة النفس

### الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ، هدمَ بالموتِ مشيدَ الأعمارِ، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفرُه حكمَ بالفناءِ على أهلِ هذه الدارِ. وأشهد ألا إله إلا الله لا شريك له، شهادةً أرجوا بها النجاةَ من عذابِ النارِ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المصطفىٰ المختارُ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه المهاجرين والأنصارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعدُ:

أيها المسلمون، إن في قوارع الدهرِ لعبرا، وإن في حوادثِ الأيامِ لمزدجراً، أوقاتٌ تطوىٰ فَتخرِّبُ عامراً وتعمرُ قفراً، تُعيرُ مرةً وَتسلُبُ أخرى، فاحذروا زخارَفها المضلةَ، من تكَّثرَ منها لم يزددْ من الله إلا بعدا.

واعلموا ـ رحمكم الله ـ أن من أشدِّ ما يفسدُ العمرَ ويقتلُ الوقتَ صحبةَ البطالين ومعاشرةَ الهاملين. أصحابِ الجهالاتِ واللهو والعبثِ،بهم يضيعُ الزمنُ،ويفسدُ العملُ،وتسوءُ الصحبةُ، فواجبٌ على من نصحَ نفسَه وعرفَ وقتَه أن ينفِرَ منهم؛ فالنبتةُ الفاسدةُ تُفسدُ ما جاورَها،والماءُ والهواءُ يُفسدُهما مقاربةُ الجيفِ.

وفي أحضانِ البطالةِ والبطالين تُولدُ الرذائلُ وتنبتُ جراثيمُ فناءِ الأفرادِ والأمم. والعاطلون هم الموتىٰ، ومن لم يشغلْ نفسَه بالحقِّ تشاغلتْ بالباطلِ، والإناءُ إن لم تشغلْه بالماءِ شغلَه الهواءُ. فمن عزَم على حفظِ ما بقي له من سويعاتِ عمرِه فلا يصاحبْ إلا الجادينَ العاملين، الأخيارَ النابهين، البررةَ الصالحين. الذين يحرصون على أوقاتِهم أشدَّ من حرصِ الشحيحِ على دراهمِه ودنانيرِه.

فاتقوا اللهَ ـ رحمكم اللهُ ـ وجدُّوا في العملِ، واعتبروا بما سلفَ فالفرصُ تفوتُ، والأجلُ موقوتٌ، والإقامةُ محدودةٌ، والأيامُ معدودةٌ، ولن يؤخرَ الله نفساً إذا جاءَ أجلُها. واللهُ خبيرٌ بما تعملون.

# الـوصـية

## الخطبة الأولى

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، بالعبادةِ أمرَ، وبوجوه البرِّ والكمالاتِ وصَّىٰ، أحمده سبحانه وأشكره، كرمُه لا يحدُّ، وآلاؤه لا تحصىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُالله ورسولُه.. بعثَه بالهدى ودينِ الحقِّ ليظهره على الدين كلِّه، فالسعيدُ من أطاعه واتبعه، والويلُ لمن خالفَ وعصىٰ، صلى وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله ـ عبادَ الله ـ وعظموا أمرَه واجتنبوا مساخطَه، وخذوا من أيامِكم عبراً، واستوصوا بأنفسِكم وأهليكم خيراً.

أيها المسلمون: ابنُ آدمَ يتقلبُ في هذه الحياةِ ـ ما أمدَّ اللهُ له من العمرِ ـ يتقلبُ مراحلَ وأطواراً من الطفولةِ والشبابِ، والكهولةِ والهرمِ، يمرُّ خلالها بأحوالٍ من العسرِ واليسرِ، والفقرِ والغنىٰ، والحزنِ والسرور، والصحةِ والمرضِ، والقوةِ والضعفِ، وهو في جميعِ هذه الأطوارِ، وفي كلِّ تلك الأحوالِ

بحاجةٍ إلى التذكرِ والتذكيرِ، والوصايا والتوجيهِ. بحاجةٍ إلى التوبةِ النصوحِ، والثباتِ على الحقِّ، وتحري العدلِ، واحتسابِ الثوابِ، وإحسانِ الظنُ بربِّه، متقلباً بين الرغبةِ والرهبةِ، والخوفِ والرجاء: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩ ـ ٥٠] ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

كلُّ ابن آدمَ بحاجةٍ إلى هذا.. غير أنَّ هناك فئاتٍ من الغافلين والمرضىٰ والعجزةِ والمسنين ذوي حقوقٍ وأموالٍ. قد ينسيهم حرصهُم على حقوقِهم، وتنميتُهم أموالَهم ـ ينسيهم ذلك ـ حقوقَ الآخرين من أصحابِ الديونِ والودائع، أو ذوي الفقرِ والحاجةِ من الأقربين وغيرِ الأقربين، فإذا ما أصابتْه مصيبةٌ أو أحسَّ بدنوِّ أجله؛ راجعَ نفسه، وندم على ما أسلفَ، ولقد علم اللهُ اللطيفُ المنانُ ضعفَ هذا المخلوقِ، فهيأ له برحمتِه فسحةً، وفتحَ له بابَ أملٍ من أجلِ أن يعملَ صالحاً، وكما شرعَ له ميدانَ حسناتٍ حالَ الحياةِ؛ فقد شرعَ له فرصاً بعد المماتِ، وفي مثلِ هذا جاءَ قوله عليه الصلاة والسلام: «**إذا مات الإنسانُ انقطعَ عنه عمله إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ ينتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له**»(١) رواه مسلمٌ وغيرُه واللفظُ له.

وفي حديثٍ آخر«**إن اللهَ تصدقَ عليكم عند وفاتِكم بثلثِ أموالِكم زيادةً لكم في أعمالِكم**»(٢) رواه ابنُ ماجه من حديثِ أبي هريرةَ.

---

(١) أخرجه مسلم (٣/ ١٢٥٥ ـ ح١٦٣١).
(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٠٤ ـ ح٢٧٠٩).

ولمثلِ هذا شُرعتْ الوصيةُ، وتكاثرتْ النصوصُ في الحثِّ عليها. إذا وُجدَ مُقتضيها: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٦].

وفي الحديث الصحيح: عن ابن عمرَ - رضي الله عنهما - عن النبيِّ ﷺ إنه قال: «**ما حقُ امرىءٍ مسلمٍ له شيءُ يوصي فيه يبيتُ ليلتين**» وفي روايةٍ: «**ثلاث ليالٍ إلا ووصيتُه عنده مكتوبةٌ**» قال عبدُالله بن عمر: ما مرتْ علي ليلةٌ منذُ سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ قال ذلك، إلا وعندي وصيتي»[1] متفقٌ عليه، واللفظُ لمسلم، وفي حديثٍ آخر حسنِ الإسنادِ: «**المحرومُ من حرم وصيتَه**»[2]، وقال الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه: «من صوابِ الأمرِ للمرءِ أن لا تفارقَه وصيتُه». «**ومن ماتَ وقد أوصىٰ ماتَ على سبيلٍ وسنةٍ**»[3] حديثٌ عند ابن ماجه.

معاشرَ الأحبةِ: من لزمتْه حقوقٌ شرعيةٌ للهِ أو لعبادِ اللهِ، من زكواتٍ وكفاراتٍ وديونٍ وودائعٍ، فليسارعْ في أدائِها، وليبادرْ في قضائِها.. مادام قادراً على الأداء، متمكناً من القضاءِ. وإلا فليوصِ بذلك وصيةً واضحةً في لفظِها ومعناها، مجودةً في

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٤١٩ - ح٢٧٣٨)، ومسلم (٣/ ١٢٤٩، ١٢٥٠ - ح١٦٢٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٠١ - ح٢٧٠٠) وفي سنده يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٠١ - ح٢٧٠١) وفي سنده بقية بن الوليد وهو مدلس وقد عنعنه ولم يصرح بالتحديث. وشيخه يزيد بن عوف مجهول.

كتابتِها، عادلةً في شهودِها، من أجلِ ان تُحمدَ سيرتُه، وتُحفظَ حقوقُه، ولا يبقى أهلُه من بعده في منازعاتٍ، ويلقى ربَّه وقد أدىٰ ما عليه، وأبرأ ذمتَه، وابيضتْ صحيفتُه، وحسنتْ بإذن اللهِ خاتمتُه، وخفَّ في الآخرةِ حسابُه، ومن قصَّرَ فقد تعرَّضَ لحرمانِ الثوابِ، وأهملَ في براءةِ الذمةِ.

ومن لم تكنْ عليه حقوقٌ، ولم تلزمْه واجباتٌ وله ورثةٌ محتاجون وذريةٌ ضعفاءُ، فليبدأ بهم، ولا يقدِّم عليهم وصيتَه؛ لأنهم أحقُّ بمالِه وأولى بمعروفِه، وأعظمُ في ثوابه ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩﴾ [النساء: ٩]. وقد قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ لسعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ: «**إنكَ إن تدعْ وثتَك أغنياءَ خيرٌ من أن تدَعهم عالةً يتكففون الناسَ**»[(١)]. متفقٌ عليه واللفظُ للبخاري، وفي الخبرِ الآخرِ: «**ابدأ بنفسِك ثم بمن تعولُ**»[(٢)]. أصلُ ذلك في الصحيحين. وأرادَ رجلٌ أن يوصيَ فقال له عليٌ ـ رضي الله عنه ـ: «إنك لم تتركْ مالاً طائلاً، إنما تركتَ شيئاً يسيراً فدعه لورثتِك». وسألَ رجلٌ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ فقال: إن لي ثلاثةَ آلافٍ، وعندي أربعةُ أولادٍ أفأوصي؟ قالت: اجعل الثلاثةَ للأربعةِ. أما إذا فاضَ مالُ اللهِ عندك، وبسطَ اللهُ لك في الرزقِ، فلتدخرْ لنفسِك عملاً صالحاً، وصدقةً جاريةً، يمتدُّ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ٤٢٧ ـ ح٢٧٤٢) واللفظ له، ومسلم (٣/ ١٢٥٠ ـ ح١٦٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٤١٠ ـ ح٥٣٥٥، ٥٣٥٦)، ومسلم (٢/ ٦٩٢ ـ ح٩٩٧).

لك ثوابُها، ولتبدأ بالأقربين من غيرِ الوارثين، فهم أحقُّ ببركَ وأولى بفائضِ مالكَ، حتى لا يتعرضوا لمهانةِ الفقرِ، وذلِّ الحاجةِ، وإنه لك في ذلك صدقةٌ وصلةٌ، وليحزِمْ المسلمُ أمرَه، ولا يؤخرْ إلى شهودِ أماراتِ الموتِ. جاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ، أيُّ الصدقةِ أعظمُ أجراً؟ قال: «**أن تتصدقَ وأنت صحيحٌ شحيحٌ تخشىٰ الفقرَ وتأملَ الغنىٰ، ولا تُمْهِلْ حتى إذا بلغتْ الروحُ الحلقومَ قلتَ: لفلانٍ كذا ولفلانٍ كذا، وقد كان لفلانٍ. .** »[1] متفقٌ عليه واللفظُ للبخاري.

وليُعلم ـ وفقكم اللهَ ـ أن وجوهَ البرِّ كثيرةٌ، من فقراءِ الأقاربِ غيرِ الوارثين، وعمارةِ المساجدِ وخِدمْتها، وبناءِ الأربطةِ والمساكنِ للمحتاجين من أهلِ العلمِ والفضلِ والصلاحِ، وقضاءِ ديونِ المعسرين، والصدقةِ على المحاويجِ، والإنفاقِ على طلبةِ العلمِ، وتعليمِ القرآنِ، وسقيِ الماءِ، وتعبيدِ طرقِ المسلمين، وطبعِ الكتبِ المفيدةِ ونشرِها، والوصيةِ بالحجِّ والأضاحي عن نفسِه وغيرِه، وهذا البابُ بفضلِ اللهِ واسعٌ ووجوهُ البرِّ فيه لا تنحصرُ.

ثم احذروا وصيةَ الإثم والجُنَفِ، وإياكم والمضارةَ بالوصيةِ، وقد قال نبيُّكم محمدٌ ﷺ: «**إن الرجلَ ليعملَ والمرأةُ بطاعةِ اللهِ ستينَ سنةً ثم يحضرُهما الموتُ فيضارانِ في الوصيةِ فتجبُ لهما النارُ**»[2] ثم قرأ أبو هريرةَ راوي الحديثِ: ﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٣٣٤ ـ ح١٤١٩)، ومسلم (٢/ ٧١٦ ـ ح١٠٣٢).
(٢) أخرجه أبوداود (٣/ ١١٣ ـ ح٢٨٦٧)، والترمذي (٤/ ٣٧٥ ـ ح٢١١٧) =

بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النساء: ١٢ـ ١٣] روى الحديثَ أبوداودُ والترمذيُّ واللفظُ له، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ، وهو عند ابنِ ماجه بلفظٍ مقاربٍ.

سبحانَ اللهِ ـ يا عبادَ الله ـ كيف يتجرأُ هذا المخذولُ ليضارَّ في وصاياه، وهو في حالةٍ من إدبارِ الدنيا وإقبالِ الآخرةِ. في حالٍ يصدقُ فيها الكذوبُ، ويتوبُ فيها الفاجرُ، وأيُّ قسوةٍ أشدُّ من هذه القسوةِ. فنعوذُ باللهِ من الخذلان.

في الوصيةِ الجنَفِ يغلبُ الجشعُ، ويحلُّ الطمعُ، ويضيعُ الحلالُ، وإن ربَّك لبالمرصادِ. ألا وإن من جارَ في وصيتِه وظلَم؛ ماتَ على جهالةٍ، وسلكَ مسالكَ الضلالةِ.

إن من صورِ الإضرارِ بالوصيةِ ـ عياذا بالله ـ أن يقرَّ بكلِّ مالِه أو بعضه لغيرِ مستحقٍّ، أو يُقِرَّ على نفسه بدينٍ لا حقيقةَ له.. من أجلِ أن يمنعَ الوارثَ من حقِّه، أو يبيعَ شيئاً بثمنٍ بخس، أو يبيعَ بيعاً صورياً، أو يشتريَ بثمنٍ فاحشٍ من أجلِ أن يُضِرَّ بالورثةِ ويمنعُهم حقوقُهم أو يبخسَها، وتحرمُ الوصيةُ للوارثِ، وقد حكى الإجماعَ على ذلك غيرُ واحدٍ من أهلِ العلمِ.

والوصيةُ لا تصحُّ في الأمورِ المبتدعةِ، والمسائلِ المحرمةِ

---

= وقال: حديث حسن صحيح غريب، وابن ماجه بلفظ مقارب (٢/ ٩٠٢ ـ ح٢٧٠٤).

كالنياحةِ، والتبذيرِ، والبناءِ على القبورِ، والتكفينِ بالحريرِ والديباجِ والدفنِ في المسجدِ أو في بيتٍ خاصٍ، إلا أن يجعلَ ذلك مقبرةً عامةً للمسلمين. ذكرَ ذلك فقهاءُ المذاهبُ الأربعةِ وغيرُهم رحمةُ اللهِ على الجميعِ.

ألا فاتقوا اللهَ ـ أيها المسلمون ـ واتقِ اللهَ يا عبدَاللهِ، فعن عبدِاللهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ**»[1] وكان ابنُ عمرَ يقول: إذا أمسيتَ فلا تنتظرْ الصباحَ، وإذا أصبحتَ فلا تنتظرُ المساءَ، وخذْ من صحتِك لمرضِك، ومن حياتِك لموتِك. رواه البخاريُّ، ولقد قال اللهُ في أقوام ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٤٩ ـ ٥٠] ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]. نفعني الله وإياكم بالقرآنِ العظيم وبهدي محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٧ ـ ح٦٤١٦).

# الوصيـة

## الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ إقراراً بوحدانيتِه، والشكرُ له على سوابغِ نعمتِه، اختصَّ أهلَ الصدقِ والإيمانِ بصدقِ معاملتِه، ومَنَّ على العاصي بقبولِ توبتِه، ومدَّ للمسلمِ عملاً صالحاً بوصيتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له في ربوبيتِه وألوهيتِه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المفضَّلُ على جميعِ بريتِه. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه وأزواجِه وذريتِه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أن من أدبِ الوصيةِ أن يوصيَ المسلمُ بنيه وأهلَه وأقاربَه، ومن حضرَه واطَّلع على وصيتِه - يوصيهم بتقوىٰ الله وطيبِ العملِ، وإن لكم في إبراهيمَ وبنيه عليهم السلام أسوةً، وفي نبيِّكم محمدٍ ﷺ أعظمَ قدوةٍ ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٢] وأوصىٰ محمدٌ ﷺ بكتابِ اللهِ، وقال: «**الصلاةَ الصلاةَ، وما ملكت أيمانُكم**»(١)، وحذّرَ من الفتنِ، وأمرَ

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١١٧)، والحاكم (٣/ ٥٧) وصححه، وأبوداود (٤/ ٣٤٠ ـ ح٥١٥٦)، وابن ماجه (٢/ ٩٠١ ـ ح٢٦٩٨).

بالطاعةِ ولزومِ الجماعةِ، وأوصىٰ بأصحابه السابقين وبالمهاجرين وأبنائِهم، كما أوصىٰ ابنته فاطمةَ ـ رضي الله عنها ـ إذا هو ماتَ أن تقولَ: إنا للهِ وإنا إليه راجعون.

أيها الإخوةُ، وهذه صيغةٌ مأخوذةٌ من جملةِ ما أوصىٰ به بعضُ أئمةِ الإسلامِ من الصحابةِ رضوان اللهِ عليهم ومَنْ بعدهم. حيثُ رأوا أن يقولَ الموصي مخاطباً أهله، ومن حضرَه واطَّلع على وصيتِه: أوصىٰ فلانٌ، وهو يشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له. إلهاً واحداً. فرداً صمداً. لم يتخذْ صاحبةً ولا ولداً. ولم يشركْ في حكمِه أحداً. ويشهدُ أن محمداً عبده ورسولهُ. أرسلَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ ليظهرَه على الدينِ كلِّه ولو كره المشركون، ويشهدُ أن عيسىٰ عبدُاللهِ ورسولُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، والجنةُ حقٌّ وما أعده الله لأوليائِه حقٌّ، والنارُ حقٌّ، وما أعده الله لأعدائِه حقٌّ، وهو قد رضي باللهِ رباً وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً، وبالقرآنِ إماماً، على ذلك يحيىٰ، وعليه يموتُ إن شاء الله، ويشهدُ أن الملائكةَ حقٌّ، والنبيينَ حقٌّ، وأن الساعةَ آتيةٌ لا ريبَ فيها، وأن اللهَ يبعثُ من في القبورِ.

ثم يقول: اعلموا أني مفارقُكم وإن طالَ المدىٰ، فهذه أدواتُ السفرِ تُجمعُ، ومنادي الرحيلِ يُسْمِعُ، والمرءُ لو عُمِّرَ ألفَ سنةٍ لابدَّ له من هذا المصيرِ كما ترون.

إن اللهَ كتبَ الموتَ على بني آدمَ فهم ميتون، فأَكْيَسُهم أطوعُهم لربِّه وأَعمْلُهم ليوم معادِه. وهذه وصيةُ مودعٍ ونصيحةُ مشفقٍ، حسبي وحسبُكم اللهُ الذي لم يخلقْ الخلقَ هملاً، ولكن ليبلوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً ﴿ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ

﴿إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٢] ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣] ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٧ ـ ١٨] أعظمُ فرائضِ اللهِ بعدَ التوحيدِ: الصلاةُ، اللهَ اللهَ في الصلاةِ، فإنها خاصةُ الملةِ، وأمُّ العبادةِ، والزكاةُ أختُها الملازمةُ، والصومُ عبادةُ السرِّ لمن يعلمُ السرَّ أخفىٰ، والحجُّ مع الاستطاعةِ، ركنٌ واجبٌ، هذه عُمُدُ الإسلام وفروضُه، فحافظوا عليها تعيشوا مبرورين، وعلى من يناوئُكم ظاهرين. وتلقَوْا ربّكم غيرَ مبدلين ولا مغيرين. واسلكوا في الاعتقادِ مسلكَ السلفِ الصالحِ وأئمةِ الدينِ، ولا تخوضوا فيما كره السلفُ الخوضَ فيه، وعليكم بالعلم النافعِ، فالعلمُ وسيلةُ النفوسِ الشريفةِ، وشرطُه الإخلاصُ والخشيةُ للهِ مع الخيفةِ. وخيرُ العلوم علومُ الشريعةِ، وانبذوا العلومَ المذمومةَ فإنها لا تزيدُ إلا تشكيكاً. وأطيعوا أمرَ من ولاه اللهُ عليكم، واجتنبوا الفتنَ وأسبابَها، ولا تدخلوا في الخلافِ، والزموا الصدقَ فإنه شعارُ المؤمنين، والكذبُ عورةٌ لا تُوارىٰ، وحافظوا على الحشمةِ والصيانةِ، وأوفوا بالعهدِ، وابذلوا النصحَ، ولا تبخسوا الناسَ أشياءَهم، ولا تطغَوا في النعمِ، ولا تنسوا الفضلَ بينكم، ولا تنافسوا في الحظوظِ السخيفةِ، وإذا أسديتمْ معروفاً فلا تذكُروه، وإذا برز قبيحٌ فاستروه، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، واحذروا الظلمَ، وصلوا الأرحامَ، وأحسنوا إلى الجيرانِ، واعرفوا حقَّ الأكابرِ، وارحموا الأصاغرَ، واحذروا التباغضَ والتحاسدَ، واعلموا أن جماعَ الأمرِ تقوىٰ اللهِ،

كان اللهُ خليفتي عليكم في كلِّ حالٍ، وموعدُ الالتقاءِ دارُ البقاءِ، والسلام عليكم من حبيبٍ مودعٍ، واللهُ يجمعُ إذا شاءَ هذا الشملَ المتصدعَ، ألا فاتعظوا أيها المسلمون.

# الفهرس


| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |
| المقدمة | ٥ |
| اتبعوا ولا تبتدعوا | ٧ |
| سورة (ق) ويوم النشور | ١٦ |
| الشيطان مداخل ومكائد | ٢٤ |
| الذين هم في صلاتهم خاشعون | ٣٣ |
| المشتغلون بالذكر | ٤٣ |
| مفاهيم واسعة للأعمال الصالحة | ٥٣ |
| قصة يوسف عليه السلام وآيات للسائلين | ٦١ |
| المؤمن القوي | ٧٠ |
| لا تدخلوا حتى يؤذن لكم | ٧٩ |
| الحجاب والجلباب | ٨٨ |
| رأي في العنوسة وتأخير الزواج | ٩٧ |
| ابنَ آدم: مَرِضتُ ولم تعدني | ١٠٦ |
| طيب الكسب والمكسب | ١١٧ |
| في التربية والتعليم | ١٢٥ |
| الأمانةوالمسئولية | ١٣٢ |
| الكلم الطيب والخبيث | ١٤٠ |
| من أحاديث الإجازة | ١٤٩ |
| حديث بين الشباب والشيوخ | ١٥٧ |
| واجب الأمة نحو علمائها | ١٦٤ |
| غزو الكويت بين الاحتراف في الإجرام والتضليل في الإعلام | ١٧٣ |
| من وحي أحداث الكويت (جدال عن الظلم والظلمة) | ١٨٣ |
| بعد اندحار العدوان (انقشاع الغمة والشكر على النعمة) | ١٩٣ |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| نعوت أهل الإيمان وصفات عباد الرحمن | ٢٠١ |
| حقوق الطريق وآدابه | ٢٠٩ |
| بين اليأس والأمل | ٢١٩ |
| في بناء الشباب | ٢٢٧ |
| هل نتخذ من فتح كابل طريقاً للخلاص؟ | ٢٣٦ |
| مع أيدٍ تبتغي محبة الله (العمل والعمال) | ٢٤٦ |
| بين الغرور والعزة وبناء الأمة | ٢٥٤ |
| حال الأمة وسنن الله في التغيير | ٢٦٢ |
| الهوى والخلاف | ٢٧٠ |
| محاسبة دقيقة من أجل حال أفضل | ٢٧٨ |
| التعاون والمسئولية الجماعية | ٢٨٧ |
| عندما تختل الموازين | ٢٩٤ |
| في استقبال شهر رمضان | ٣٠٢ |
| المواساة في شهر المواساة | ٣٠٩ |
| في ذكرى بدر واغتنام العشر | ٣١٧ |
| في قدسية الحرم وأمنه | ٣٢٦ |
| بناء البيت ومنافع الحج | ٣٣٣ |
| من فضل البيت وأسرار الحج | ٣٤١ |
| خطبة عيد الفطر (المناسبات وهموم الأمة) | ٣٥٠ |
| خطبة عيد الأضحى (وقفات مع خطبة الوداع) | ٣٦٤ |
| من دروس الهجرة | ٣٧٥ |
| صلاة الاستسقاء (الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر) | ٣٨٣ |
| وقفة مع محاسبة النفس | ٣٩٤ |
| الوصية | ٤٠١ |
| الفهرس | ٤١٢ |

